



pdfelement

رواية

أيام مع أبي شوشة

بسن البندبى



لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر
من معرض كتب ومجلات ومجلدات

تابعوا موقعنا

#دودم_الكتاب

www.book100100.ga

حسن الجندي

ليلة في جهنم

أيام مع الباشا

pdfelement

آدم

● t.me/AdamLibrary

في تلك القصة يختلط الواقع بالخيال، فإن أردت التمييز



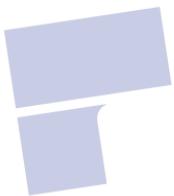
öüüSd

آرم

● t.me/AdamLibrary

الفصل السابع

ما حدث



pdfelement

2005

منزل أبو خطوة

وقف (عمر) أمام باب المنزل الحديدى يشبك يديه أمام صدره ناظراً حوله بشكل عشوائى كل دقيقة، مرت سيارة ملاكي من أمامه لكنها توقفت بعد المنزل بقليل، خرج من المبعد المجاور للسائق (أليكسندر) يرتدى بدلة بنية اللون حاملاً حقيبة جلدية عريضة أقرب لحقيقة الملابس المحمولة. حاول (عمر) تبيّن شكل السائق لكنه فشلَ و(أليكسندر) يسير ناحيته مبتسماً وهو يرفع رأسه لينظر للمنزل بين الثانية والأخرى، صافحه بحرارة ونظر للمنزل بتأثير شديد و(عمر) يقف بجانبه.

- ”عرفت توصل للبيت بسهولة؟“
 - ”الدنيا اتغيرت لكن البيت زي ما هو، أنا عمرى ما أنسى
 مكانه.“

فتح (عمر) البوابة الحديدية الصغيرة ودخل للمنزل، لكن (أليكسندر) توقف للحظة وهو ينظر خلفه على الجانب الآخر للطريق، كأنه يبحث عن الشخص الذي رآه يقف هناك في حلمه.. لم يجد أحداً فسحب شهيقاً عميقاً من الهواء المحيط به ودخل من البوابة الحديدية وراء (عمر) الذي وقف ليفتح الباب الداخلي بمقتني منفرد أخرجه من جيبيه.

- "أنا ملاحظ يا أستاذ (عمر) إنك مجبتش معاك أدوات حفر."

فتح (عمر) الباب وهو يرد:

- "أنا عدلت على البيت من كام ساعة وسبت جاروفين."

- "بس."

- "إنت مطلبتش أمبارح عدة حفر، ولا طلبت عمال."

دخل المنزل و(أليكسندر) يقول:

- "إحنا فعلاً مش محتاجين الحاجات دي كلها، بس كأنك عارف إيه اللي هايحصل قبل ما يحصل."

بدا أن الهواء داخل المنزل أكثر سخونة بقليل من خارجه و(أليكسندر) يحرك وجهه متسماً وهو ينظر إلى بئر السلم المليء بالأثرياء، توجه (عمر) إلى الشقة التي على يسار المدخل ودخلها وهو يقول:

لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر
من معرض كتب ومجلات ومجلدات

تابعوا موقعنا

#دودم_الكتاب

www.book100100.ga

- "طبعاً الحاجة المدفونة هاتكون في الشقة دي."

تبعه (أليكسندر) قائلاً:

- "الظاهر الحلم اللي إنت حلمته كان فيه تفاصيل كتير."

المواه ساخن داخل الشقة بدرجة أعلى و(عمر) يشعل أضواء المصايبع الباهنة المعلقة في سقف الصالة.. في أحد أركان الصالة جاروفين بيد طويلة وجوال من الجلد يستخدم في حمل الرمال، نظر (عمر) لأليكسندر وهو يقول:

- "أدي الجمل وأدي الجمال.. تحب نبدأ إزاي؟"

تأمل (أليكسندر) صالة الشقة وهو ينظر للحوائط الملطخة ويقول:

- "المدبحة حصلت هنا؟"

- "إنت أكيد عارف حكايتها طالما قدرت تعرف إني بحب العناب."

- "الناس فاكرة إن البيت ده مسكون، بس العفاريت والجن بالنسبة لي شفته مع جدك بقى ترف."

- "عمر ما جدي حكايلي عنك."

ترك (أليكسندر) حقيته على الأرض وذهب ليحضر الجاروفين وهو يقول:

”أنا وجدى قدرنا نفصل بين حياتنا الشخصية وبين
شغلنا، زي ما جدى علّمك بالظبط.“

رفع الجاروفين بسهولة ودخل بهما إلى أول غرفة على يمين
الداخل إلى الشقة وصوته يأتي من داخل الغرفة:

- ”حياتنا الشخصية دايمًا في النور، وشغلنا في عالم ظلامي،
وإحنا فيه مجرد ظلال بتحرّك.“

دخل (عمر) في تلك اللحظة وضغط على زر الإضاءة داخل
الغرفة فاشتعل المصابح لتنعم الغرفة بإضاءة باهتة و(عمر)
يقول:

- ”ولو انهار الخط الفاصل بين العالمين واحتلّت الضلعة
بالنور.. حياتنا تتدمر.“

ابتسם (أليكسندر) وهو يقترب من (عمر) ويقول:

- ”جدى قالك على المبدأ ده، اللي علمنا كده كان صاحب
ثالثلينا، كان سبب اجتماعنا وسبب فراقنا.“

قال عبارته ثم أمسك بجاروف ناوله لعمر قائلاً:

- ”يلًا نبدأ شغل، مش هنحتاج نحفر كبير، الرمل اللي
في الأوضة ده مش أكثر من متر ونص عمق، بعديه هانلاقي
المدخل.“

خارج الشقة وبالتحديد عند السلم المؤدي إلى الطابق الأول، هبط (جعفر) من الأعلى بخطوات جعلها غير مسموعة كما طلب منه (عمر) منذ ساعة، أرهف السمع ليستمع لبقية الحوار الدائرة بينهما منذ دخلا من باب الشقة، الحوار يأتي كفحيق الشعاعين يميز منه بضع كلمات بين كل مجموعة من الجمل، لذلك فضل الجلوس على السلم بهدوء حتى يحين موعد دخوله إن كان لدخوله سبب.

في داخل الغرفة وقف (أليكسندر) حاملاً الجاروف وهو يحفر بحاسِ شديد ويزيح الرمال الصفراء وعلى وجهه فرحة حقيقة كأنه طفلٌ يحاول فتح هدية عيد ميلاده بشوق.

- طب ما تقلع جاكيت البدلة علشان تعرف تحفر.

قال (عمر) عبارته وهو يتناول الجاروف ويحفر بجانبه بحذر، لم يرد عليه (أليكسندر) وهو يزيد من سرعة الحفر وتركيزه كله ينصب على ما يفعله بينما قطرات العرق تساقط بسرعة من جبهته بسبب سخونة الهواء داخل الغرفة، مرت ربع ساعة وهم يحفران حتى اصطدم جاروف (عمر) بمعدن صلب، توقف عن الحفر وتراجع خطوة للوراء بعجلة، صاح (أليكسندر) بكلمة روسية وهو يلقى بجاروفه أرضًا ويتزل على ركبتيه عند موضع حفر (عمر) ويزيح بيده الرمال لتنظر

أرض صلبة صفراء اللون، لم يعرف (عمر) ما يفعل فهو لم يشاهد من قبل مدخل قبر أو دفين من معدن، لكن بعد دقيقة من إزاحة الرمال ازداد تشكيكه وهو يرى خطوطاً متصلة محفورة داخل تلك الأرض المعدنية، خطوطاً أكثر قرباً لمتاهة والتي تتجدها في كتب التلوين، صاح (أليكسندر) بالعربية:

- جهز نفسك علشان نفتح المقبرة.

أنهى عبارته ونهض مسرعاً إلى خارج الغرفة عند حقيقة السفر التي أحضرها معه، فتحتها وأخرج منها بضع أدوات وقارورة زجاجية فارغة وعاد للغرفة وهو يشير لذراع (عمر):

- شمر دراعك علشان أسحب دم منك.

- إنت المجننت.. دم إيه اللي تسحبه مني؟ مفيش رصد بيتفتح بالطريقة دي، ثم أنا مش فاهم إيه الأرض الحديد اللي لاقيناها؟

أخبره (أليكسندر) بإنفاس صبي أن الأرض المعدنية هي البوابة الأولى التي يجب أن يتخبطوها، والطريقة الوحيدة هي أن يسحب الدم منه ليشره بين الفتحات المحفورة، لا توجد طريقة لفتح المكان سوى بدماء نسل عائلة (أبو خطوة).

- جدي (سيد أبو خطوة) ما قالتش حاجة زي كده.

- لأنه كان قرر إن السر يموت معاه وماحدش يفتح البيت من بعده.

- مستحيل تكون دي طريقة لفتح مقبرة، دمي هايعرف إزاي؟ هو فيه جهاز لتحليل (الدي إن إيه) تحت.

ضحك (أليكسندر) بعصبية وهو يمد يده لذراع (عمر) الأيسر بشيء من العنف ويشرم عن ساعده، وهذا الأخير قد استسلم له وعبر الدهشة والشك لم يغادر وجهه، وضع محققنا باحتراف عند أحد أوردته وأوصله بخرطوم قصير لزجاجة فانسال دم (عمر) ببطء يملأها وهو ينظر لأليكسندر ويقول:

- ده مش رصد ميكانيكي، وحتى لو كان كده فمفيش منطق يبرر اللي بتعمله ده.

- إنت ماتعرفش قيمة أجدادك يا (عمر)، إنتوا حُرَّاس وادي هنم.. جهنم، جدودك كان معاهم الطريق اللي يفتحلهم أسرار الكون لكنهم اكتفوا إنهم يستنوا، أنا وإنت هانبدأ هانغير العالم.

لم ترق كلمات (أليكسندر) له وهو ينظر بعين متسعة للقارورة التي اقتربت من الامتناء حتى متتصفها، كلماته كأنها خرجت من مجنون بأحد الأفلام الأمريكية، لكن فضوله لاكتشاف ما تحت المنزل والذي نفشل خدمته من الجان في

سرمهه كان دافعه، كما أن شغفه لمعرفة نهاية الأحداث جعله يتضرر بصير كما هي عادته، قدّيماً كان يجب مشاهدة الأفلام التي يشعر في بدايتها بالملل حتى النهاية، فربما وجد مفاجأة تغير وجهة نظره للفيلم، عادة قيمته لازمته طويلاً وها هو يتضرر أن يعرف ما وراء هذا الرجل الروسي، ولكن هذا الفيلم غير ممل، إنه مرعب.. خطر خاطر في عقله فجأة فقال لـأليكسندر:

- إنت تعرف مهندس اسمه (هيشم)؟

- صاحبك اللي كان بيدور ورايا، ما أعرفوش شخصياً لكن أيوه أنا اللي سربت ليه المعلومات اللي جابها ليك، معلومات مفيهاش حاجة صحيحة إلا إسمى:
- ليه عملت كده؟

كانت القارورة قاربت على الامتلاء فتنزع المحقق من ذراعه ووضع لاصقاً طبياً على موضعها وهو يأمر (عمر) بالضغط على مكان خروج المحقق ثم يقول:

- لأن (هيشم) دا مكنش هايعرف يوصل لأي حاجة، وده كان هايخليلك تقلق وعمن مانقابلنيش.

وكان ما يقوله طبيعياً، أخذ القارورة وثبت على غطائها مضخة صغيرة لتدفع الهواء داخلها ويخرج الدم من خرطوم صغير، قرب الخرطوم من الفتحات المحفورة بالأرض وضغط

المضخة لتخرج الدماء من الخرطوم وتغرق المخطوط، الغريب أن الفتحات امتصت الدماء، في تلك اللحظة كان (أليكسندر) منهمكاً في ذلك الأمر وهو منعني معيطياً ظهره لعمر الذي وقف خلفه وعيناه مثبتتان على ظهره، تحت جاكيت البدلة التي يرتديها (أليكسندر) ظهر انتفاح بسيط لم يفهم سببه، انتفاح شيءٍ معدني يُشَيِّه المسدس عند منتصف ظهره، قبل أن تنسال الأفكار في عقله شعر بهزة بسيطة تبع من داخل الأرض التي يقف عليها، تراجع للوراء أكثر. و(أليكسندر) ينهض ويترافق مثله حتى خرجا من الغرفة.

صوت احتكاك معدني أقرب لصوت بوابة حديدة تفتح وتصدر صريراً عالياً، ثم انفتح جزء من الأرض المعدنية التي تشربت الدماء، انفتح بطريقة ميكانيكة بطيئة جداً وبشكل أسطوري و(أليكسندر) يشاهد طبقات من الرمال داخل الغرفة تسقط داخل الفتاحة تلقائياً و(عمر) يتراجع أكثر مبتلعاً ريقه والعرق ينهال من كل مسام جسده وهو يشعر بأن سخونة الهواء تتزايد أكثر فأكثر مما قبل، كل من دخل المنزل شعر بذلك الدفء المزعج بدون سبب، ذلك الدفء الذي تزايد الآن أكثر مما يعني أن ما يتسبب بهذا يقع تحت المنزلوها هو سيكتشف ماهيته.

وقف صوت الاحتياك المعدني و (أليكسندر) يذهب للحقيقة ويفتحها مُحضرًا منها كشاف إضاءة كبير الحجم وقطعة قماش سوداء ناوهًا لعمر المذهول طالبًا منه أن يغطي بها عينيه ثم ينزل لداخل الفتحة.

- يا سلام !!! إنت مخبل !!

- جدك عرفني إنك لازم تنزل أول واحد وإنت مغمض عينيك، فيه ضوء أبيض هايستمر للحظات لو عينك كانت مفتوحة ممكن تتعمي.

- أنا هاغمض عيني.

أصر (أليكسندر) بعصبية أن يضع القماشة على عينيه كي لا يترك شيئاً للصدفة، ولم يعرف (عمر) سبباً لقبوله ذلك الشيء لكنه أخذ القماشة بعد أن خلع نظارته ووضعها بجيبة ودخل الغرفة بحذر وهو يقف أمام الفتحة المعدنية ويجد درجات سلم حجرية تمتلئ بالرماد المتساقطة من الغرفة، درجات تقود للأسفل المظلم، نظر لأليكسندر هنيهة ثم عاد ينظر للفتحة مفكراً بعمق.. مرت لحظات تنفس بعدها بعمق وقد اتخذ قراره، رفع القماشة لوجهه معصبياً عينيه وتحسس بقدمه الدرجات وهو ينزل درجة بحذر فاردًا يده أمامه ليصنع اتزاناً خيالياً، كلما نزل أكثر كلما زادت سخونة الهواء وعرقه

ييل ملابسه أكثر وأكثر ورائحة عطنة تزداد وضوحا، رائحة اشتم ما يشبهها كثيرا في مقابر عديدة فتحها، لكنها كانت أكثر قوة هنا.

عَدَ درجات السلم حتى وصل للدرجة الخامسة والعشرين توقف بعدها محاولا التقاط صوت ما بجانبه، صوت يماثل ما تسمعه عند تشغيل مروحة هواء بجانبك عدا أنه لا يشعر بالهواء بل بالدفء، قرر أن يكمل المبوط للأسفل حتى وصل للدرجة الستين، وبدأ يفهم شيئاً، يمينه ويساره يمتلي بصوت تلك المراوح والتي تزيد سرعة دورانها كما يشعر، فجأة توقف صوت دوران المراوح وجاء صوت صفير خفيف.. هنا انتصب شعر ماعديه، حرك رموش عينيه لفتح بصعوبة خلف القماشة المحيطة برأسه فشعر بضوء أبيض كاد أن يحرق شبكيه عينيه.

أغمض عينيه بسرعة وهو يفهم سر إصرار (أليكسندر) على ربط القماشة على عينيه، لقد علم بوجود هذا الضوء، ارتبك.. هل يكمل نزول أم يتوقف، لكن صوت الصفير توقف وتبعه صوت (أليكسندر) من الأعلى يقول:

- ممكن نفتح عينيك؟ خلاص.

أزال العصابة وصوت خطوات (أليكسندر) وهو ينزل الدرجات يأتي من الأعلى، ما رأه حوله أسقط فكه الأسفل لا

يرى من الدهشة، بالفعل اختفى الضوء الذي كاد أن يعمي
لكنه يرى الآن على جانبي درجات السلم كرات زجاجية في
حجم البرتقالة مضاءة بالأبيض القوي.. أما صوت المراوح
فلم يجد مصدرًا لها، (أليكسندر) ينزل الدرجات أسرع وهو
يقرب منه حتى توقف على بضع درجات منه وقال بحيراس:

- إيه اللي وقفك، كمل نزول.

- إنت نزلت هنا قبل كده؟

- مفيش وقت، انزل الدرجات لحد ما توصل لنهاية السلم،
ما تتحرکش لثواني، هاتخس بسخونة في جسمك وبعديها
خلاص.

- يعني إيه؟ ليه كل ده؟

- المكان لازم يتعرف عليك إنك من نسل (أبو خطوة)،
الضوء اللي خليتك تغمي عينك بسببه يفحص جسمك و...
قاطعه (عمر) مشدوهاً:

- وفيه طريقة فحص تانية تحت بجمسي.. بس إزاي؟
مفيش أي جن هنا؟ والمقابر اللي بتستخدم الطريقة دي لازم
الجن يكون...

- غبي.. هنا مش قصة جن وعفاريت، هنا تكنولوجيا

سيطرة أجدادك كانوا عارفينها منآلاف السنين، الوقت يجري مننا، لو ما كملتش نزول بسرعة علشان تتفحص المكان ها ياخد وضع دفاعي وهابعتبر إنك حصلك حاجة وهي قفل نفسه واحتمال إحنا الاثنين نموت.

بذل (عمر) نظراته بين (أليكسندر) ودرجات السلم والكرات الزجاجية البيضاء التي تثير له طريق النزول، تصارعت في نفسه الخواطر ما بين الخوف من هذا الرجل وشعوره الطبيعي الذي نما عنده مع الوقت بالحذر من كل الناس، وبين فضوله تجاه هذا المنزل والذي كان قد نجح في كبحه منذ سنوات طويلة لكنه عاد ليطفو على السطح بقوة وسط هذه الأحداث.

اختار اتباع فضوله وتنحية حذره وهو يبكي قطرات عرقه تساقط على الدرجات التي غمرها التراب حتى أصبح لا يدرى أهذا العرق من توئره أم من شعوره بالدفء الذي يزيد مع كل خطوة لأسفل، لقد جرب إحساساً مشابهاً في غرفة الساونا، ولكنه لم يكن بمثيل هذا القلق.

أكمل عد الدرجات حتى وصل إلى الدرجة التسعين وقدمه تشعر بالأرض المنبسطة فتوقف والظلام يحيط به والراحلة الآن أصبحت كراحة التراب المختلط برائحة عرقه، تلك اللحظة

ت الكرات البيضاء وعاد الشعر يتتصب على يديه، حتى إن شعيرات رأسه بدأت هي الأخرى في الانتصاب، هذه المرة شعر بالغثيان، ودفعه جديد يغمره، لا ليس شعوراً خارجياً كالذى اختبره منذ قليل، هذا الدفع مختلف، إنه ينبع من داخل أعضائه، كأن جسده من الداخل يشتعل، الدفع يتتحول لنار حقيقة داخله حاول معها التهامك، خلايا أعضائه تحرق، شعر رأسه وذقه يتتصب بشكل كامل، أصبح تنفسه أكثر صعوبة، في لحظة توقف كل شيء كأن أحدهم نزع القابس من فيشة الكهرباء.. كل الألم الداخلي توقف ولم يبق سوى الدفع العادي الذي أصبح الآن كمكيف الهواء بالنسبة لما شعر به سابقاً.

هل حان الوقت للتحرك للأمام.. كذا فكر وعيناه تحاولان التألف على الظلام، وكان المكان يعلم بخواطره، أضاءت عشرات وربما المئات من الكرات الزجاجية بضوئها الأبيض على الجدران من أمامه، ظهرت معالم المكان الذي يقف فيه.. جدران عالية تصل لارتفاع ثلاثة طوابق مليئة بتلك الكرات، أرض حجرية ممهدة ومصفولة لكن مليئة بالأثرية، على بعد ثلاثين متراً هناك نمر يرتفع درجات عن مستوى الأرض، كرة سوداء اللون ضخمة تبرز من أحد الجدران ويظهر متتصفها فقط.

خطر بياله أن هذا التصميم رآه من قبل، نعم.. لقد أدخله أحد أصدقائه من المهندسين المتخصصين في الترميمات الأثرية إلى مقبرة العجل (أبيس) بمنطقة (سقارة) أثناء أعمال ترميمها، التصميم مشابه جدًا، ولكن ما ألقفه هو ذلك الرسم أعلى مدخل الممر، رسم على الطريقة الفرعونية تأكلت ألوانه لكنه واضح لرجل يقف وخلفه جناحان أح Prism من بمراحل، وتحته رسمت رموز تشبه الكتابة الهيروغليفية لكنه لم يستطع قراءتها، هو ليس خبيراً بتلك الرموز لكنه تعلم الكثير واكتسب خبرة أكثر في قراءتها أو على الأقل تحديد نوع النص إن كان نصاً دينياً أو يؤرخ لإنجاز أو يحكي قصة، كما يستطيع تمييز طرق الكتابة المميزة لمعظم الأسرات المصرية القديمة، لكن تلك الرموز أشبه برموز عصر الأسرة الأولى أو لشيء قبله، هناك رموز لا شيء لم يقابلها من قبل.

صوت خطوات (أليسكندر) يأتي من أعلى درجات السلالم وهو يبسطه بسرعة ويقترب منه، فكر (عمر) في أنه حان الوقت ليدخل ذلك الممر، لكن عينيه تصلبتا على مدخل الممر الذي تراصت عليه الكرات الزجاجية المضيئة، لأنه من داخل الممر هناك رجل يأتي متسللاً إلى الظلال التي يصنعها الضوء الأبيض وتسقط على وجهه فلا تظهر تفاصيله.

ل هو رجل أم أنه خيال (عمر)، السبب كان في جسد الرجل الذي كان مهزوزاً، لأنك تشاهد التلفزيون والهوائي مهتز فتهتز الشخصيات داخل الفيلم أو المسلسل لثوانٍ ثم تعود لطبيعتها، هذا ما رأه في الرجل، كل ما حوله ثابت وهو الذي يهتز ثم يعود طبيعياً، هو ينظر للرجل والرجل يبادله النظارات برغم أن (عمر) لم ير تفاصيل وجهه.

سمع (عمر) صوتاً من خلفه رن لمرة واحدة، يشبه صوت الرصاص المكتومة، أحس ببرودة تغزو منتصف ظهره، اتسعت عيناه فزعاً وشhec وقد اقتحم الألم أعصابه دفعه واحدة بجانب إدراكه لما حدث، لقد أطلق عليه (أليكسندر) الرصاص ليقتله بعد إتمام مهمته والتي كانت إدخاله لهذا المكان.. حاول أن ينظر خلفه لكن قدمه فشلت في حمله وسقط على وجهه والتراب يتطاير حوله إثر اصطدامه بالأرض.

من خلفه يأتي صوت (أليكسندر) يقول كلمات بالروسية بلهجة باردة.. خطر بعقله أنها باردة لأن كل اللغة الروسية تعطي نفس الشعور على الأذن، وساخرة لأن الجميع يفهم السخرية إن قيلت بأي لغة، أو ربما للضحكات التي تحملت عباراته، رفع هنا رأسه للأعلى فوجد الرجل الذي يأتي من الممر قد اقترب منه وبدأت ملامحه تتضح، في نفس الوقت

صوت خطوات (أليكسندر) يتوقف عن نزول الدرجات، ويعاود الصعود للأعلى، والرجل المتشح بالظلام يقترب أكثر منه، مع كل خطوة يقتربها الرجل يتأكد (عمر) أن الرجل يهتز هو ذاته، ملامحه تظهر ببطء شديد، ومن الأعلى يسمع صوت (أليكسندر) وهو يقول بانتصار بالعربية:

- كنت عارف إن (عمر) معااه...

اختفى صوت (أليكسندر) لثانية وهو يشقق ويقول مستنكراً:

- (جابر)!!

هنا اقترب الرجل أكثر والذي كان يرتدي ملابس عصرية سوداء، اقترب وجها على ركبتيه وقرب وجهه من وجه (عمر) فظهرت شخصيته، إنه (جعفر)!!!، مدّ يده يربّط بها على كتف (عمر) الخائف المذهش وهو يقول بنبرات رخيمة:

- ماتخافش.. مش هاخليك تموت هنا، هاصلع كل حاجة.

تحامل (عمر) على نفسه وهو يقول بنبرات لاهثة:

- أنا سايك.. فوق.. إنت.. إزاي نزلت هنا؟

ابتسم (جعفر) وهو ينهض وينظر للدرجات السلم وصوت (جعفر) الآخر يأتي من الأعلى عالياً يردد تعويذة، نظر (جعفر) ثانية لعمر وقال بابتسامة على طرف شفتيه:

(جعفر) فوق دلوقت بيردد قسم (زكاروت) اللي إنت علمنتهوله، فاكر إنه هايتفع هنا، و(أليكسندر) هاينزل السلم جري، تعرف يا (عمر) إن اللي بيحصل دلوقت شبه الحكاية الحقيقة، الفرق إنك بتموت لكنني هاديك فرصة ثانية.

قال (جعفر) عبارته وابتسامته تتسع و(عمر) يسمع من الأعلى صوت قسم (زكاروت) يردد (جعفر) بسرعة والمكان يهتز من حوله كأنها هزة أرضية بسيطة أو ربها شعوره بالدوار يزداد بسبب الطلقة المستقرة بظهره، نهض (جعفر) الجالس أمامه من على ركبتيه وجسده يهتز ثانية وهو يسير مبتعداً، وصوت (أليكسندر) يأتي من الأعلى يصرخ بالروسية ثم يقول بالعربية: - (جابر) إزاي شكلك لسه صغير كأي.. كأني شايفك من

111 سنة

فكرة (عمر) وهو ينظر لجعفر السائر مبتعداً من أمامه أنه مختلف عن (جعفر) الذي يعرفه فعلًا، بغض النظر عن ملابسه تامة السواد إلا أنه أكثر ثقة وقوة نفسية منه، كما أن وجهه به بعض التجاعيد، اهتز المكان ثانية وهو يشاهد (جعفر) يدخل عمراً جانبياً وينخر حاملاً عباءة سوداء لم يتبيّنها، لا لم يخرج (جعفر) من المعر بل ظهر فجأة كأنه انتقل بسرعة الضوء، وفعلاً اختفى (جعفر) ثانية وظهر أمامه في أقل من ثانية وهو

يحمل بيده العباءة السوداء والتي اكتشفت (عمر) أنها ضخمة بشكل مبالغ فيه للدرجة أن (جعفر) لف نفسه بها ورماها على (عمر) الذي شعر بملمسها الذي يشبه النار، صرخ (عمر) من لسعة العباءة واحتفى الاثنان في نفس لحظة تشقق السلم الحجري المؤدي للقاعة وسقوط أحجار من أعلى السلم ومعها يسقط (أليكسندر) متذرجاً حتى دخل القاعة وهو يصبح بالروسية، فجأة ظهر (جعفر) بجانب (أليكسندر) الواقع أرضاً والذي أُجفل وهو ينظر له مرعوباً من ظهوره المفاجئ والعباءة السوداء المتلتفة بها.

ويرغم أنه ما زال يحمل مسدسه بيده إلا أنه ألقاه على الأرض وهو ينظر لجعفر الواقف أمامه ويقول بالعربية:
- إيه اللي بيحصل يا (جابر)؟

في نفس الوقت نزل (جعفر) الآخر درجات السلم وأثار أتربة وسحاجات وجروح على وجهه من تساقط أحجار السلم وهو يكمل تردید كلماته لينهدم المكان لكنه توقف فجأة متھجراً بوضعه مما رأه، و (أليكسندر) يحرك عينيه بينهما بذهولٍ ولو لا اختلاف ملابسهما لاعتقد أنه يتخيّل.. مرت فترة صامتة تحرك بعدها (جعفر) الحامل للعباءة وهو يلفها حول جسده ثانية قائلًا بسخرية:

آسف بس الموقف ده اتكرر كتير وبقى عمل أوي ومضطر
أبدأ.

لـف طرف العباءة الباقي عـلـى (أليكسندر) الذي رفع يده اليمنى بطريقة لا إرادية محاولاً الدفع عن وجهه، والعباءة تغطيه وصرخة سريعة تفلت منه قبل أن يختفي الاثنان ويعود (جعفر) ذو العباءة ثانية بعدها بثانيتين ليظهر بنفس موضعه ويخلع العباءة عن جسده وهو يطبقها على يديه و(جعفر) الآخر يقترب منه بيطء يؤخر قدمًا ويقدم الأخرى بينما (جعفر) ذو العباءة يسير ناحية غير جانبي في القاعة.

(جعفر) الآخر أكمل سيره بيطء والعرق يسيل من جسده من دفء القاعة حتى توقف أمام الممر ليتراجع خطوة إلى الوراء وهو ينظر إلى مقعد ضخم من المعدن مزدان بزخارف ملونة نباتية يكثر بها رسوم نبات البردي، مقعد قريب للمقاعد المصرية القديمة التي شاهد (جعفر) صورها من قبل لكنها في نفس الوقت لا يمكنك أن تقول أنها فرعونية بنفس راضية، كأنها تجمع بين صفات الحضارة المصرية القديمة وحضارة أقدم منها أو مختلفة عنها، لكن ما جعل (جعفر) الآخر يعود خطوة للوراء ليس المقعد بل من كان يجلس عليه.

جثة مخنطة لرجل يجلس بوضعية مسترخية ولفائف الكتان

سيط به بالكامل وقد اصفرَ لونها، والغريب أن رأس الجثة مغطى بقناعٍ مثل قناع (توت عنخ آمون) لكنه قناعُ أسود اللون وبلا ملامح، المقعد الكبير كان في بداية الممر كأنه يحرسه، ألقى نظرة خلف المقعد لبقية الممر المرصوف بحجارة صفراء متلاصقة ومضاء بنفس طريقة إضاءة بقية المكان بتلك الكرات التي تشع نوراً غريباً، وهناك غرفتان على جانبي الممر، تصاعد صوت (جعفر) ذو العباءة من أول غرفة وهو يقول:

- مش وقت اندهاش خالص أنا مش فاضي يا (جعفر)،

أيه أنا إنت، إنت مش بتتخيل

انتهت العبارة وخرج (جعفر) من الغرفة إلى الممر وهو يحمل العباءة وطرفها يلامس الأرض حتى توقف خلف المقعد ثم رفع العباءة في الهواء فارداً إياها ليغطي بها الجثة المحنطة على المقعد حتى لم يظهر منها شيء وهو يربت بيديه على المقعد ويقول:

- دا الكاهن اللي أجدادنا المصريين حطوه علشان يحرس المقبرة، يحرس مدخل العالم اللي سماه (ابن عربي) بأرض السمسنة.

ثم ابتسم وهو ينظر لجعفر الآخر الذي قتل الذهل منه وأكمل قائلاً:

اسم يضحك مش كده؟ الكاهن ده نسله يوصل لعمر أبو خطوة صاحبك اللي علمك رصد المقابر، أيام الفاطميين كانوا بيسموا اللي من نسل الكاهن ده بأصحاب الخطوة، بعد كده الاسم لزق فيهم وبقوا عيلة أبو خطوة.

(جعفر) الآخر رفع يده يمسح بعض ما استطاع من العرق عن عينيه وهو يقول بصوت كاهمهات:

- (عمر) ... فين؟

- مانخافش، أنا خرجته بره البيت هو و(أليكسندر) قبل يومين من دلوقت، (عمر) كان المفروض يموت بس أنا بحبه لأنه علمني كتير أوي، وطلما أنا بحبه بيقى إنت كمان بتحبه.

- إنت مين؟

- أنا هو إنت بس من مكان تاني، بعد تاني، عالم تاني زي العالم بتاعك، ومهمتي إني أخليلك تعيش حياة أفضل، وزى ما عملت مع (عمر) و(أليكسندر) هاعمل معاك.

- إنت عملت إيه فيهم؟

- بلاش غباء، قلتلك رجعتهم بالزمن يومين قبل النهارده، وخليتهم يفقدوا الذاكرة علشان مانحصلش مقابلة بينهم ويدخلوا البيت ويقتل (عمر)، وإنانت كمان هارجعك لنفس وقتهم وهاخليلك تنسى معظم الحاجات وهافصل خدمة الجن

عنتك عنك علشان محدثش فيهم يفكرك باللي حصل، عايزك
تحاول تكمل حياتك وترجع لصفاء اللي إنت بتحبها، عمكن اللي
حواليك يفتكروك بجنون شوية بس ده قدرك، لحد ما هايحبيلك
واحد اسمه (جابر عبد السيد) عايزك تصدقه وتتفذ كل اللي
هايطلبه منك.

تراجع (جعفر) الآخر خطوتين إلى الوراء خائفاً و (جعفر)
ذو العباءة يتسم قائلاً:

- ماتحاولش تهرب، وامسك نفسك علشان العباءة اللي
هاخطيك بيهَا هتحسسك إنك في فرن.

فجأة سحب العباءة من على الجهة واختفى هو والعباءة
ثم عاود الظهور أمام (جعفر) الآخر وهو يحيطه بها ويختفي
الاثنان.

أمام منزل (أبو خطوة) على الجهة المقابلة من الطريق السريع
المخصص للسيارات وفي شقة مطلة على المنزل بعمارة شاهقة
جلس الرجلان المكلدان بمراقبة منزل (أبو خطوة) من النافذة
وأحدهم يغله النوم وهو يقول للأخر:

- مش قادر أنا هيغمى عليا، إحنا دلوقت الساعة 3 بعد
نص الليل ومفيش حاجة حصلت.

تلر الرجل الثاني في التلسكوب المقرب المنصوب أمام النافذة وهو يقول بعصبية:

- عايز تنايم تعملي لنفسك قهوة.. وابقى اعملّي معاك، بس نوم مفيش، إنسى، (جابر) باشا قالنا إن النهارده من النهار لحد بكرة الصبح عنينا ماتغفلش ثانية عن البيت، ونبلغه بأي حاجة تحصل في ساعتها بالتلفون.
- أنا زهقت من القعدة كده قدام البيت كل يوم.
- مش بتاخد مرتبك ومكافأة كمان لو بلغت بحاجة، عايز إيه تاني؟

جري إيه يا بني إنت معايا والامع...
قطع الرجل عبارته عندما شعر بضوء أبيض قوي يأتي من الشارع، نهض من مقعده واقترب من النافذة يدقق من خلف زجاجها في الشارع، فوجد ضوءاً أبيضاً يشع من نقطة أمام بوابة المنزل وأبخرة بيضاء تدور عكس عقارب الساعة.

- بسم الله الرحمن الرحيم، إيه ده؟
- رد عليه الرجل الجالس خلف التلسكوب:
- مش قُلتلك فيه حاجة هتحصل.
- اختفت الأبخرة وانطفأ الضوء ولكن ظهر جسد (جعفر)

اتى على وجهه أمام المترزل وملابسها بها بعض الحروق وقطعة منها يظهر بها لهب ناري انطفأ بعد اشتعاله بشوان.

- إيه ده جثة؟

قالها الرجل الواقف خلف زجاج النافذة وهو يلصق وجهه بالزجاج بينما الرجل الآخر ينهض من خلف التلسکوب وهو يذهب لمذكرته ويكتب بها التاريخ والساعة والدقيقة ثم يصف ما رأه، ثم أخرج هاتفه المحمول وطلب رقمًا وانتظر حتى رد عليه الطرف الآخر.

- لا مؤاخذة يا (جابر) باشا على.. أيوه حصل حاجة حاًلا، فيه نور أبيض طلعم من قدام البيت وانطفى ومكانه لقينا جثة شاب، طب نعمل إيه؟ أبلغ مديرية أمن القليوبية؟ على فكرة يا باشا أنا أعرف ظابط في قسم القناطر الخيرية هايبيقى أسع.. آسف يا باشا هاعمل اللي حضرتك قلت عليه.. تحت أمرك.. في رعاية الله.

أغلق الرجل الخط بأدب شديد وكأن حدثه يراه في هذه اللحظة ويريد أن يظهر له الاحترام والطاعة، بينما الرجل الآخر يقول بلهفة:

- تعالى بصن كده، أنا شايف حاجة غريبة.
وقف الاثنين يحدقان في الجثة الراقدة أمام المترزل، ولكن

عن باب المنزل الداخلي خيل إليهما أنها يربان شخصاً يرتدي السواد، الظلام منع دقة المشاهدة لكن هذا الشخص اختفى فجأة أمام بوابة المنزل لكن ظهر ثانية وكأنه ينظر لهم ثم اختفى نهائياً.

نهض (عمر أبو خطوة) من على فراشه متتفصلاً ينظر حوله لظلام غرفة نومه حتى سمع صوت زوجته يأتي من جانبه على الفراش تسأله عنها به.

- أنا فين؟

نهضت هي وأضاءت مصباحاً صغيراً على الكومود بجوار الفراش أجر (عمر) على غلق عينيه من الضوء وهي تفتح عينيها بثاقل وتسأله:

- إنت كنت بتحلم؟

- لا.. أنا.. أنا كنت في بيت جدي.

- وحلمت بيأيه؟

فألت منه صرخة بعصبية وهو يخبرها وجسده يتنفس:

- مفيش حلم.. أنا.. أنا كنت في بيت جدي و.. ومش فاكر، لا أنا فاكر.

فتحت هي عينيها مندهشة من نبرة صوته وربت على جسده بحنان وهي تقرأ المعوذتين، أما هو فأغمض عينيه محاولاً تذكر ما الذي دار بعقله، هناك اسم يتردد داخل ذاكرته.. (جعفر)، وهناك مشاهد وصور وروائع يحملها لكنها متفرقة وكلما حاول تبيّنها أكثر كلما هربت من عقله، هناك منزل جده وهو يحفر في أرض غرفته، وهناك شاب يعلم تمام العلم أن اسمه (جعفر)، وهناك بعض الأتربة وصوت رصاص وألم بظهره، فتح عينيه ويلل شفتيه بلسانه وهو يتظر لزوجته ويقول بتساؤل: - (جعفر).

ظهر على زوجته بعض الغباء للحظات لكنها تنهدت براحة وهي تقول:

- آه إنت شُفت اللي اسمه (جعفر) في حلم تاني؟

- إنتي تعرفي الشخص ده؟

- أعرف مين، هو مش إنت بقالك سنة بتحلم بواحد بيجيلك اسمه (جعفر) و كنت بتشوف معاه جدك (أبو خطوة).

- أنا كنت باحلم بواحد اسمه (جعفر)؟

قالها (عمر) بدهشة انتقلت لزوجته وهي تنظر له غير مصدقة وتقول:

فيه إيه يا (عمر) دا إنت كنت مصدّع راسي بالأحلام دي
كأنها مسلسل عربي، دا حتى آخر حلم حكتيلي عنه إنك شفته
هايقابللك في جامع الحسين.

تأمل وجهها كأنه يتوقع أن تكون كلماتها مجرد مزحة ثم
نهض من الفراش وارتدى خُفَيْه وزوجته تُسأله عن وجهته
لكنه خرج من الغرفة مغلىقاً بابها وراءه وهو يسير جريأَا ناحية
غرفة مكتبه في الطابق السفلي، دخلها وجلس على أقرب مقعد
له والظلام يحيط بالغرفة وهو يحاول تجميع أفكاره عن (جعفر)
هذا الذي تقول زوجته أنه حلم به كثيراً وهو لا يعرفه ومتأكد
أنه يراه لأول مرة في خياله الآآن، أو بشكل أدق يشعر أنه لا
يتخيل بل هو يرى مارأى من ذكرياته وهو ما أربعه.

شعر بجفاف حلقه فبلل شفتاه ثانية وتنفس بعمق وهو
يقف وينظر في الظلام حوله مشبِّكاً يديه خلف ظهره كأنه
قائد عسكري، أغمض عينيه وترك ذكرياته تنساب، (جعفر)
يظهر بعقله كصورة ضبابية يرتدي ملابس عادية؛ سروالاً
وقميصاً باللون الأسود، لكن صورته ترتعش وتبيهت ويشعر
بالخوف عند تخيل تلك الصورة.. تختفي صورة (جعفر) وتتغير
ملابسه لتصبح ملابس بألوان أخرى، يرى نفسه يجلس معه
داخل مكتبه ومعهم (هيئم) أحد رجاله الذين يحضرون له

حمليات فتح المقابر، الذكرى مشوهة لكنه يرى (هيثم) يخبره بمنزل بأسفله مقبرة عليها مشاكل ويريدون فتحها، نعم هو الآن يتذكر مقابلة حقيقة عن هذا المنزل لكن لا يتذكر وجود (جعفر) بها، هل يتخيل، تخفي الصورة بعقله وتأتي محلها صورة أخرى له يقف بجانب (جعفر) داخل مقبرة غريبة وحو لهم أناس لا يعرفهم يتصارعون معه ثم (جعفر) هذا يتلو قسم (زكاروت) فتهدم جدران المقبرة.

انقطع سيل الذكريات فجأة من عقله ففتح عينيه في ظلام الغرفة وقد قرر أن يستدعي خدمه من الجان ليسأهم، اعتمد على حاسته بمعرفة مواضع غرفة مكتبه وهو يذهب لزر الإضاءة ويشعل الضوء ليثير مكتبه، نظر بجانبه وهو يقول بملل:

- بحق دعوة (سلیمان) وبنور ساطع قلب جاداته إنه من (سلیمان) وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أحضروا في وقتي و ساعتي يا من دخلت بطاعتي، دعوة مجابة بالوقت وال الساعة.

قال عبارته وهو يمسح بيده على رأسه ليقيق من آثار النوم وعاد للنظر بجانبه فلم ير شيئاً، أعاد العبارة مرة أخرى فكانت نفس التبيجة، تبدل وجهه وطارت بقايا النوم من عقله وهو يجري ناحية مكتبه ويبحث عن أحد الروابط بينه وبين خدمه

يُدرج المكتب وهو يفكّر أنه لم يعد يستخدمها منذ سنين طويلة، فتش في الأدراج بجهون حتى وجد سبيكة فضية رسم

عليها



أزاح من على السبيكة بعض ذرات تراب تكونت عليها من قلة الاهتمام بها برغم حفظها في علبة صغيرة، كما انتشر الصدأ بها في أكثر من موضع، وضعها على سطح المكتب وجلس بجانبها مفكراً أنه لم يختج إليها منذ صنع عهوده فهو يقرأ قسم جلب بسيط ليظهر له خدمه من الجن لأنهم يرافقونه في أغلب الأوقات، لكنه طرد عن فكره أن هناك مصيبة أو مشكلة وابتلع ريقه بصعوبة وهو يضع أصابعه على السبيكة ويبداً باستدعاء خدمته ليظهر له أحدهم:

- بقسم منير في هيكل (سلیمان) أخذتوه عند الباب الكبير أبدأ
بناء وجلاء على مسیر الأکوان وحالق الأزمان بالعزّة والسلطان،
بهیة مکلم الشعبان وخاضع الجان، الضارب بالسیفین الطاعن
بالرحمین، ملوك الأيام يأخذون حلّـنا وزجرنا من عهدي مع
(روقبائل) وأعوانه بـالـا يمسوا عهدي أنا (عمر) بن (فضل

تَبَّينَ بْنَ (سِيد) عَهْدًا إِلَى جَدِنَا الْأَكْبَرَ (أَبُو خَطْوَةَ) وَبِرَجَالِ مِنَ الْجَانِ أَتَوْا مِنْ أَصْلَابِ أَعْوَانِ أَجَدَادِي بِدَاعِجِ مِيعُوجِ وَكَلْكِيَائِيلِ وَسِيقَائِيلِ، مَالِكٌ إِلَيْكَ أَتَ تَعْنِينِ، اظْهِرُوهُ وَافْتَحُوا الْحِجَابَ.
تَوْقِفُ عَنِ الْكَلَامِ وَهُوَ يَنْتَظِرُ حَوْلَهُ فَلَا يَرَى نَتْيَاجَةً فَأَكْمَلَ بِصَوْتٍ أَعْلَى هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الصِّرَاطِ:

- بَشِينُو وَيَشِلُومُ عَلِيُخُو بَشِينُو وَيَشِلُومُ عَلِيُخُو، ادْخُو لَيْبُو
وَدَنْ لَبِيَتو.. هَذَا عَهْدِي وَتَحْيِطُ بِكُمُ الْأَسْمَاءَ تَكْبِلُكُمْ بِدُعَوِي
الْجَلْجُوتِيَّةِ..

تَوْقِفُ عَنْ تَكْمِلَةِ الْعِبَارَةِ بَعْدَمَا التَّقَطَّتْ عَيْنَاهُ حَرْكَةُ مِرْتَعِشَةٍ لِوَرْقَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الْمَكْتَبِ، رَفَعَ يَدِهِ مِنْ عَلَى السَّبِيَّكَةِ الْفَضْيَّةِ وَوَضَعَهَا عَلَى الْوَرْقَةِ لِيُثْبِتَهَا لَكُنَّهُ شَعْرٌ يَدِهِ تَصْطَدِمُ بِيَدِ مِشْعَرَةِ خَلْقِيَّةِ، سَحْبَ يَدِهِ مَلْسُونًا فَوْجَدَ أَمَامَ الْمَكْتَبِ يَظْهُرُ مِنَ الْلَا
شِيءٍ جَنِيٌّ قَصِيرٌ، نَحِيلٌ، بِرَأْسٍ ضَخْمَةٍ وَعَيْنَيْنِ مَسْحُوبَتِينِ وَفِمْ بَارِزٌ وَالْشِعْرُ يَتَشَرَّبُ بِجَسَدِهِ.. تَعُودُ (عَمْر) أَنْ يَقُومَ الْجَانِ
الْمَرَاقِفُونَ لَهُ بِإِظْهَارِ الْجَانِ الْآخَرِينَ لَهُ لَا أَنْ يَتَشَكَّلُوا بِشَكْلِ مَادِيٍّ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَادِيَّةِ، لَكُنَّهُ بِمَجْرِدِ تَدْقِيقِهِ لِلنَّظَرِ وَجَدَ جَسَدَ
الْجَنِيِّ يَمْتَلِئُ بِالْخَرُوقِ الْكَثِيفَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لَمْ يَشَاهِدْ مَثَلَهَا، فَتَحَقَّقَ
الْجَنِيُّ فِمَهُ لِيَتَكَلَّمَ لَكُنْ خَرَجَ مِنْهُ صَوْتٌ أَشْبَهُ بِالصِّرَاطِ تَبَعَهُ كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ:

- (جَعْفَر)..

أَرْتَعَشْتَ شَفْتَا (عَمْر) بَعْدَ أَنْ رَدَّدَ اسْمَ (جَعْفَر)، اسْتَنَدَ الْجَنِيُّ

حافة المكتب وهو يرفع يده المخلبية اليمنى باتجاه رأس (عمر) الذي فهم ما يريده الجني من خدمته ويريد أن يضع يده على رأسه ليفتح له الرؤيا ليرى بقية الجان المتواجددين بالمكان، لم يترك نفسه للدهشة وجرى ناحية الجني الظاهر عليه اقترابه من الموت وقرب رأسه منه ليضع الجني يده قبل أن يختفي على رأس (عمر) الذي شعر بألم بسيط تعود عليه طوال حياته أعلى عينيه ثم انفتحت الرؤبة من حوله وألوان الموجودات تحول إلى اللون الرمادي.

كاد أن يصرخ فزعاً مما شاهده، حيث خدامه من الجان ملقاء حوله في كل مكان وكلهم يعانون من الحروق، لم يشاهد كل هذا العدد من الجان مقتولاً من قبل برغم كثرة خبراته، سمع صوت الجني في أذنه ضعيفاً يقول بوهن شديد:

- (جعفر) جابك هنا بعد يومين.

تركيب الجملة لم يفهمه (عمر) لكنه صرخ:

- مين اللي قتلכם؟

- (جعفر).

اختفت الرؤبة تدريجياً وعاد ليري بشكل طبيعي ففهم أن الجني مات، في نفس اللحظة سمع من بعيد صوت جرس باب شقتة يرن يالخاخ، جرى ناحية باب المكتب يفتحه وهو يخرج منه جرياً متوجهاً إلى صالة استقبال شقته والجرس يرن بجنون،رأى

ادمته تهرب ناحية الباب لتفتحه وهي تزيل آثار النوم من على وجهها لكنه نهرها وأمرها بالانصراف وهو يقف أمام الباب وينظر من عينه السحرية، رأى رجلاً عجوزاً يقف متسلماً وهو ينظر ل ساعته .. في الأوقات العادية كان (عمر) ويسبب خدمته من الجان يشعر بقوة لا حدود لها لكنه الآن خائف من فتح الباب لعجزه متهالك.

وكان العجوز عرف أن (عمر) يقف خلف الباب فاعتدل وهو ينظر للعين السحرية وهو يقول:

- أنا (جابر عبد السيد)، افتح يا (عمر) ما تخافش أنا جايلك علشان أفهمك إيه اللي بيحصلك.

- تعرفي منين؟
قالها (عمر) بصوت حاول أن يجعله متواسكاً لكنه خرج مرتعشاً.

- أعرفك من ساعة ما اتولدت، وجاي علشان أكلمك على (جعفر).

فتح الباب بحذر وهو يتأمل (جابر) بعين خبيرة يحاول تقييمه حتى دلف هذا الأخير داخل الشقة ببساطة وهو يتثاءب ويقول:
- معلش يا ابني بس أصلي سهران وأنا متعود أنام بدرني ..
ممكن نتكلم في أوضة المكتب.

أشار له (عمر) ناحية الغرفة المفتوحة ليتقدمه (جابر) إليها

دخلها وجلس على إحدى المقاعد و(عمر) يدخل من ورائه ويغلق الباب لكنه تصلب في موضعه عندما سمع صوت (جابر) يقول بشكل تقريري:

- الجن اللي بيستخدموك انتقلوا أو مش عارف تواصل معاهم
صح؟

نظر له (عمر) بوجه غاضب وصوت تنفسه يعلو وهو يقترب منه بينما (جابر) تظهر الدهشة على ملامحه وهو يقول بسخرية:

- إيه يا ابني وَش الدراما اللي إنت عامله ده، أنا عارفك من زمان ما بتحبش التمثيل، خُد الموضوع ببساطة أنا جاي أفهمك.

توقف (عمر) عن التقدم وتراجع خطوتين ليجلس هو الآخر على مقعد ينظر جابر محاولاً الحفاظ على تعابير وجهه.

- وحضرتك يا أستاذ (جابر) تعرفي منين؟

- من قبل ما تتولد وبعد ما اتولدت وفي كل وقت.

- أنا مش فايق أسمع تخاريف العواجيز ده.

- طب يا سيدى اسمع.. إنت كنت تعرف واحد اسمه (جعفر) لكنك مش هتفتكر أي حاجة عنه، اللي حواليك هايتفتكره لكن إنت لا، مثلاً (هيضم) الراجل بتاعك.. إلا هو إيه أخباره دلوقت؟

- إنت تعرف (هيضم) كمان؟

قالها (عمر) بسخرية محاولاً الظهور بمظاهر السيطرة على

وقف برغم تحبشه من الداخل فابتسم له (جابر) وهو يكمل:

- طبعاً أعرفه، دا حبيبي، هو كان هايديك في داهية أكثر من مرة بس طيب، أهو (هيضم) شافك مع (جعفر)، ولو اتصلت بيه وسألته هايا كذلك كلامي، ولو سأله على (أليكسندر).

قاطعه (عمر) وهو يميل بجسده للأمام ويقول:

- إنت تعرف (أليكسندر)؟

- إنت فاكر عنه إيه؟

- مش هو ده اللي بيكلمني بقاله فترة عايز يدخل بيت جدي.

قال (عمر) عبارته وتوقف فجأة وخاليه يريه مشاهد يعتقد

أنه يرى نفسه يدخل منزل (أبو خطوة) مع رجل أوربي الهيئة.

- إنت دخلت معاه البيت يا (عمر).. وكان معاكم (جعفر).

نفنس (عمر) الخيالات عن رأسه وهو يقول:

- أنا مدخلتش البيت مع حد.

- دخلت وكمان فتحت البوابة اللي بتنزل تحت.

- إنت بتتكلم بشقة كده ليه؟

تغيرت نبرة (جابر) وأصبحت حادة وهو يقول:

- إنت مش هتصدق اللي هقوله لكن إنت دخلت البيت وكنت هتموت فيه لكنك رجعت بالزمن لأيام، يعني رجعت النهارده و(جعفر) اللي جوه البيت مسح ذكريات منك علشان

ماتحاولش تدور جوه البيت تاني وتبوظ خطته، وأكيد بتجيلك ذكريات وهاتجيلك أحلام من حياتك السابقة تحاول تفكرك إنت مين وإيه الأحداث الأصلية اللي عشتها، لكنها هتفضل جواك وممش هتفهم منها حاجة.

- أنا مش فاهم حاجة منك أساساً.
- عنك ما فهمت.

قالها (جابر) ونهض فنهض (عمر) متحفزاً لكن (جابر) اتجه ناحية المكتب وبحث حتى وجد ورقة فارغة ثم أخرج من جيده قلماً وبدأ في رسم خطين متوازيين وكتب بجانب الخطين عام 2005، اقترب منه (عمر) ونظر للورقة لكن عينيه وقعا بالصادفة على يد (جابر) وذلك الخاتم المميز الذي يزين أحد أصابعه.. لعلت عيناه وهو يتذكر هذا الخاتم الفضي وخاصة أن هناك كتابة بخط دقيق على فص الخاتم لا يمكن قراءتها إلا بعدسة مكبرة لكنه عرفها منذ وقوع عينيه عليها لأنها طلاسم استخدمتها عائلته وكل من تدرّب تحت أيديهم في عالم الجن، لكن الخاتم نفسه كان متأكداً من معرفته.

- إنت لابس خاتم عليه خدام من الجن؟

انتبه (جابر) للخاتم وقال بحرج:

- مافيهوش جن ولا حاجة، مش ده الخاتم الأصلي بتاعي، دا أنا عملته وأنا كبير في السن علشان يفكري بنفسي.

- مش فاهمك بس الطلاسم اللي على الخاتم شبه..

قاطعه:

- طُظ.. المفروض ماكنتش أقابلك وأنا لابسه بس ذاكرني
بقت زي السمك البوري، ثم إنت كده كده مش هتفتكر حاجة،
ركز بس في اللي هاقولهولك.

وأشار للورقة وقال:

- اعتبر إن ده نهر النيل، عايز تخيل إن حياتنا ماشي زي
النهر ده بالظبط، وسنوات حياتك مكتوبة على ضفاف النهر زي
السنة دي بالظبط، 2005، فاهمني؟

- هو إنت قلت حاجة علشان أفهم!

- بطل لماضية وركلز، دلوقت لو تخيلنا إنتا عملنا كده في النهر.
طبع عبارته بأن رسم فرعًا صغيرًا يخرج من النهر عند عام
2005 وهو يقول:

- إيه اللي إنت شايفه؟



- ترعة خارجة من النهار.
- ترعة !!.. ماشي نعتبرها ترعة، الترعة دي لو خرجت وفضلت ماشية بمحاذاة النهار هيحصلها إيه؟
- مش عارف.
- الترعة مع الوقت مش هاتقدر تشق طريقة لها لوحدها

ـ وهتف عند نقطة معينة وهيحصلها جفاف مع الوقت، أو هاتحرف ومسارها هايرجع نهر النيل تاني، يعني في كل الحالات الترعة اللي خرجت في 2005 مش هتأثر على مسار النهر مظبوط؟

ـ آه تمام.

ـ ده اللي حصلك وحصللي، إحنا في فرع من النهر، مجرد فرع لازم يختفي، عمره ما هيكون نهر لوحده، لكن لو تخيلت معايا اني عمقت الفرع أو الترعة زي ما إنت بتسميها وخرجت فرع تاني سنة 1993، الفرع ده هايتحم مع الفرع بتاع سنة 2005 ويكون فرع قوي موازي للنيل، لكن برضو مش هنقدر نكون نهر كامل والمياه اللي حاجة من المصب هاتفضل تروح معظمها في النهر الرئيسي.



- أنا زهقت من الفقرة الزراعية دي ممكن حضرتك تقولي
إيه الحكاية.

- إحنا مش في زمانا الأصلي يا ابني، أنا وإنت وأهلك وكل
اللي حواليك مجرد فرع من النهر، مش حقيقين، عالم مؤقت
بينهار كل مرة، والزمن بيرجعنا تاني للنهر مهما طال الوقت.

- حضرتك مجنون؟

صرخ فيه (جابر):

- احترم نفسك يالا، جدك نفسه الله يرحمه كان مايقدرش يقول كلمة زي دي.

- حضرتك تعرف جدي؟

ألقى (جابر) بالورقة وعاد ليجلس على مقعده وهو يطرد آثار النوم من عينيه ويقول:

- أيوه يا سيدى، والمصيبة إنى مش عارف أفهمك إزاى، بص يا (عمر) أنا هاعرفك شوية أسرار بس على شرط واحد، إنك تنفذ اللي هقولك عليه وتستنى لحد سنة 2007 علشان تعرف المهمة اللي المفروض تنفذها.

- مهمة هانفذها؟

- المهمة اللي إنت المفروض تعاملها أصلًا، إنك تكون مكان (جعفر) وتنهي كل حاجة.

نزل (جابر) من العمارة التي يقطن بها (عمر) ليصطدم بابنه (سلیمان) الذي ينتظره بجانب سيارته الملاكي والذي جلس في مقعد السائق ووالده يفتح باب السيارة ويجلس بجانبه.

- نرجع على البيت يا بابا.

- آه بسرعة.. تلاقي أمك ماسكة الشبشب ومستينياني، ولا تلاقيها نامت أساساً.

ابتسم (سلبيان) بطرف فمه، لكن عينه تأثرت وهو يسعل ليتمكن من أن يقول:

- ماما ربنا يرحمها من سنة.

ابتسم (جابر) وهو يقول بمرح:

- ما أنا عارف، أنا مانسيتش، بس شبشب أمك محدث
نساء.

نظر بعدها أمامه وقد تجمدت الابتسامة على وجهه لدقيقة حتى ابتلع ريقه وهو يقول محاولاً الحفاظ على ابتسامته:

- مش عايز تسأل أنا كنت عند (عمر أبو خطوة) ليه؟

- لو إنت عايز هتحكيل.

ساد الصمت في السيارة و(سلبيان) يتحرك بها حتى قال له (جابر):

- صحيح أمك هي اللي ربتك لكن أنا ماكتتش قاعد طيشة، وعارفك وعارف اللي بيدور في بالك، ومتأكد إنك بتدور على اللي بعمله من ورايا بس مش هنوصل حاجة لأنها حكاية معقدة.

- هو اسم ماما الحقيقى إيه؟

- (حنفى).

لم يضحك (سليمان) بل نظر لوالده الذى قال ببروده:

- إنت مصمم تعرف كل حاجة.

- أنا عرفت حاجات لكن مافهمتهاش، أنا متأكد إن حضرتك غيرت اسمك في شبابك إنت وماما علشان تهربوا من حاجة، متأكد إن ليك صلة قرابة بـ...

- إنت ظابط بوليس فمش هتفهم في الحاجات اللي باعملها ولو فهمت هتبظ كل حاجة، ولو فاكر نفسك لو سمعت اللي دار بيبي ويين (عمر أبو خطوة) إنك هتوصل حاجة تبقى عييط.

تبعد (جابر) عبارته بأن بحث في جيوب بذلته حتى أخرج قطعة بلاستيكية في حجم العملة المعدنية ووضعها على تابلوه السيارة وهو يقول لسليمان الذي شعر بالخجل:

- حاطط في جيب بذلتي البتاعة دي علشان تسجل عليها الحوار اللي هيدور من غير ما أعرف، أنا ما عرفتش هي بتشغل إزاي فسيتها في مدخل العمارة لحد ما أخلص.

- بابا.. أنا ما أقصدش.

- ياد عيب دا أنا على قديمه أيام الخير كله، أيام ما كان جهاز التصنت جهاز تصنّت بجد، كان شبه الميكروفون وبنخبيه جوه الخيطه، إنما الدنيا اقللت بركتها وصغروا الأجهزة، على فكرة البتاع ده إنت مش جاييه من وزارة الداخلية دا صناعة أوروبية ومكتوب عليه كود تجاري، إنت خليت حد يشتريهولك من بره؟

- افهمني يا بابا، أنا خايف عليك علشان كده بحاول أتابلك.

- حاول براحتك ولو عرفت بيقى حرك، مش هالومك، لكن لو مشيت على كلامي هترتاح وتربيح الكل، قولى أخبار (جعفر) إيه؟

- دلوقت زمانه في قسم القناطر وأنا بتابعه.

- وعيلة (الدهان) اللي في (أبو النور)؟

ظهر على وجه (سلیمان) الحيرة كأنه يريد أن يخبر والده بشيء لكنه ينوي في نفس الوقت التراجع.

- قول يا (سلیمان) لقيت إيه عن العيلة دي؟

قال (سلیمان) بوجه بارد محاولاً كبت أسئلته التي قاربت على الفوز من داخل رأسه.

- فيه محاضر في أرشيف أمن الدولة، وإذن نيابة بالقبض على واحد اسمه (عبد الفتاح الدهان) و(سيد أبو خطوة)، والتحقيقات فيها اسمك وإنك على صلة صداقة بالاثنين دول وبتزور قرية أبو النور بانتظام، وإنك ...

قاطعه (جابر) بهدوء:

- دا كلام قديم من حوالي ٣٠ سنة ومش مهم، أبيوه أنا كنت أعرفهم وعلى صلة بيهم أنا عايزة تراقب ..

- يا بابا كفاية كده أنا زهقت، قولي فيه إيه؟

قالها (سلیمان) بغضب وارتاعشه في نبراته فنظر له (جابر) بطرف عينيه وكاد أن يقول شيئاً لولا أن هاتف والده المحمول رن فرداً عليه وهو يتحدث لشخص ما في الهاتف سائلاً إياه عن شخصيته، ظهر الخوف والرعب على ملامح (جابر) وهو يعتدل في جلسته، تنامى لسامع (سلیمان) صوت يأتي من ساعة الهاتف المحمول يأمر (جابر) بالعودة لمنزله، الغريب أن (جابر) ارتبك وهذا ما لم يره (سلیمان) كثيراً بحياته، حتى لون وجه (جابر) قد احمر وتنامت بعض حبات من العرق على وجهه وهو يردد برباع:

- أنا.. أنا جاي.. إوعى تمشي أنا جاي حالاً.

أغلق الخط وهو ينظر إلى (سلیمان) ويأمره بأن يزيد من

سرعة السيارة ليصلوا للمنزل بأسرع وقت، نفذ (سلیمان) الأمر وهو يلقي بنظره من وقت لآخر ناحية والده ليجده ينظر أمامه مفكراً وعلامات ارتفاع الضغط تتجلّى عليه حتى أن (سلیمان) خاف من سؤاله عن محدثه على الهاتف معتمداً على أنه سيعرف في النهاية واكتفى بسؤاله كل بضع دقائق عن حالته الصحية فيتلقى من والده بنبرة آلية:

- الحمد لله.

بعد أكثر من نصف ساعة اقتربت السيارة من المنزل و(جابر) يحرك عينيه بسرعة باحثاً عن شيئاً ما في الطريق الصحراوي الذي يطل عليه المنزل، حتى وصلت السيارة إلى بوابة المنزل الرئيسية و(جابر) يخرج جهاز فتح البوابة من جيده ويضغط على زر فتح البوابة الضخمة، فجأة أمره (جابر) بأن يتوقف، ونزل من السيارة تاركاً (سلیمان) حائراً من كل هذا الغموض، حتى تابع هذا الأخير عينيه والده وهو يسير بجانب المنزل حتى وقف أمام شاب في العشرينات من عمره وجهه يغرق في الظلام لكنه تأكد بأنه لم ير هيئته من قبل، سمع صوت والده يقول صائحاً:

- إنت جيت تاني ليه؟ أنا باعمل كل اللي اتفقنا عليه.

- (عمر) عرف اللي مطلوب منه؟

قالها الشاب ببرود وبصوت أحش جابر الذي وقف أمامه، هنا لم يستطع (سلیمان) الانتظار في سيارته فنزل منها وهو يتجه إلى والده الذي قال للشاب:

- أيهه، مافهمتوش كل حاجة لأنه مش هايفهم، بس ماتنساش إن ميعادنا في 2007 إيه اللي جابك السنة دي؟ هنا اقترب (سلیمان) من والده المفعول الواقع أمام الشاب الذي قال بنبرة لائمة:

- مش واثق فيك، إنت بتتحاول تتحرك بره اتفاقنا.

كانت صورة الشاب اتضحت لسلیمان ليجده شاباً في العشرينات، ملابسه غير مهندمة تتلطخ ببقايا أتربة في بعض الموضع، وشعره يقول بأنه لم يتعرض للمياه منذ أيام ب رغم من محاولة ترميمه الفاشلة، تأكد (سلیمان) بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا يعرفه ولم يره من قبل؛ لذلك صرخ فيه صائحاً:

- فيه إيه ياد ما تتكلم مع دكتور (جابر) باحترام.

نظر له الشاب وتأمله من أخص قدميه إلى أعلى رأسه ولم يرد عليه بل نظر لجابر وقال:

- إنت خايف على (سلیمان) صبح؟، أنا حذرتك قبل كده إنك ماتخلفتش وإنك خالفت كلامي.

ـ (سلیمان) يده وأمسك بملابس الشاب جاذبًا إيه نحوه

صائحاً:

ـ بقولك إنكلم معاه عدل يـ...

انتقض (سلیمان) للوراء بعدما شعر بألم جسدي مفاجئ بمجرد أن لامست أصابع يده جسد الشاب، وقع أرضاً صارخاً من ذلك الشعور الغريب الذي ذكره بحادثة عادية في طفولته عندما تعرض لصعقة كهربائية بسيطة من مفتاح كهربى في منزله، نفس الصدمة ونفس الألم.

جثا (جابر) على ركبتيه بجانب (سلیمان) بلهفة يطمئن على جسده ثم نظر للشاب وقال بدهشة:

ـ جسمك فيه شحنات كهرباء زيادة؟
أوما الشاب برأسه إيجاباً وهو يقول:

ـ آسف يا (سلیمان) ماقصدتني أضررك، جسمي بقى بالشكل ده من كتر دخولي بيت (أبو خطوة).

ساعد (جابر) ابنه على النهوض وأخذ بشكل أبيه يزير التراب عن ملابسه حتى انتهى وعاد ينظر للشاب وهو يقول:

ـ جسم (عمر) اللي جوه البيت زي جسمك كده صبح؟

ـ لا.. جسمه بقى شبه شحنة الطاقة، ولازم يكون تحت البيت في أغلب الوقت علشان جسمه يكون جنب مصدر طاقة عالي، وإلا يموت.

نظر (جابر) للأعلى متأنلاً السماء وهو يفكر بصوت مسموع
مغمضاً:

- (جعفر) جسمه مش هايتحمل وهو جوه البيت
وهيموت بس إمتى؟ مفيش وقت محدد.

رد الشاب ببرود وبطريقة رتيبة:

- ماتفكريش إنك تسييه جوه البيت علشان يموت لوحده
أو إنك تستدرجه بره البيت وتقتله، الوقت عنده جوه البيت
مختلف عن الوقت عندك، هيكون عمل ألف حاجة قبل ما
تلحق إنت تقتله.

- أنا مش عايز أقتله، أنا عايز أحل المشكلة من غير ما حد
يموت.

قال عبارته بنبرة أقرب للحزن ناظراً في عيني الشاب الذي
نظر لسلیمان وقال:

- (سلیمان) أبوك هايفهمك بعدين لكن اتفكر إنك
هتشوفني بعدين واحتلال تتعامل معايا، إوعى تحكي حاجة
من اللي شفتها ليا.

رفع (سلیمان) حاجبيه وفتح فمه ليخبره أنه لا يفهم لكن
(جابر) قال بسرعة:

- (سلیمان) ماتخاولش تفهم حاجة، ركز في اللي هقوله

لـ، لو قابلت الشخص ده تاني اعرف إنه مش اللي إنت بتتكلم معاه دلوقت، دا واحد تاني وإوعى تعامله على إنه عدو أو صديق، فاهم حاجة؟

- لا.

- هافهمك بعددين، ادخل دلوقت البيت واتأكد إن (نهرة) مش صاحية ولو صاحية قولها بابا بيقولك ماتخرجيش من أوضنك لحد ما بيقولك.

- مش هاسيبك واقف معاه يا بابا.

- يا بنى افهم دا صاحبى.

- صاحبك!

ابتسم (جابر) وهو ينظر للشاب ويقول:

- هو فرق السن بينا كبير، وحقيقة هو مش صاحبى في الوقت اللي إحنا فيه، بس في الحقيقة هو صاحبى واتربينا مع بعض كمان.

أضاف الشاب بابتسامة ساخرة:

- والله ما حد عارف إيه اللي حصل وكنا أصحاب إزاي حتى؟

ربت (جابر) على ظهر (سلیمان) بحنان وهو يأمره ثانية

بالدخول للمنزل.. بعد اختفاء (سلیمان) المتشكك نظر (جابر)
للشاب الذي قال:

- (جابر).. لما جيتك في الستينيات طلبت منك ماتخلفشي
علشان إحنا مانعرفش إيه مصير ابنك لو نجحنا.

- تفتكر الحاجات دي بيتجي بالأوامر؟ (سلوى) كان
نفسها..

- (سلوى) مين؟

- (صفاء) يعني.

- آآآاه.. (صفاء) كانت موجودة وحضرت كلامي ومع
ذلك زنت عليك.

- كنا عايشين لوحدينا وهي احتاجت لأسرة، و...
قاطعه الشاب:

- وإن دلوقت بين نارين، تنفذ اللي قلتلك عليه ولا تلاقي
طريقة تانية تخلي كل حاجة زي ما هي.

- تعرف إن (سلیمان) عنده أولاد.

- وانت تعرف كام واحد مات في البيت يوم ما بدأ (جعفر)
يرجع بالزمن؟ طب قولي كام طفل اقتلوا في يوم المذبحة اللي
بين (الدهان) و(السلاموني) وكل طفل فيهم كان هايكر

ديبورز ويختلف، قولي ذنب (راضي) أو (دعاة) أو (عمر) إنهم يعيشوا حياة مش بتاعتهم، أنا ذنبي إيه حياتي تتلخبط.

- إنت عايز تغير في الزمن زي ما (جعفر) عمل.

صرخ الشاب:

- أنا عايز أعيش في زمني الحقيقي.. إنت بتضحك على نفسك؟ إحنا وجودنا غلط من الأول.

مسح (جابر) على رأسه يحاول أن ينفخ النعاس عن رأسه وهو يغمغم:

- مش قادر أصدق إني شايفك دلوقت.

سيطر الشاب على ثوبه غضبه وتنهد وهو يقول:

- ماتحاولش تواصل مع (أليكسندر) تاني، نمكן يعمل مشاكل.

- بالعكس أنا لازم أتواصل معاه لأنني محتاجه.

- ليه؟

- في الستينيات لما قُلتلي على المقبرة بتاعة (دهشور) اللي جنب الهرم الأحمر.

- مالها؟ مش إنت خليت (سيد أبو خطوة) يفتحها زي ما قلتلك؟

- أيوه فتحها فعلاً بس (أليكسندر) أخذ الحجر اللي كان في الحيطة بتاعتها ومحفظ بيه هنا في (حلوان) في بيت كان تابع لمشروع إيزيس.

نظر الشاب له وقطب جبينه وهو يقول ضاغطاً على مخارج الفاظه.

- إنت بتتكلم عن الحجر اللي بيشغل المقبرة صح؟
 أيوه .. الحجر موجود في الغرفة العلوية في المقبرة، أنا دخلت المقبرة بعدين وحفرت في أرض الغرفة ولقيت سرداد زي ما قلتلي ونزلته ونقلت كل أدواته عندي هنا في البيت، بس أنا متأكد إن الحجر مهم علشان يشغل الغرفة .. مش انت قلتلي إنك عايز تبني غرفة زي غرفة القبر بالظبط؟

سرح الشاب ناظراً للأرض ومررت ثوان قال بعدها:

- انت واثق إنك نقلت الأدوات اللي لقيتها تحت؟ على العموم أنا كنت عايزك تدخل (عمر) وفريق التصوير للبيت ومعاهم الأدوات دي علشان يرجعوا للعصر اللي عايش فيه (فرغلي المستكاوي)

- وإيه اللي هايحصل لو الأدوات دي مش معاهم؟

نظر له الشاب بشك وقال:

- (جابر).. إنت دخلت مقبرة (فرغلي المستكاوي) اللي في (باسوس) في الستينيات مع (أليكسندر) صح؟

- الأدوات اللي إنت بتقول إنك نقلتها من مقبرة (دهشور)
لقيتها جوه مقبرة (فرغلي)؟
- مش فاكر.
- إوعى يا (جاير) تبعتهم من غير الأدوات دي.
- إنت عايزة الأدوات دي علشان تبني مقبرة تانية جديدة
ولا عايزةها مدفن لفرغلي المستكاوي؟
- أنا لسه ما أعرفش (فرغلي) مات مقتول ليه وما أعرفش
هانتجع في بُنا الغرفة ولا لا، لكن أنا بفكرك إوعى تقدر بيا
لأني مش ضامن المستقبل هايحصل فيه إيه، لو (جعفر) نجح
في إنه يغير الزمن على أحداث محددة ممكن (سليمان) ابنك نفسه
يموت في حادثة عادي، إنت عارف إن الزمن هايحاول يمحيك
ويمحيكي ويمحي كل الأحداث.
- ماتخافش.
- هزورك تاني قريب، افتكر تحضير (عمر) للي المفروض
يعمله.
- قال الشاب عبارته وسار باتجاه معاكس للمتزل و(جاير)
صامت ينظر له وفي عقله تجتمع عشرات الاحتمالات لما يمكن
أن يحدث في المستقبل.

الفصل الثامن

في أيام

pdfelement

2007

مكتب فريق تصوير البرنامج

على مقعد المكتب جلست أفكر في الأحداث السابقة وأنا أنظر ل ساعتي بين الحين والآخر، (راضي) طلب مني أن أنتظره في المكتب، وكل نصف ساعة يتصل بي ويفيد أنه سيأتي، صوته في آخر نصف ساعة كان مريئاً، هرثت برأسى ونهضت لألين فقرات ظهري، فانفتح باب المكتب ودخل (راضي) علي وهو يحمل أوراقاً بيده.

لاحظت أن شاربه غير موجود فضحكـت وكدت أن أقول شيئاً لكن (نهرة) دخلت وراء المكتب وهي تنظر لي بشكـ.

- "أهلاً يا (نهرة)، هو (راضي) عملك حاجة؟"

قال (راضي) بجدية شديدة:

- "اسمع يا (حسام) دا بحث اتعمل على خطوط قديم من أيام (محمد علي) باشا، البحث ده كان عند دكتور (جابر) من

ـ مان، وده جزء من المخطوط بعد ما عرفوا يقروا اللي فيه.”
 وضع الورق في يدي، نظرت له مصدوماً من لمحته الجدية
 الغريبة، رفعت الورق وقربته من عيني فقرأت:
 ((الشكل النهائي للفقرة الأولى:)

بسم الله الرحمن الرحيم * أعرف أن ما أكتبه.. التصديق*
 لكنني رضيت بقضاء الله وقدره * أرسل هذه الرسالة إلى صديقي
 حسام عبد الوهاب المهدى وأتمنى أن تصدقني وتنجذبني مما...*
 أنا صديقك فرغلي المستكاوى * أجبرني جعفر على العودة
 بالزمن لهذا.. ومن حينها.. مسجون به*))

رفعت عيني من الأوراق ونهضت لا إرادياً من جلستي
 مفكراً في احتمالية أن يصنع بي (راضي) مقلباً غبياً غير أنه لم يكن
 من هواء هذه الأشياء، نظرت له ولنهرة التي جمع وجهها بين
 الغباء واللهفة وقلت ببطء:

ـ إيه البتاع ده لا مؤاخذة؟

سألتني (نهرة) بشك:

ـ إنت اسمك زي ما هو مكتوب في المخطوط فعلًا؟

ـ أيوه يا (دعاة) هو اسمه بالكامل.

قالها (راضي) بحكمة فنظرت له وأنا أقول بغباء:

ـ (دعاة) مين؟

- لا دي حكاية كده هاقولهالك بعدين، رکز إنت بس وكمـل
قراءة.

أعدت عيني للأوراق فوجدت كلاماً كثيراً عن تحليل أنماط الخبر المستخدم في الكتابة وعن درجة تشبع الورقة، مدّ (راضي) يده ليقلب الصفحات فوقعت عيني على صفحة كتب فيها.

((الشكل النهائي للفقرة الثانية:

رفعت عيني لها ولم أجد ما أقول فبادرت (نهلة) بالحديث
فائلة:

- طول الطريق (راضي) بيحكيلي كل حاجة عنكم وعن
بيت (أبو خطوة) بس أنا مش قادرة أصدق إن فيه خطوط قدام
سخاطلك.

رد عليها (راضي) فائلاً:

لو المخطوط ده بجد يبقى بدأت أفهم.

- فهمت إيه؟

صمت هو قليلاً ثم قال:

- مش عارف، أنا شكلني هايقى عييط لو قلتها.. السفر عبر الزمن.

- حلاوتك..

قلتها وأنا أضحك بطريقة عصبية وأعود لأجلس على مقعدي بينما (راضي) يخرج سيجارته المقرفة ويشعلها ليظهر بمظهر الحكيم وهو يتوجه للكمبيوتر الخاص به ويفتحه وهو يقول:

- كل حاجة بتقول كده برغم إن مفيش سفر عبر الزمن علمياً، لكن الفيديو اللي ظهرت فيه أنا وإن كنت في البيت كان متصور قبل ما نشوف (صفاء).

كان يقول عبارته وهو يفتح الكمبيوتر ويقوم بتشغيل الفيديو الذي تركته (صفاء) لي في بداية تعرفي إليها، الغريبة أن (راضي) لم يكن يتتبه لنهاية الواقفة بحرج بجانب باب الغرفة، أشرت لها أن تجلس وعدت لمطالعة الورق فسمعت صوتها يقول:

- هو إنت تعرف حد اسمه (فرغلي المستكاوي) عايش دلوقت معانا؟

قلت لها وأنا أهرب برأسي:

- ممكن يكون تشابه أسماء.

جاء صوت (راضي) وهو يقول باستنكار:

- أسماء دي تبقى ...

توقف عن إكمال عبارته وهو ينظر لنهلة محرباً وهي تسأله
بأدب عمن تكون (أسماء):

- لا دا (راضي) كان هايشتمني، إنتي متأكدة من اللي مكتوب
هنا؟

قبل أن تتكلم صرخ (راضي) وهو يشير للفيديو المشغل على
الشاشة أمامه وأظهر فيه أنا وهو ونحن ننظر للكاميرا الملقاة.

- شفتي أهوراي ما قلتلك وإحنا جاين، دا سفر عبر الزمن.

قلت أنا بعصبية:

- (فرغلي المستكاوي) لسه مكلمني قريب في التليفون حتى
إنت كنت معايا، يبقى إزاي بقى اللي مكتوب ده.

أخرجت هاتفي المحمول وطلبت رقم (فرغلي المستكاوي)
أكثر من مرة لأجد هاتفه المحمول مغلغلاً، جاءت آخر مكالمة بيبني
وبيئه كالذكرى في عقلني:

((رن هاتفي المحمول فففررت من المفاجأة وانتفض (راضي)
هو الآخر، التققطت أنفاسي ونظرت لشاشة الهاتف لأجد اسم

تي المخوب الذي يذكرني براضي بطالعني على الشاشة،
ضغطت زر الرد ووضعت الهاتف على أذني وأنا أقول بتعجل:

- مش وقت خالص يا (فرغلي) أنا مش فايف لـ ...

أتأني صوت (فرغلي المستكاوي) من الطرف الآخر للمكالمة
بصوت لاهث وهو يقول والصوت يتقطع:

- الحلم با..... بـ..... قق صاحبك ألو.

- يا ابني مش سامع حاجة.

- طب كده سامعني؟

- آه.

سمعت صوتاً غير مفهوم ثم صوت (فرغلي) كأنه يتحدث
مع شخص آخر ويقول:

- لا والله عيب تدفع إيه، دا معرفة الرجال كنوز.

ما الذي يقوله هذا الغبي هو الآخر، صوته يأتيني وهو يتعازم
مع شخص آخر على دفع أجراً ميكروباً، لا وقت عندي لهذا
الغباء، أغلقت الهاتف في وجهه ونظرت لراضي)).

المكالمة رغم ما يظهر من تفاهتها إلا أنها تحمل شيئاً ما في
بعض مقاطعها، هل كان يتكلم عن حلم له يتحقق؟ ومن هو
صاحب الذي يرافقه؟ هل ما أفكر فيه حقيقي؟ عاودت النظر
للأوراق بشغف أكثر هذه المرة وأنا أقول لنهلة بدون النظر لها:

- الورق ده جاييه منين؟

- ده ورق قديم كان عند دكتور (جابر) في مكتبته.

- قديم من قد إيه؟

- اقرأ تاريخ اللي عامل تحقيق للمخطوط هاتلاقيه محلله من حوالي 40 سنة.

قرأت فقرة أخرى تقول:

((الشكل النهائي للفقرة الثالثة:))

..... خديو مصر بتعييني مستشاراً بديوان المختصات *
 أنقل له رأيي في حروب صاحب العزة إبراهيم
 بكمال ما اتفق * بعد أن رأى مني نبوغاً وفهم الدقائق السياسية
 مع الفرنسيس منذ عام ألف وثمانمائة * لن تصدق
 من كان يلح على الخديو في حفر ممر مائي يربط البحر الأخر
 المتوسط، إنه ماتيو ديليسبيس والد ديليسبيس * نصحته
 بأن يهاطله بالموافقة في البداية * * فهو
 يحتاج للفرنسيس لدعمه السياسي * لكم أتمنى أن أخبره بكل ما
 أعرف أنه سيحدث في المستقبل ف))

رفعت عيني لنهلة التي تشاهد الفيديو و(راضي) يعيد لها
 بعض الماطع فقلت:

- هو الكلام قالب تاريخي ليه؟ بقية المكتوب كله كده؟

نارت هي لي وقالت وهي تشير للورق:

- في الأواخر هاتلافي مقاطع ممكّن تفيدك، كمان آخر جزء من المخطوط حروفه أوضّح برغم إني ماكتتش فاهماه لما قريته أول مرّة.

وصلت لفقرة تقول:

((الشكل النهائي للفقرة السابعة:)

قابلت عزام أبو خطوة مالك البيت* وعلمت بأنه يحرس مدخل لعالم يشبه خيالات ابن عربي في دخوله أرض الحقيقة* فرجال عائلة أبو خطوة هم يحرسون مدخل هذا العالم* وقد زودوا بما به حماية المدخل* وقد هالني لي حديث ابن عباس في كل أرض نبی كتبكم وأدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى* وأن عائلته يتحرّكون إن أرادوا ليحموا المدخل))

تحركت بعيري بعد انتهاء الفقرة لأجد ملاحظة كتبها محقق المخطوط تقول: ((كاتب الرسالة هنا يتنهج الخرافية والشعوذة وهو منحى غريب على من عمل مستشاراً للمحمد علي باشا الذي عرف عنه بغضه لمروجي الخرافات، وعلى أرجح القول فإن كاتب الرسالة يقصد أحد أحاديث ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملوكية والذي جاء فيه "إذا أراد واحد منا الدخول لتلك الأرض من العارفين من أي نوع

ان: من إنس أو جن أو ملك أو أهل الجنة بشرط المعرفة وتجرد عن هيكله وجد تلك الصور على أفواه السكك قائمين موكلين بها قد نصبهم الله سبحانه وتعالى لذلك الشغل فيبادر واحد منهم إلى هذا الداخل فيخلع عليه حلة على قدر مقامه ويأخذ بيده ويجهول به في تلك الأرض.

وفي الخروج من هذه الأرض يقول ابن عربي: "فإذا قضى منها العارف وطره وأراد الرجوع إلى موضعه مشى معه رفيقه إلى أن يوصله إلى الموضع الذي دخل منه يودعه ويخلع عنه تلك الحلة التي كساها إليها وينصرف عنه وقد حصل علوماً جمة ودلائل" ييد أن ابن عربي يتحدث عن تجليات صوفية لا عن وجود مادي لتلك الأرض، غير أن كاتب الرسالة يصدق من يخبره بأنه يقوم بمهمة الحارس الذي يقف على أرض الحقيقة أو أرض السمية كما يسميها ابن عربي ويلقي على من يدخلها رداء ليتمكن من السير بها، وهذه المخارات تتعلق بها المصريون في القرن التاسع عشر برغم غرابة الاستعانة بقول لابن عربي.

رفعت عيني مفكراً فيها كنت أطالعه، هل أحست من قبل أنك تفهم شيئاً ولا تفهمه في نفس الوقت!! شعور متناقض زاد وأنا أقرأ الفقرة التي تليها:

«الشكل النهائي للفقرة الثامنة:

كل ما عليك أن تدخل لمنزل... خطوة* وتدخل للقاعة

أرفقتها لك * وتحفر حتى تصل *
 سيظهر لك اطلب منه أن تأتيني لأن... ... فمهما
 فشلت والأشياء تنهار من حولي * ولا))

جريت سريعاً على تحليل الفقرة حتى وصلت لرسم هندسي
 مبسط لمكان يشبه الشقة وفي إحدى الغرف المرسومة كتبت
 عبارة ممسوحة، لو صبح ما أعتقده فهذا رسم للشقة التي دخلناها
 في منزل (أبو خطوة)، تأملت الغرفة ونهضت من مقعدي سائراً
 حتى وصلت لراضي ووقفت بجانبه أريه الرسم وأقول:
 - المكان ده خرج منه (جعفر) في الليلة اللي دخلنا فيها البيت

صح؟

تأمل (راضي) الرسم لفترة طويلة قبل أن يهز كتفية ويقول
 عبارة عن عدم تأكده؛ لأن الرسم لا يطبق معايير هندسية
 حقيقة، وضعت الأوراق على المكتب لأن المحقق انتهى من
 تحليل الفقرات وقام بكتابة كلام كثير عن أفكاره بشأن كاتب
 المخطوط، ثم وقفت بجانب المكتب أفكر و(راضي) و(نهلة)
 ينظران لي كأنهما يتظاران كلمات ما سألقيها.. مشكلة مظاهري أنه
 في بعض الأحيان يصعب على هيئة الحكام حتى إنني أخرجل من
 ألا أدلو بدلوي في تلك اللحظة، لذلك قلت:

- (راضي)، محتاجين نأخذ نسخة من الورق ده.
 نظرت لي (نهلة) معترضة بعينيها فقط بلا كلمات.

- خليكي مكانا يا (نهلة)، دكتور (جابر) عايزنا ندخل البيت
 تاني تحت إشرافه، و(راضي) يجيبيل ورق بيقول إن واحد صاحبي
 باعتلي رسالة من 150 سنة، لازم نفكّر بنفسنا ونأخذ قرار..
 أوقفت كلها لي لأن باب الغرفة افتتح ليظهر (أحد عصافور)
 مدير الإنتاج يدخل وهو يلقي السلام مبتسماً لكنه نظر لنهرة
 متجمداً فقلت أنا:

- (راضي) هايفهمك كل حاجة دلوقت، أنا بقى لازم أروح
 أزور واحد صاحبي.

تركتهم جيّعاً متجمدين بأماكنهم يشاهدونني وأنا أقوم
 بتوصيل الكمبيوتر بفلاش ميموري نحتفظ به في المكتب
 وأقوم بنقل الفيديو الذي صورناه ليلة دخولنا المنزل للفلاش
 ثم خرجت جريأاً مغادراً الشركة ومتوجهًا إلى شقة (فرغلي
 المستكاوي) والذي يسكن في الشقة المقابلة لي، أعرف أنني لن
 أجده.. خطر لي أن كل هذا ما هو إلا خطأ أو مقلباً لكن ذلك
 الماظر لم يدم أكثر من ثانية، المشكلة أنني أشبه أبطال المسرح
 اليوناني الذين يسرون طوال المسرحية ليحققوا قدرهم الذي
 كتبته لهم الألة بدقة.

لكن (جابر) ليس إلّا إغريقياً وليست هذه مسرحية بل هي
 الحياة والتي يمكن أن اختار فيها قدرى لأنني مستول عنده، دارت
 الأفكار برأسى حتى وصلت أمام شقة (فرغلي) الذي يعيش مع

الله وشقيقه الصغرى وشقيقه الأكبر، واكتشفت ما توقعته، (فرغلي)، شقيقه الأكبر أخبرني بأنه تلقى زيارة بالأمس من شاب جلس يتناقش معه لفترة قبل أن يخرج سوياً بعد أن أبلغ (فرغلي) والدته أنه سيتأخر قليلاً، لم يعد (فرغلي) وهو يبحثون عنه من الصباح حتى إنه كان سيأخذ رقم هاتفي المحمول من أهل ليسألني اليوم.

طلبت من شقيقه أن يستخدم الكمبيوتر الخاص به وقامت بتوسيع الفلاش ميموري به وسط ذهوله وشغلت الفيديو وتوقفت عند لقطة تجمعنا كلنا ويقف (عبد الفتاح الدهان) و(عبد الرحمن) والد (صفاء) و(جعفر)، وأشار هو ناحية (جعفر) وقال أنه هو من جاء أمس لكنه يجدو أكبر سناً قليلاً عندما رأه أمس، أغلقت الفيديو وأنا أخبره بقصة غير متداولة عن (جعفر) لم يصدقها وأكدت له أنني سأبحث عن (فرغلي) بنفسي من هذه اللحظة.

لم يصدقني ولا ألومه، لكن الورطة الحقيقة أنه ربياً سينبغ الشرطة واحتياط أن يضع اسمي في المحضر، يجب أن أتحرك بأسرع ما يمكنني برغم أنني لا أعرف سبيلاً للتحرك سوى إلى قرية (أبو النور) موضع (جعفر) الحالي، يمكنني أن أخرج منه أي معلومة، وخاصة أن آخر زيارة رأيته فيها كان ينظر لي بشكل غريب كأنه يريد إخباري بشيء ما.

أثناء طريقني للقرية جاءني اتصال من (راضي)، ودارت بيننا مناقشة طويلة عن شيء لم يعرف هل يقوله أمام (نهلة) أم يتذكر الانفراد بي، أخبرني بأنه قام بتصوير لوحة كتب عليها معادلات كثيرة في منزل دكتور (جابر) وأنه ذهب بها لتخصص في الرياضيات، حكى لي (راضي) عن أشياء كثيرة عن نظرية الأوتار والتمزق في نسيج الزمكان إلخ إلخ، لكنني لم أمع حرفاً مما ألقاه على مسامعي.

- يا عم (حسام) فوق كده وصحصح، مش أنا بقولك من الصبح إني متتأكد إن الموضوع ليه علاقة بالسفر عبر ...

قطعته:

- كلامك شكله حلو وعميق بس أنا مش عارف أصدقه.
- أو مش فاهمه.

عاد ليخبرني بنفاذ صبر أن السفر عبر الزمن علمياً غير ممكن ولا يوجد افتراض علمي أو نظرية تدعمه، لكن نظرية الأوتار تتكلم عن تمزقات طبيعية تحدث طوال الوقت في نسيج الزمان والمكان لكنها تلتئم في لحظات، ومعادلات (جابر) تؤكد أن التمزقات تحدث طبيعياً في أجزاء من النسيج الزمكاني ويمكن المحافظة على تمزقها.

- أيوه وإيه المشكلة لما يتفتق النسيج؟

ممكن حد يعدي منه.

- ليه هو النسيج بيقطع جامد؟

- يا عم (حسام) أنا مبتكلمش عن مفرش سرير مقطوع،
هاقولك...

قاطته:

- أنا اللي هقولك، (فرغلي) اختنى من بيته فعلاً والي أخد
بيقى (جعفر) والموضوع بقى كبير، أنا لازم أطلع على (أبو النور)
وانت تروح لجابر تسأله على ميعاد دخولنا البيت علشان نجهز
نفسنا.

- ميعاد إيه؟ هو احنا هنخش البيت بعد؟

- آه بس قبل المعاد اللي هايجده (جابر)، لازم نعرف لو حدنا
إيه اللي مستنبينا جوه في الأوضة اللي خرج منها (جعفر) في
الفيديو.

أنهيت المكالمة وانتبهت للطريق الذي يسلكه التاكسي الذي
يقلني للقرية، راجعت الطريق بسرعة في عقلي ونزلت لأعيد
الأسئلة ثانية عن منزل كبير عائلة (الدهان) حتى وصلت هناك،
سألت على (جعفر) فوجده يخرج لي من باب المنزل يتلفت حوله
كأنه مراقب.

اقربت منه لأصافحه لكنه مدّ يده وجرني جراً لأسير بجانبه

ونحن نبتعد عن المنزل متوجهين لشارع يمر بين أراضٍ زراعية
على جانبيه، فضلت الصمت حتى يتكلم هو:

- قولي يا (حسام).. تعمل إيه لو قلتلك تختفياليومين دول؟
- فهمني ليه وأنا أختفي.

كان يسير متلفتاً بطريقة مريبة جعلت أي شخص يمر بجانبنا
ينظر لنا بشك، بينما هو يقول:

- أستاذ (جابر) حذرني من إني أكلمك لحد ما أأسافر، لكن في
نفس الوقت قالـي إنـنا كـنا أـصحابـ.

- إنتوا مين؟

- أنا وإنـتـ.

- لا موـاـخـذـةـ فـهـمـنـيـ أـكـثـرـ تـقـصـدـ إـيـهـ؟

- أستاذ (جابر) هـاـيـطـلـبـ منـكـ إـنـكـ تـدـخـلـ بـيـتـ (أـبـوـ خطـوةـ)
تـانـيـ، إـوـعـىـ توـافـقـهـ.
- ليـ؟

- عـلـشـانـ حـيـانـكـ وـحـيـاةـ أـصـحـابـكـ.

- (جـعـفـرـ).. اـسـمـحـلـيـ أـعـرـفـكـ إـنـيـ مـاـبـحـبـشـ الـأـلـغـازـ، مـكـنـ
تجـاوـبـنـيـ عـلـىـ سـؤـالـ بـسيـطـ، إـيـهـ عـلـاقـتـكـ بـدـكـتـورـ (جاـبـرـ عبدـ
الـسـيدـ)ـ؟

توقف على جانب الطريق ونظر لعيني طويلاً وقال:

(جابر) هاييتعتني مشوار طوييل أنا و(صفاء)، واداني تفاصيل كل حاجة علشان قبل ما أموت أحاول أصلاح الأخطاء اللي ارتكبها هو.

هذا الغبي يتكلم بالألغاز ويتوقع مني أن أفهم، أو ربها الجميع أصبح يلمع ولا يصرح.

- يا (جعفر) فيه صديق لي اختفى و(جابر) في...
قاطعني قائلًا:

- (فرغلي المستكاوي).

- إنت تعرف هو فين؟

- أنا عارف إن (جابر) هاييتعتك ليه، ومتأكد إنك مش هاترجع،
لم أتمالك أعصابي وأنا أصرخ:
- فهمني وبطل تهريج.

- الليلة يا (حسام) ماتكونتش في أي مكان حد يوصلك فيه،
وعلى فكرة أستاذ (جابر) بيراقبك إنت وأصحابك، دا كل اللي
عندي واعمل اللي يعجبك.

أنمى عبارته وسار عائداً ناحية المنزل تاركاً إياي واقفاً أفك
فيها قاله وأحاول مكافحة ذلك الشعور الذي يلح عليَّ بأن ألتقط
حجراً من الأرض وأهشم به مؤخرة رأس (جعفر) لادعائه
الغموض والسيطرة.

في قاعة مكتب (جابر) بمنزله جلس (عمر أبو خطوة) يبعث بأصابعه و(جابر) يجلس في مقعد مقابل له مرتدًا قميصاً وسروراً، فماشيًا وهو يدخن سيجارة بعمق وينظر صامتاً لعمر الذي أكمل العبث بأصابعه وهو يفكر بشيء ما.

- (عمر) إنت بقالك كام سنة مستني أفهمك إيه المطلوب منك؟

لم يرد (عمر) فأكمل (جابر):

- كل المطلوب منك إنك تكون من عيلة (أبو خطوة) بجد.

رفع (عمر) رأسه لجابر وقال بطريقه يائسه:

- أنا أفهم إزاي أعمل رصد لمكان، إزاي أفك رصد، إنها اللي بتقوله أنا ما أعرفوش.

دخل القاعة أحد أبناء (سلیمان) جريًا وهو يضحك ببراءة وشقيقته تجري وراءه لكنهما توقفا ينظران لعمر بخوف، ضحك (جابر) لها وهو يقول:

- أنا مش قلت بلاش لعب في المكتب النهارده، حصلوني على أوضة اللعب وأنا جايلكم.

جرى الأطفال و(جابر) يعيد النظر لعمر وابتسامته تختفي فجأة قائلاً:

- إنت مش حفظت شكل الغرفة اللي هتبنيها؟

- وحفظت مكانها بالتحديد؟

- عارف المكان كويس في (باسوس).

- وعارف هتفول إيه لعفتر لو سألك أو أي حد تاني يسألك.

- أنا مش مصدق اللي إنت بتقوله.

أني صوت أزير من الجهاز الصغير الذي يفتح بوابة المنزل والذى يحمله (جابر) دائمًا، كان موضوعاً بجانب (جابر) على حافة المكتب فتناوله هذا الأخير وهو يضغط زرًا به ليختفي الأزير ويأتي صوت لشخص يقف أمام بوابة المنزل يقول بنبرة أمرة:

- افتح الباب يا (جابر).

ابتسم (جابر) بخبث وهو يستمع للصوت وينظر إلى (عمر) قائلاً:

- فيه شخص هايقابلك دلوقت أنا قولتلك عليه قبل كده
وقولتلك ماتخافش منه.

- مين؟

نهض (جابر) من مقعده وسار ناحية الدولاب في المائط المجاور للمكتب وهو يفتحه لظهوره الشاشات التي تعرض ما تصوره كاميرات المراقبة حول المنزل، أشار للشاب الواقف أمام البوابة وهو ينظر لكاميرا المراقبة فهز (عمر) رأسه علامه الفهم.

- فاكرة من ساعة ما ورتبني صورته.

ضغط (جابر) على زر فتح البوابة في الجهاز وهو يقول:

- ادخل أنا مستنيك في قاعة المكتب.

قال عبارته في الجهاز وأعاده لكانه وهو يطفئ سيجارته

ويقول:

- أنا هاخرج أجبيه.

- إنت كنت عارف إنه جاي؟

- رجالتي بلغوني من شوية.

أسرع (جابر) في خطواته جريأاً ليخرج من القاعة و(عمر)
ينظر له مفكراً في جدوئي ما يفعله، قفزت في عقله فكرة أن
يرفض الآن.. لكنه امتلك فضولاً لمعرفة ما تركه أجداده أسفل
المنزل، ما يشعر به في تلك الأيام عندما عاد (جابر) للاتصال به
لم يشعر به ب حياته، خوف غريب لم يختبره منذ طفولته، صحيح أنه
صنع عهداً جديداً مع قبيلة من الجان وأصبح له خدام منهم لكنه
لم يستخدمهم بشكل حقيقي.

تذكر كيف انهارت حياته عام 2005 بعد أن فقدَ جزءاً من
ذاكرته، أبعد عن عمليات فتح المقابر واكتفى بإدارة شركاته،
كأنه فقد جزءاً منه بشكل أو باخر، أو كأنه لم يصبح كما اعتاد،

ـ شرخ كبير في روحه لم يلتئم، وبرغم غموض (جابر) وطلباته المريضة إلا أنه متأكد أنه يعرف كل شيء.. حتى إنه حاول إرسال جندي لمنزل (جابر) واستجواب قرينه ففشل وعلم أن (جابر) يعلم عن عالم الجان الكثير، لذلك توقف عن المحاولة حتى طلب منه (جابر) فتح باب المنزل لتدخل (صفاء).

اكتفى هنا بدور المراقب حتى بدأت الصورة تتضح كلّاً، دخل هنا (جابر) بصحبة الشاب الذي رأه في شاشة كاميرا المراقبة، تأمل الشاب قليلاً والشاب يادله النظارات المتفرسة ثم نظر لجابر وقال:

ـ إنت كنت مستئيني؟

ـ توقعت إنك جاي.

قالها (جابر) وهو يعود لمقعده ويشير للشاب كي يجلس.

ـ توقعت إني جاي والا حاطط حد بيراقب بيت (أبو خطوة)؟

ـ بمناسبة بيت (أبو خطوة)، دا (عمر أبو خطوة) الشخص المطلوب.

ـ (جابر) ححالك مطلوب منك إيه؟

قالها الشاب ببرود وهو يجلس على مقعد:

ـ آه.

رَدًّا (عمر) بوجهه بائسٍ فقال الشاب:

- الحاجة جاهزة يا (جابر)؟

- فيه معدات تصوير هنا في البيت وجواها الأجهزة اللي طلعتها من القبر، هاخليهم يخشووا البيت ومعاهم المعدات دي و(جعفر) هينقلهم لنفس وقت (فرغلي المستكاوي) هما والأجهزة وإن قلتلي إن الأجهزة ممكن تندمر لكن الأدوات اللي جواها مش هايحصلها حاجة.

توقف (جابر) عن إكمال عبارته وهو يتفرس في ملامح الشاب الذي ظهر عليه التألم وكأنه يكافح شيئاً ما، فجأة سعل الشاب وخرجت دماء كثيرة من فمه غطت الأرض وتناثر بعض منها على ملابس (عمر) الذي نهض متزعجاً وهو يجري ناحية الشاب لينجده لكن (جابر) أمره بآلا يقترب منه وقال بلهفة:

- مالك؟

تمالك الشاب نفسه وهو يمسح الدماء عن شفتيه ويعتدل بجلسته وهو يتنفس بعمق ويقول:

- مفيش.. أنا كويس.

على عكس ما توقع (عمر) من كثرة تعامله وسط الجان ومشاهدته لأغرب المشاهد وجد تقرحات تظهر على وجه الشاب أفرز عنه، خطوطاً حمراء ويقع حروق تظهر في خديه وجبهته وفمه

لأنك كأنها ترتسم ثم تعاود الاختفاء، نهض (جابر) واقترب من الشاب قليلاً يتأمل وجهه الذي تظهر عليه تلك العلامات الغريبة.

- إيه اللي بيحصل لجسمك؟

- مش مهم، ماتنساش (نهلة) لازم تكون معاهم.
- لا.

قالها (جابر) بحزن وهو يسير مبتعداً ناحية مكتبه يبحث عن علبة سجائره، اختفى ظهور التفريح من على وجه الشاب وعاد لطبيعته وهو يقول ببرودة:

- (نهلة) هتعرف تصلح الأخطاء التاريخية اللي عملها (فرغلي)، وكمان...
- أنا قلت (نهلة) مش هتروح، ومفيش مناقشة في الكلام ده؟
- إنت ناوي تغدر باللي هايروحو؟

قالها الشاب وهو ينهض بثاقف بينما (جابر) يحمل علبة سجائره وينخرس سيجارة وضعها في فمه وهو ينظر إلى اللا مكان للحظات بصمت، نظر بعدها للشاب ويقص السيجارة وهو يقول بصوت يرتفع تدريجياً مع كل كلمة ملوحاً بيديه في الهواء:
- اسمع بقى، أنا كنت ماشي كوييس وعارف هاعمل إيه في حيatic، جيت إنت لخبطلي كل حاجة بفكرة مجونة مخدش عارف

ماتنفع ولا لا، وكل ما أعمل حاجة تقولي إني هاغدر بيكم، أنا لو عايز أغدر ماكتش تعبت كل السنين دي علشان.

قاطعه الشاب برود:

- نسیت أباركلك على حفيدك الجديد.

- إنت بتهددى يا روح أمك؟

- لا... أنا بطمتك إني شفت حفيديك بعد ما إنت بعثهم لزمن (فرغلي)، يعني مخدش هايحصله حاجة من أهلك برغم إنك المفروض لو مشيت على اللي إنت عايزه ماتشوفوش أصلًا.

- إنت إزاي بتعنم (جعفر) إنك تتحرك في أي وقت في الزمن

باليهودية؟

قالها (جاء) شيك.

- هو بيثق فيها وواثق إني عاييز أحل المشكلة دي كلها.. أنا عارف يا (جابر) إنك بعد ما شفت حفيديك خوفك زاد ويمكن تشوك في اللي أنا بقولهولك وتحب تكميل حياتك زي ما هي، لكن صدقني أنا عمري ما هاضرك.

تسارعت أنفاس (جابر) وهو ينظر للشاب محاولة قراءة تعابير وجهه، لكن الشاب سأله:

- عرفت تجنب الكرة اللي بتشغل الغرفة من (الإسكندر)؟

- آه.. عرفت أدخل بيته النهارده الصبح وجنتها موجودة جوه الأجهزة.

كويس.. لأنك ماعرفتش تحببها قبل كده.. على العموم
إنت عارف المفروض تعمل إيه مش كده؟

عاد (جابر) لهدوئه وهو يقول:

- أنا هاخلص كل حاجة مانقلقش.

تحرك الشاب ناحية باب القاعة ليخرج منها ولكن توقف
ونظر لعمر ولأول مرة ابتسם وقال له:
- أشوفك على خير وإننا دخلين البيت.

ثم نظر لجابر وقال قبل أن يغادر:

- ماتوصلنيش لبره، أنا هاعرف أخرج من بيتك لوحدي.
للحظة خيل لجابر و(عمر) أن جسد الشاب يرتعش أو
يتنفس لكنه خرج من باب القاعة بشكل طبيعي يسير في الساحة
الداخلية للمنزل برصانة، حانت منه التفاتة لأحد أركان الساحة
فوجد (نهلة) تقف تتحدث مع فتاة أخرى أمام أحد أبواب
القاعات ولكنها تنظر إليه بطرف عينيها بدھشة، أكمل سيره
حتى وصل للحديقة الخارجية فوجد بوابة المنزل تفتح له، خرج
من البوابة التي أغلقت خلفه وسار مشياً بمحاذاة الطريق، لكن
سيارة تاكسبي سوداء اقتربت من المنزل وتوقفت بالقرب منها
و(راضي) يجلس في المقعد المجاور للسائق لكنه يخرج نصف
جسمه بطريقة طفولية خارج نافذة السيارة التي توقفت وهو

مير للشاب، توقف الشاب ونظر لراضي الذي خرج من السيارة بسرعة ووقف أمامه مذهشاً وهو يقول:

- إيه يا ابني اللي جابك هنا دلوقت؟ وماش شكلك مبهدل
كده ليه إنت كنت بتتخانق؟

ابتسم الشاب وهو يقول لراضي:

- إنت مش داخل تقابل (جابر)؟ روح الحقه وبعدين نتكلّم
لما تخلص معاه.

قال عبارته وأكمل سيره و(راضي) يصرخ عليه:

- رايح فين يا (حسام).. طب استنى فرجع مع بعض.

أكمل الشاب سيره وسائق التاكسي ينادي على (راضي) مطالبًا
إيه بالأجرة، أرببك (راضي) لوقت قليل كان كفيلاً بابتعاد
الشاب عنه فاضطر لمحاسبة السائق وعاد ينظر للشاب المبعد،
أخرج هاتفه المحمول واتصل برقم (حسام) فردَّ عليه هذا الأخير
لكن (راضي) لم يجد الشاب المبعد يتحدث في الهاتف:

- (حسام) هو إنت مش كنت عند (جابر) دلوقت ولسه
مقابلني؟

- لا.. إيه اللي إنت بتقوله ده!

- يا نهار أسود.

لسن (أحد عصافور) في ذلك المقهى الذي أخبره (سلیمان) به منذ ساعة، كان يحمل بيده بعض أوراق مطوية وهو يجول بعينيه في المقهى الشعبي، تتعاقب الخواطر على ذهنه في شكل أسئلة عن جدوى تعامله مع (سلیمان) بدون علم فريقه، يعتقد أنه لو أخبر أحداً منهم فسيعلم (سلیمان) والمشكلة أنه يوحي بأنه سيعلم كل شيء.

دخل (سلیمان) من باب المقهى الصغير وجلس على المبعد المجاور له فتناوله (أحد) الأوراق.

- طب استنى نشرب حاجة ونتكلم.

بحركة تنم عن الارتباك سحب (أحد) الأوراق ثانيةً فابتسم له (سلیمان) ليكسر حدة الموقف ونادى على القهوجي ليطلب منه المشروبات:

- ها يا سيدي طلبتني في التليفون من شوية وقولتلي إننا لازم نتقابل، لحقت تعرف إيه؟

مدّ له الأوراق ثانيةً فتلتففها هذه المرة وفضها و(أحد) يقول:

- دي نسخة أخذتها من بحث عن خطوط، البحث ده وصل لراضي و(حسام) النهارده من ساعتين.

جرت عين (سلیمان) على أوراق البحث بتثاقل وملل حتى وقعت عيناه على بعض العبارات التي تبين أن البحث عن

خطوط (فوجول المستكين)، رن الاسم في عقله وتذكر ما قرأه عن مشروع إيزيس ومشاركة والده والمخطوط الذي اختفى هو والبحث الذي حوله، تذكر مطالعته تقريراً أمنياً يتهم والده بسرقة هذه الأشياء من المشروع، اعتدل في مقعده وهو ينظر لأحمد بعين ذاهلة قائلاً:

- انتوا جبتو الحاجات دي منين؟

- من دكتور (جابر) من غير ما يعرف طبعاً.. وما تأسليش جبناها إزاى.

قالها (أحمد) بتردد فعاد (سلیمان) لقراءة الأوراق بنهم وعقله يقوم بربط الأحداث وهو يطالع اسم (حسام)، متذكرة يوم شاهده بعام 2005 وحاول أن يتعارك معاه لكنه صعق كهربائياً وكيف فهم أنه شخص آخر غير (حسام) الحالي.

لم يشاً (أحمد) أن يتحدث و(سلیمان) يقرأ واكتفى بشرب الشاي الذي أحضره القهوجي وهو يسرح في مدخل المقهى، ارتعش كوب الشاي بيده وهو يرى (جابر عبد السيد) يدخل من باب المقهى مبتسمًا وخلفه بضعة رجال يرتدون ملابس متباعدة لكنهم يسيرون بثقة وزهو يذكره برجال الأمن، تجدهم (أحمد) بموضعه و(جابر) يبتسم له وهو يرفع يده اليمنى ويضع إصبعه على شفتيه في إشارة له حتى لا ينطق.

طا (جابر) بتناقل حتى وصل إلى منضادتهم وسحب مقعده ليجلس عليه بجانب (سليمان) الذي أجهل ورفع عينيه من على الأوراق لتصطدم بابتسامة والده الذي سحب منه الأوراق ببساطة وأخرج من جيب بذلته عليه أنيقة فتحها وسحب منها نظارته الطبية ليرتديها وهو يطالع الأوراق.

حاول القهوجي التحدث مع الرجال المرافقين لجابر الواقفين بجانبه لكن أحدهم أخرج بطاقة هوية من جيده وأراها للقهوجي المسكين الذي أصابه الذعر وجرى لصاحب القهوة ليخبره بشيء ما بعدهما قال له أحد الرجال أن يذهب لممارسة عمله.

على وجه (جابر) ارتسمت ملامح الصدمة وهو يقلب في الأوراق، أغلقها وخلع نظارته وهو ينادي بصوت عالٍ على القهوجي الذي جاء جريأاً يتفضل في وقته.
- لو سمحت هاتلي شاي سكر بره يا ابني.

هز القهوجي رأسه بأدب وحنون وجرى وهو يقول ويردد لنفسه بصوت مسموع أكثر من مرة (شاي سكر بره.. شاي سكر بره) كأنه يخشى نسيان الطلب، نظر (جابر) لسليمان وهو يقول ببساطة:

- إنت سايبني ألعب مع عيالك بلاي ستيشن وقاعد هنا على القهوة؟

تمالك (سليمان) نفسه سريعاً وقال:

- أنا مش هبرلك حاجة.

- هو أنا طلبت تبرير.. قولي هتغدى النهارده مع بعض كلنا ولا هاتتأخر؟

تنحنح (سليمان) وابتلع ريقه ليصفى صوته ونظر في عين والده قائلاً بصوت أخش:

- (حسام) اسمه في المخطوط، إيه حكايته؟

جاء الفهوجي بالشاي ووضعه على المنضدة أمامهم ورحل جريأ فتناول (جابر) كوب الشاي يتأمله وهو يقول:

- عايزين واحدنا مروحين نعدي على (أبو آية) الفرارجي اللي في أول حلوان، أنا وصيتي على شوية بط وحام، فكرني ناخذهم منه، أصل مش كل حاجة هانسيها على (نهرة)، البت اتروشت من ساعة ما مراتك وعيالك بقوا قاعدين عندي.. بمناسبة (نهرة).

ارتشف من كوب الشاي جرعة قليلة ونظر لأحد مبتسمًا وهو يقول:

- (نهرة) هي اللي اديتك الورق صح؟

- ما أعرفش، أنا شفته مع أصحابي وأخذت نسخة.

- ليه؟

يجب (أحمد) عن السؤال بل نظر لسلیمان يطلب نجدهه
بعينيه فقال هذا الأخير:

- بلاش جو الاستجواب ده يا بابا.

- وبلاش جو المخابرات اللي انتوا عاملينه، هستفاد إيه لما
تعرف معلومات مش هتعمل فيها حاجة.. يعني هتروح مثلًا
البيت وتدخله؟

- حضرتك مش عايز تفسري أي حاجة، ليه (جعفر)
و(صفاء) نسخة منك إنت وما ماما في شبابكم؟ ليه فيه اتنين...

قاطعه (جابر) بصوت هادئ:

- هافسر لك كل حاجة الليلة، بعد ما الشباب يدخلوا البيت.
نظر بعد عبارته لأحمد وقال:

- على فكرة يا (أحمد) صاحبك (راضي) جالي البيت من ساعه
وسألني إمتي هتدخلوا تصورو واتاني في بيت (أبو خطوة) فقتله
الليلة، وهو عندي في البيت دلوقت و(عمرو) المصور بعت جبته
من بيته وزمانه عندي هو كمان، ناقص إنت و(حسام).. لو إنت
مش عايز تدخل معاهم الليلة براحتك.

حانت من (أحمد) نظرة للرجال الواقفين خلف (جابر)
فضحك هذا الأخير وقال:

- إوعى تكون فاكر إن الولاد دول جايين ياخذوك بالعاافية،

إنتا مش في فيلم عربي، دول أصحاب ومعارف (سلیمان)
و جايين يحاولوا يهدوه لو اتعصب.

انفجر (سلیمان) فجأة وهو ينهض ويصرخ:

- كفاية بقى، بيت إيه اللي إنت مهوس به و عمال تؤمر
الناس يعملوا إيه ومايعلموش إيه.

أمسك (جابر) بيده (سلیمان) ليجبره على الجلوس ثانية لكن
هذا الأخير أفلت يده بغضب وأشار بها للرجال الواقفين خلف
(جابر) وهو يقول:

- وجاييلي ناس من الإداره علشان يخوفون.. تحب
أحبسهوملك كلهم دلوقت بتليفون.

قال أحد الرجال بأدب وهو يشير بيده:

- اهدى يا (سلیمان) بيه.. عيب كده دا إحنا خدمتنا مع بعض
قبل كده.

آخر (سلیمان) هاتفه المحمول وهو يقول بغضب محدث نفسه:

- محدش هايدخل أم البيت ده تاني إلا لما أنفهم.. أنا هاوريكم.

نظر (جابر) خلفه وصاح بأحد الرجال:

- خد منه التليفون.

تردد الرجل وهو ينظر حوله لزيائن القهوة الذين صمتوا
فجأة خائفين مما يحدث أمامهم.

يا (سلیمان) بيه بلاش تکبر الحکایة و تعالی نتفاهم بره
القهوة.

قالها الرجل لسلیمان الذي وضع الهاتف المحمول على أذنه
وهو يتحدث مع الطرف الآخر:

- لو سمحت سجل العنوان اللي هقوله ده وابعتلي أقرب
دورية ليه، فيه ظباط بيتدخلوا في عملية ضبط خاصة بالإنتربول
وبيهددوا..

صرخ (جابر) في الرجال:

- قلت خدوا التليفون منه.

انقض اثنان منهم على (سلیمان) وسحبا منه الهاتف المحمول
وهو يتعارك معهم فنهض (جابر) واقفا أمام (سلیمان) صانعا
بجسده حاجزاً بينه وبين الرجال كي ينتهي العراق، خفض
(سلیمان) يده و(جابر) يربت على كتفه بحنان وهو يقول:

- آسف يا ابني.. حرقك علياً، اخرج معاهم دلوقت وهفهم
كل حاجة الليلة.

لم يهدأ (سلیمان) لكنه قرر الخروج من المقهي والرجال
يلحقونه بينما جلس (جابر) وعادت ابتسامته وهو ينظر إلى
(أحمد) ويقول:

- (سلیمان) هايخرج دلوقت وهايطلب من المراقبة اللي على
(حسام) اللي هو حاططها إنها تعرفه مكانه، علشان يروح يجدره.

ثم صمت والتقط كوب الشاي ثانية وأكمل:

- لكن هايحدره من إيه؟ هو مش فاهم حاجة، ولا إنت فاهم.

تشجع (أحمد) وقال:

- أنا فاهم إنك حاجز أصحابي عندك.

نظر (جابر) لساعة يده وأخرج علبة سجائره وهو يقول:

- لا.. أنا بيهمني (حسام) هو اللي يدخل، إنتوا مش مهمين أوي، لكنه مش هاييجي إلا بيكم.. على فكرة طعم الشاي ده وحش أوي، ها ما قولتليش هاتيجي عندي البيت علشان تتحرك على وجهتنا والا لا؟

- لا

نهض (جابر) وأخرج بضعة أوراق مالية من جيبه ووضعها على المنضدة وهو يقول:

- براحتك.. بس بلغ (حسام) يجيئنا عند بيت (أبو خطوة) الليلة علشان ندخل هناك.

رن جرس هاتف (جابر) المحمول فأخرجه في نفس اللحظة التي قال فيها (أحمد) فجأة:

- أنا هاججي معاك وأدخل.

ابتسם (جابر) وهو يخرج نظارته الطبية ويرتديها وهو يقول مطالعاً موبايله:

إيه خُفت على أصحابك؟

رَدَّ على الهاتف المحمول وتلقى المكالمة والجدية ترتسم على وجهه بسرعة وهو يقول:

- واقف بيعمل إيه؟.. إمممم طب او صفي لابس إيه؟
إمممم بقاله قد إيه؟ ساعة؟ طب ومحدثش بلغني ليه في
التليفون؟

أنهى المكالمة ونظر لأحمد قائلاً:

- الظاهر إننا مش مش محتاجين (حسام) يجيئنا.. إحنا اللي
هنروحله.. لو قررت خلاصن تعالى معايا.

سار بعدها ناحية باب المقهي و(أحمد) ينهض وراءه كالمنوم
مغناطيسياً.

قلت حركة السيارات قليلاً على الطريق السريع الذي يطل عليه منزل (أبو خطوة)، الليل أسدل أستاره على المترزل وأغرقه في الظلمة برغم أضواء السيارات المارة من أمامه.

وقفت أنا أمام منزل (أبو خطوة) أدقق في كل حجر فيه بلا معنى، لا أعرف كم مر عليّ وأنا هنا، فقد خرجت من قرية (أبو النور) مشيًا على الأقدام وسررت بمحاذاة الطريق السريع ناحية (باسوس)، هذا الطريق مشيًا على الأقدام يأخذ أكثر من

ناعة ونصف في تقديرى، لكنى توقفت عند كافتيريا جلست بها لثلاث ساعات أحاول ربط خيوط القصة، أخبرنى (راضي) هاتفياً أنه رأى آخر من أمام منزل (جابر) بحلوان وأنه تحدث معى لكنه أقرَّ أن هىئتي متغيرة جداً، بعدها تلقى اتصالاً آخر يخبرنى بأنه يجلس بجانب دكتور (جابر) وأنهم سيدخلون الليلة المنزل ويجب أن أذهب لهم، فهمت من طريقته في الكلام أنه شبه محتجز.. هل سيدخلنا (جابر) عنوة لمنزل (أبو خطوة)؟؟ وعدته بحضورى وأغلقت الهاتف وأكملت تفكيرى.

هناك عبارة أعرفها ولا أتذكر سبب تكرُّرها بعقولى، عبارة تتعلق بالكتابة القصصية، تقول إن الأدب واقعى، والواقع خيالى، ما يحدث حولي يمتلىء بالخيال واللا معقولية، أعرف أن الواقع يحتمل أغرب الأشياء مثل أن تقابل صديق طفولتك في المدرسة في الصين بالمصادفة.. احتمال حدوث تلك المقابلة في قصة أدبية غير وارد وغير منطقى بل وهزلي بل على الكاتب أن يخلق سبباً لحدوث تلك المصادفات، أما الواقع الذى نعيش فيه فيمتلئ بالأحداث المستحيلة.. لكن المستحيلات زادت كثيراً فيها آراء الآآن، حتى أشعر بأنى داخل قصة يكتبها كاتب باس يجلس أمام ومبين قديم بملابس النوم وبجانبه كوب شاي بارد يرتشف منه ويهرب فى رأسه المنكوش وهو ينظر للسقف من وقت لآخر مدعياً العمق ويحاول أن يعقد الأحداث على أبطاله.

نسمة مجنونة يختلط فيها الواقع بالخيال، فإن أردت التمييز بينهما.. عليك بتصديق ما يكذبه عقلك، فهل أصدق؟

مدت يدي أمس الباب المعدني البارد وأهزم فانفتح الباب معى، أعلم أنه مفتوح منذ جئت إلى هنا لكنني متعدد في الدخول، (جعفر) طلب مني الهروب وصدق لأن (جابر) ينوي إجبارنا على الدخول، علي أن أصدق افتراض السفر عبر الأزمنة، برغم عدم اقتناعي بعقلاسته، ماذا لو سافرت للماضي وقتلت والدى قبل أن ينجيني؟ هل سأختفي أنا في المستقبل؟ إذا اختفيت في المستقبل كيف عدت أنا لأقتل والدى؟ إنها المفارقة غير المنطقية في السفر عبر الزمن، ربما لست عالماً أنظر للمعادلات الرياضية وأهزر رأسى وأقول بثقة أن السفر عبر الزمن جنون لكنني أعتمد على المنطق والعقل الذى أمتلكه.

ولكن أين المنطق فيها يحدث؟ فتحت البوابة للمرة العاشرة ولكن هذه المرة خطوت لداخل المنزل.. لا أعلم من أين أتيت بتلك الثقة وأنا أخطبوط في الساحة الخارجية الصغيرة متوجهًا لباب المنزل.

أعتقد أنه نوع من المخدر يفرزه المخ يعطيك اطمئنان لحظي في إتخاذ القرارات بافتراض أن لا شيء يمكن أن تخسره، لو كان هذا المخدر موجوداً في الحقيقة ربما كان هو السبب في قرارات الحرب والقتل والانسحاب والمذابح وكلها قرارات تكتشف لم تكن أكثر من حمار عند اتخاذها.

هذا هو ما شعرت به وأنا أقف أمام البوابة الثانية للمنزل، إبني حمار بالغ.. حتى تخيلت أذني قد استطالت كالحمار وأنا أسمع صوتاً خارج بوابة المنزل الحديدية، صوت هدير موتور سيارات تتوقف أمام المنزل.. كالمجنوب دخلت المنزل لا يهمني أي صوت أسمعه الآن، دخلت الشقة الموجودة على اليسار والتي بدأت فيها كل الأحداث، بحثت بيدي على الجدران الأسمانية عن موضع زر الإضاءة وضغط عليه ليسقط ذلك المصباح المندلٍ من السقف.

الراحلة الخانقة والدفء القوي كما هما منذ آخر زيارة، لا وجود للخوف بقلبي مما يزيد من فرضية الحمورية التي تملكتي، اتجهت للغرفة التي حددها (فرغلي المستكاوي) في الرسالة العجيبة التي أرسلها لي ووافت في ظلامها.. ما الخطوة التي علي فعلها الآن؟؟

اختفى الحمار المسيطر على أفعالي وبدأ الخوف يدب بخطوات ثابتة لقلبي.. ماذا لو انتهى عمري فجأة الآن، لست مغامراً إلى هذه الدرجة التي تصور لي أن أموت في مغامرة ما، أنا أدخل المغامرة إن ضمنت حياتي، لكن...

أصوات سيارات أخرى تتوقف بجانب المنزل ورجال تتحدث بصوت عال.. ألم برأسي تزامن مع بخار فجأة صعد من الأرض، للدقة ليس بخاراً بل هو حالة بيضاء تتحرك كالبخار،

ت تدور في الهواء أمامي، الهواء يتاين ويشحن بالكهرباء كما عرفني (راضي) من قبل.. هيئة رجل تتشكل أمامي في وسط الغرفة يرتدي ملابس سوداء، لكنه يستند على ركبتيه وكفيه ويدو عليه الإعياء.. هو.. إنه (جعفر) وعلى وجهه تظهر حروق وتحتفى بسرعة، ينظر لي لاهتاً ويقول:

- أنا متأكد إنك هتلaci طريقة.. أنا واثق فيك.

فجأة سطعت أضواء متباينة وزادت كثافة البخار في الغرفة وتشكل شيئاً ما يشبه الرجل بجانب (جعفر)، رجل يحيطه الدخان ولا تظهر ملامحه بل يظهر ككتلة دخان يحمل بيده شيئاً ما، هذا الرجل التحتم حرفيًا بجسد (جعفر) كأنه دخله و(جعفر) يتآلم ويصرخ واحتفى جسله ولا يبقى مما حدث إلا أبخرة دخانية، احتفى الألم من رأسه فجأة غير أنني قد تعودت عليه ولم أتبه له وأناأشاهد ما شاهدت.. في نفس اللحظة شعرت بألم في قدمي اليمنى، نظرت لها فوجدت بقعة تشتعل بسريري، أطفئتتها وأنا أصرخ خوفاً وأحرك يدي على كامل جسدي حتى لا أفاجأ بنيران أخرى.. والحمد لله لم أجد لكن أنفي التقطرت رائحة شباط شيء يحترق عرفت بعدها أن شعر جسدي احتفى في بعض المناطق.

أصوات الرجال خارج المنزل دخلت في نفس اللحظة، على الأرجح صوت صرافي جذبهم، من موقعي في الغرفة رأيت

جابر) يدخل لصالحة الشقة يتبعه (جعفر) وفتاة أدركت بعد لحظة واحدة أنها (صفاء)، كان يحمل بيده مجموعة أوراق وهو يخاطب أشخاصاً في الخارج ويقول بصوت مرتفع كي يسمعوه:

- استنوني انتوا بره وأنا هاخلص معاهم وأرج علكم.
أنهى عبارته وتوقف عن الحركة ينظر للغرفة التي أقف بها وعلى وجهه صدمة لم يخفها.

- (حسام) ??? إنت... إنت (حسام) مش كده؟

تكلمت ولكن خرج صوتي متحشرجاً:

- أنا سبقتكم على هنا.. إيه اللي جاب (جعفر) و(صفاء)؟
خطانا ناحيتي حتى دخل الغرفة وهو يحول بيصره يفحصني من الأعلى للأسفل وهو يقول:

- هافهمك كل حاجة بعد ما أخلص كلام مع (جعفر)..
تقدر تستناني بره مع أصحابك؟

أصدقائي بالخارج؟ هل كانت أصواتهم هي التي تصل لي عالية؟ لكنني لم أميز أي صوت منهم !!!، خرجت من الغرفة فسمعت صوت (جابر) يقول بشك:

- حصلتك حاجة هنا قبل ما ندخل؟

نظرت لعينيه التي ذكرتني بعيون الثعالب وقلت بنفس الصوت المتحشرج:

التفت إلى (جعفر) الذي نظر لي نظرة عتاب لأنني لم أستمع لكلماته، أما (صفاء) فقد نظرت لي ببراء يختلط بعدم فهم، خرجت بعدها من باب الشقة وصوت عبارة غير واضحة يقولها (جابر) لأحد هم سمعت منها كلمات (شهادات ميلاد) (ورق تعلييات) وأشياء أخرى بأنه (جابر) يحذرها أو يؤكّد عليها شيئاً ما.

نزلت درجات السلم لأنخرج من باب المنزل لأجد أكثر من عشرة رجال يقفون في ساحة المنزل لم أعرف أيّاً منهم في البداية لكنهم يتّمدون إلى شيء ما عائلة أو صداقة مشتركة، حتى لمح أحد هم ينظر لوجهي بتفسير، عرفته بصعوبة وسط الظلام، (سميح) قريب (جعفر) الذي قابلته من قبل من متزهّم بقرية (أبو النور).. بجانب الرجال يقف (راضي) و(عمرو) المصور و(أحمد عصفورة) وشخص آخر بلحية خفيفة ونظارة طبية، يقفون وعلى وجوههم ترسم نفس النّظرة التي هي أقرب للخنوع أو التسلّيم بالأمر الواقع، وبجانبهم على الأرض بعض حقائب كبيرة على إحداها علامة شركة لتصنيع الكاميرات السينمائية.

انضممت لهم وإن شعرت أنهم يقفون تحت إمرة بقية الرجال بقيادة (سميح)، قلت بصوت منخفض:
- إيه الشنت اللي جنبينا دي؟

رَدًّا (راضي) باستخفاف:

- أكيد مش هدولمنا، إحنا مش طالعين جمصة أسبوع، دي
معدات تصوير (جابر) بيه إدهالنا علشان نستخدمها في البيت.
نظرت للشخص الذي لا أعرفه فرفع (راضي) إصبعه باتجاهه
وهو يقول:

- أستاذ (عمر أبو خطوة).. من اسمه حاسس إنه ليه صلة
قرابة بصاحب البيت.
- لا ياراجل.

قلتها وأنا أوجه جسمي ناحية (عمر) الذي مدّ يده لي
مصالحة ببرودة وبنوع من التردد لم أفهمه وخاصة أنه تفرس في
 وجهي كثيراً كأنه يبحث عن شيء فيه.
- أهلاً يا أستاذ (حسام).

- حضرتك تعرفي؟
- المحكالي عنك من (جابر) بيه.
- حضرتك تعرف ليه اللي هايحصل دلوقت؟
- أنا أعرف اللي مطلوب مني أعمله ومش هاقوله إلا في
وقته.

قال (أحمد):

- ماتفكرةش تهرب يا (حسام) علشان الناس دي ها...

طعنه بنفس الصوت الخافت:

- مخدش هايرب.

اقترب هو من أذني وقال:

- بعد ما ندخل البيت ويسينا لوحنا أنا حضر خطة نخرج
ببها.

ابتسمت فهو لم يفهم بعد أبعاد ما يحيط بنا.

- أنا إيه اللي جابني معاكم بس ما أنا كنت مرتاح ومتكيف.
قالها (عمرو) المصور وهو يدب بقدمه على الأرض كالأطفال
فأسكته من ذراعه ضاغطاً عليه وأنا أقول:

- اثبت يا ابني مش هايغيندا أي كلام دلوقت.
نظر هو لراضي بغضب وقال:

- كله من أبو شنب ده، دا حتى شنبه حلقة ويقى..
- إوعى تقولها يا (عمرو) وإلا وحياة شنبي مش هاييفي فيه
صحوبية ببنا.

قالها (راضي) رافعاً إصبعه ناحية (عمرو) الذي رد وهو يلوح
بيده مستهزئاً:

- هو إحنا أصحاب أصلاء!

- إيه الإلراج ده.

نطق (راضي) العبارة في لحظة خروج (جابر) من المنزل وهو يشير لنا بيده لتنبه، رفع أصدقائي الحقائب بطريقة ميكانيكية وساروا ليدخلوا من باب المنزل و(جابر) يسبقنا لداخل الشقة وأنا أهرول خلفهم بعد أن أمعنت النظر في الرجال الواقفين بلا تعبير على وجوههم.

داخل الشقة وضعوا الحقائب وأنا أبحث عن (جعفر) و(صفاء) بعيوني بلا جدوى، تنهنج (جابر) وهو يقف بمتصف صالة الشقة وتأمل وجوهنا بلا حديث كأنه قائد حربى يستعد لخطبة حماسية وسط جنوده.. قال بصوت قوى النبرات هادئ:

- مين عايز يسأل أسئلة فيكم؟

- يا سلام!

قالها (راضي) فنظر له (جابر) نظرة حادة لكن (راضي) لم يتوقف وقال بسخرية:

- حضرتك لا مؤاخذة خطفتنا علشان نخش البيت النحس
ده و...

قاطعه (جابر):

- اللي يحب فيكم يمشي يتفضل.. ما عدا (حسام).
لم ينظر لي وهو يقول ما قاله لكنى مارست نوعاً من التحدي على أمل استفزازه، وهو أن أصمت وأنظر بعيداً في حين كان

عليَّ أن أسأل، بعد صمت قليل نظري (جابر) مندهشاً وهو يقول:

- إنت تعرف إيه عن اللي هتشوفه؟

- أعرف إن عندي فضول.

تراجع (عمرو) المصور بعض خطوات كأنه ينوي الخروج من الباب فنظر له (جابر) قائلاً:

- افضل امشي لو عايز.

توقف (عمرو) كأنه شعر بالخرج من تراجعه على الرغم من عدم لومي له، الغريب أنه تقدم خطوات للأمام ليعود لنفس موضعه الأصلي.

- إيه المطلوب مننا دلوقت؟

قالها (أحمد) فرد (جابر):

- تحافظوا على المعدات اللي معاكم زي عنيكم.

- وهنعمل بيها إيه؟

- (عمر أبو خطوة) هايقولكم وهو اللي هيتصرف.

- مش دي معدات تصوير؟ إنت عايزنا نصور حلقة ولا عايز إيه؟

إضاءة بيضاء تظهر من الغرفة المجاورة وألم الرأس قد عاد ولكن بشدة أكثر وكلنا نمسك برأسنا وننظر باتجاه الضوء

الأبيض المحاط الذي ظهر فيه لون أزرق وأبخرة يتجسد وسطها رجل بلا ملامح، نفس المشهد تقريراً الذي رأيناه آخر مرّة كنا في هذا المزل، صرخ (جابر) فيما بأن تمسك بالحقائب، بداعي الخوف تمسك (أحمد) و(راضي) و(عمرو) و(عمر) بالحقائب كأنهم اعتقادوا بأنها ستتجه إليهم.. ضوء الضوء الأزرق داخل الأبخرة البيضاء بشكل متقطع والأبخرة تخرج من الغرفة إلى الصالة وتحيط بأحمد و(عمرو) و(عمر) ثم تنسحب للغرفة وتختفي الأبخرة ويختفي معها أصدقائي بحقائبهم التي أمسكوا بها.

سقط (جابر) أرضاً على ركبتيه يلهث وهو ينظر ناحية الغرفة التي عادت الأبخرة والضوء الأبيض والأزرق يظهر بها وهو يغادر متوجهًا ناحيتي أنا و(راضي)، نظرت لجابر الذي بادلني نظرة غريبة، نظرة أقرب للغضب أو الكره.

أحاطت بي الأبخرة ولم أعد أرى (راضي)، دفء أحاطني تحول لنار حارقة بأعضائي.. أكاد أجزم أنني لمأشعر بهذا الشعور من قبل، حاولت التنفس فقط لاكتشاف أن أنفاسي غير موجودة، اختفى الدفء ووجدت جسدي خفيفاً كان لا أرض تحتي متعلقاً بالهواء، الألم برأسى زاد لثانية ووصل لأعلى مراحله حتى أحسست بروحى تسحب مني بقوة لأسفل، كأني داخل مصعد يهبط بي بجنون، فجأة اصطدمت بالأرض على وجهي

أنت الأبخرة من حولي وزال الألم من رأسي مخلفاً القليل
منه.

أنا الآن في قاعة كبيرة مبنية بالحجر، ذات سقف مرتفع، بناء فرعوني كأنه معبد أو مقبرة، وفي حوائط القاعة أجزاء تظهر من كرات زجاجية تضيء المكان وجزء من كرة سوداء يبرز، رفعت رأسي أنظر للسقف فنزلت حبات عرق على مقلة عيني أجبرتني على غلقها، استندت على يدي لأنهض فشعرت أن العرق يغمر ملابسي بشكل مبالغ فيه، سمعت صوت (راضي) بجانبي يقول:
- والله العظيم إحنا بنسافر في الزمن.. يا رب يأكلني قطر لو كنت حمار.

نظرت ناحيته، كان نائماً على ظهره غارقاً في العرق والأتربة تماماً شعره وهو يتذكر ويتمدّي لا يمسك بها وأنهضه.
- دا مش سفر في الزمن يا (راضي)

نظرت أنا و(راضي) ناحية قائل العباره لأجده (جعفر)
بملابس سوداء وصورته تهتز كأن ذراته ترتعش كلها، يقف عند جزء من القاعة وخلفه رسمة فرعونية لم أنتبه لها.. نهض (راضي)
متزحجاً وهو يقول:

- ما تقولنا إنت إيه الحكاية وتخلصنا.

لم أتيقن من (جعفر) إن كان يبتسم أم لا بسبب اهتزاز صورته
الذي توقف وهو يقول:

- حتى إنت يا (راضي) صعب تفهمني.
ردًّا (راضي) بياُس:
- يابا الحاج جرب بس ومش هتندم.
وزع (جعفر) نظراته علينا وهو يقول:
- احنا واقفين في حاجة زي المفاعل النووي، بناها المصريين
من 11 ألف سنة.
- جلس (راضي) على ركبتيه إرهاقاً وهو يهز رأسه ويقول
بيأس:
- آه.. فيلم خيال علمي يعني.. طب طالما هي هبصة بقى
بتقول إننا ماسافرناش في الزمن ليه؟
- علشان اللي حصل دلوقت اني جبتكم من بيت (أبوخطوة)
ونزلتكم تحته في المقبرة.
- يا عم ارسى علىرأي.. دي مقبرة ولا مفاعل نووي.
- مقبرة واحد من التاسوع المقدس.
- تاسوعة ولا عاشورة.
- قالها (راضي) بملامح حزينة لكن (جعفر) ابتسם بشكل
واضح وهو يقول:
- من حفكم تسلّلوا قبل ما تروحوا المكان اللي سبقكم ليه
 أصحابكم.

— إحنا نعرف بعض من زمان؟

قلتها متحملًا العرق والألم الجسدي والمشاعر المختلطة التي
انتابتي فرداً:

— في زمن تاني وأرض تانية اتربيت أنا وإنْتْ و(فرغلي
المستكاوي) في (باسوس)، إنتْ كنتْ عايش فيها على فكرة،
كلنا كنا أصحاب، وكل واحد عرفني زمان كانت بتجيله أفكار
وخيالات عنِّي أو عن حياته الحقيقة.

لاحظت أن (راضي) اتبه لكلماته فعلاً حتى أنه قال وهو
يعاود النهوض:

— إنت بتتكلم عن عالم موازي ولا إيه؟

— سيبك من التسميات، هستفاد إيه لما تدور على اسم
مجعلص.

— إنت بتتحرك في الزمن؟

قلتها وأنا أزبح العرق من على وجهي فنظر (جعفر) حوله
وقال:

— المشكلة إني أقدر أتحرك في الزمن لكن مش قادر أغير فيه،
ولما عملت تغيير كبير الزمن صنع زمن جديد، اللي هو زمنكم.

— خط زمني!! دا كلام فاضي يعني إحنا مش حقيقيين؟
قالها (راضي) وهو يلوح بيده اليمنى معتبرًا:

- إنّوا حقيقين مؤقّتاً ومهمني إني أحافظ عليكم وأثبت
أحداث الزّمن بداعكم.

لم أفهم بعض كلامه لكن (راضي) من تعبيرات وجهه يبدو لي
أنه فهم المقصود مع عدم تصديقه له، لم أفكّر كثيراً لأن (جعفر)
قال:

- مش زمانكم لوحده اللي بحاول أخليه حقيقي، في زيكم
تاني.

- وسيادتك بتتحرّك فيها عادي كده قشطة؟
قالها (راضي) فابتسم (جعفر) ثانية وهو يقول:

- علشان زمانكم يستقر لازم يتعدل من نقطّة أبعد، ولأنّي ما
أقدرش أبعد عن البيت ده أكثر من ساعة أو اتنين بزمانكم فمش
هاعمل أيّ تغيير، التغيير هايصنّعه (فرغلي) صاحبنا يا (حسام)
في الوقت اللي ظهرت فيها عيلة (السلاموني) في قرية (أبو النور)،
مهمة (فرغلي) إنه يقتل اللي هيأسس العيلة دي.. لكن مهمته
فشلّت وما عاملش تغيير حقيقي ولو سه زمانكم بينهار، (جابر)
قالّي إنه بعث رسالة ليك علشان عايزك هناك.

- وأنا إيه المطلوب مني؟

نظر لي (جعفر) فترة أطول وكأنه يفكّر بقول شيء، لكنه
تراجع عما أراد وهو يقول ضاغطاً على كلماته:

- إنك تصلح الأخطاء وتبث الزمن بتعاونكم، بأي طريقة.
 عبارته تحمل شيئاً ما لم أفهمه، دخل ممراً كبيراً وخرج حاملاً
 قماشة سوداء اللون فقال (راضي) بتلقائية:

- إيه الملاية اللف دي؟

اختفى (جعفر) من موضعه وظهر أمامنا فتراجعنا أنا
 مصدوماً وهو يقول:

- دي يا (راضي) بلغتك مشحونة بحاجة زي الكهربا،
 هاتتحميكم لما تتحرك في الزمن،
 - حلاوتك.

قالها (راضي) وجعفر يفرد تلك العباءة الكبيرة ويلف بها
 نفسه وهو ينظر لي ويقول:
 - طريقتك في التغيير مش هتعجبني، لكن أنا موافق يا
 (حسام).. افتكر كلامي.

ألقى العباءة علينا نحن الاثنين فصرخنا ألمًا من اللهب الناري
 الذي غطاناً وهذا هو أقل وصف يمكن وصف تلك اللحظة به،
 لا لمأشعر بشيء بعدها لأنني فقدت الوعي.

نهض (جابر) من على الأرض ينفض الغبار عن بدنته ويفرك
 عينيه بيده وهو ينظر حوله لصالحة الشقة بمنزل (أبو خطوة)،

تتفى فريق التصوير ومعهم (حسام)، خطا وهو يتالم من تشنجات بسيطة بظهره وهو يتوجه لباب الخروج لكنه توقف مفكراً، بدل طريقه ودخل إلى الغرفة المجاورة التي يظهر منها (جعفر) دائماً، صرخ قائلاً:

- (جعفر).

مررت دقيقة تخرج (جابر) من أن ينادي عليه ثانية، لكنه استجمع شجاعته وقال بصوت أكثر انخفاضاً.

- مش هامشي إلا لما أشوفك.

مع نهاية جملته ارتفع عمود دخان أبيض اللون وظهر (جعفر) بملابسه السوداء ناظراً إلى (جابر) المتردد وهو يقول:

- مش مطلوب تدخل البيت إلا في المواعيد المطلوبة منك.

مسح (جابر) على رأسه ونظر له قائلاً:

- أنا دماغي فيها أفكار غوفاني.

لم يرد (جعفر) الذي اهتزت صورته لثانية وتوقفت، فأكمل (جابر):

- إنت وصلت (جعفر) و(صفاء) للخمسينات؟

- إنت عارف إجابة السؤال.

- تفتكرا مرة دي هايقدر (جعفر) لما يتحول لشخصيتي ما يغلطش غلطاتي؟

- أسل نفسك لما (جابر) اللي قبليك جالك وعلمك تكون
زيه لما توصل للماضي قدرت تغير؟

قالها (عفرا) بوجه كالحجر، بلل (جابر) شفتيه بلسانه وقال
وعينيه تحرك في كل مكان بلا هدى:

- أنا حاولت أعمل كل حاجة، إنت عملت زمن جديد لكنه
بيقفل نفسه علينا، حتى لما درست ميكانيكا الكم ما وصلتش إلا
لمشاكل، إنت عملت عالم جديد كلنا عايشين فيه، ولو نجحنا إتنا
نخلية هو العالم الأساسي فده معناه إن العالم الحقيقي هاینهار..
أنا بقىت أشك إتنا مجرد حلم أو كابوس فعقلك.. عمرك فكرت
في حاجة زي كده؟

- (جابر)، العالم اللي إنت فيه إدراكك هو اللي صانعه.
- تقصد إدراكك إنت يا (عفرا).. إنت اللي في العالم الحقيقي،
وإدراكك هو اللي صنع العالم بتاعنا.

- إنت مش حلم ولا حياتك كابوس.. مش إنت استمتعت
بيه؟

صمت (جابر) ناظر المرمي التي تعطي الغرفة، رد بعد ثوانٍ:
- هايحصل إيه لو قدرنا نجبر الزمن إنه يأخذ الوقت اللي
أنا عايش فيه ده ويخليه الوقت الحقيقي؟ زمنك الحقيقي.. اللي
بدأت فيه كل حاجة هاینهار؟

- مش هايقى منه غيري، وخدش هايتفكر حاجة إلا أنا، كل اللي حواليك هايعيشوا بشكل طبيعي.

- ولو فشلت؟

- هارجع بالزمن في وقتِي الحقيقي وأغير من جديد وأعمل عالم جديد وأحاول معاه تاني.

- لحد إمتنى؟

- إنت عايز (صفاء) تكون ميتة؟

ابتسم (جابر) وقال:

- (صفاء) ماتت فعلًا في زملك الحقيقي، إحنا مجرد أخطاء في زمناً بتحاول..

قاطعه (جعفر) قائلاً:

- إيه السر اللي إنت شايله وعايز تقوله.. سر يخص (حسام).
اتسعت عينا (جابر) ورفع رأسه بيضاء ينظر لجعفر.

- (حسام) عايز يبني غرفة زي ...

قاطعه (جعفر) بصوت قوي:

- مش عايز أعرف.. إنت بتثق في (حسام) وأنا واثق فيه.

- (حسام) كان بيزورني من الماضي.

- أنا اللي وصلتهولك.

س إنت ماتعرفش هو عايز بعمل إيه.

- يمكن أكون متوقع، كل واحد يحاول بطريقته، سيبه يحاول
زي ما إنت بتحاول.

- (حسام) عايز (عمر) يأخذ مكانك.

تنهد (جعفر) وقال:

- مابقاش ينفع، سيبه يحاول.

- إنت بتفكري في إيه؟

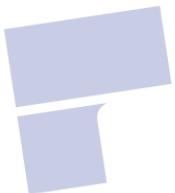
- بفكير إني مش إله.. ومش كل حاجة بتحكم فيها.. زي ما
باديك فرصة تحاول تغير هو كمان معاه فرصة.

- بس أنا مش هاسبيه يعمل اللي هو عايزه.. ولا إنت هاتسيه،
الجشت اللي ظهرت قدام البيت السنين اللي فاتت أنا عارف هي
بتاعة مين، وعارف إنك السبب فيها، يبقى بلاش تمثل قدامي
دور الحكمة.

- وطالما إنت عارف دي جشت مين بتعهم لقدرهم ليه؟
لم يرد (جابر) و(جعفر) يلفه البخار الأبيض ولون أزرق
ينبض حول (جابر) و(جعفر) يختفي.

الفصل التاسع

مع الباحث



pdf element

1836

منزل أبو خطوة

- أصحى يا أسطي وخلصنا.

العبارة تأتيني لتوقفني من النوم، نبرة (راضي) وحوله أكثر من صوت يتكلّم، ففتحت عيني بثاقل، أين أنا؟ لحظة، هذا ليس منزل أبو خطوة بل هو ساحة فارغة والمباني تحيط به، ها هو (راضي) يقف ويتحدث مع (أحمد) و(عمرو) المصور، جميعهم تغطّيهم الأتربة والغبار، لكنهم بصحة جيدة.

- مش عايزة شغل مجاني يا (راضي).. إحنا اخطفنا.

قالها (عمرو) بوجه محتنق وهو يقرب رأسه من رأس (راضي) الذي قال:

- أنا غلطان (حسام) هايفهمك لما يصحّص

- بلا (حسام) بلا زفت أنا خارج مروح

شك (راضي) بيد (عمرو) وهو يهدئ قائلًا:

- يا عم نهارك أبيض.. دا أنا بهزز معاك، كلنا هنخرج
دلوقت مع بعض.

نهضت أنفسي الأثيرة عن جسدي ودوار يعتل برأسى، نظر
لي (راضي) قائلًا بدهشة:

- إنت مش هترجع؟

هززت رأسى غير مدرك لما يقول فأكمل:

- دا احنا كلنا لما فوقنا رجعنا.

لم أشعر بما يتكلم عنه، أعدت النظر حولي، لاستكشف
الموضع الذي تقف عليه أقدامنا، لمحت الحقائب ملقة في
أماكن مختلفة في تلك الساحة، طراز البناء يشبه منزل (جابر)
أو إن أردت الدقة فهو يشبه منازل القاهرة الفاطمية التي بقيت
كمزارات أثرية غير أنه يظهر عليه قرب وقت البناء.

- إحنا فين؟

قلتها ورأسي يدور في كل مكان فقال (راضي):

- إنت مش حاسس إن الجو سخن حواليينا؟ في الغالب
إحنا لسه في بيت (أبو خطوة) بس المباني متغيرة.
- شوف هايرجع يهرب.

قالها (عمرو) بغضب فاعتذر له (راضي)، بينما أنا نظرت إلى (عمر) الشخص الذي لا أعرفه والذي كان يجلس مفترشاً الأرض ينظر أمامه شارداً كأن ما يحدث لا يعنيه في شيء.

- إيه اللي هايحصل يا أستاذ (عمر).

نظر لي كأنه يراني لأول مرة.. عدل موضع نظارته الطبية على أنفه وفتح فمه ليتكلم لكنه أمسك رأسه من الألم كذا فعلنا كلنا، ظهر بخار أبيض ثانية وسطنا وغطى (أحمد) و(عمرو) الواقف بجانبه وهو يصرخان حتى اختفى البخار واختفى معه، تحفزنا في وقتنا لكننا لم تأخذ ردة فعل ونحن نتبادل النظارات و(عمر) يقف على قدميه بخوف، أتى صوت من خارج المكان الذي تتف فيه ووجدت رجلاً يخرج علينا من إحدى القاعات بلحية صغيرة يرتدي جلباباً أزرق عليه عباءة غريبة الشكل وعلى رأسه عمامه بيضاء كأنه أتى من إحدى المسلسلات التاريخية، نظر لنا بشك ثم نظر حوله وهو يصرخ:

- إيه اللي بيحصل في البيت؟

أغمض عينيه وأنصت لشيء لا نراه كأنه يستمع له ثم نظر لنا وعيناه تسعان وهو يقول:

- انتوا مش من وقتنا صبح؟

يريد أحدهنا فأشار بيده ناحية الباب الذي أتى منه وقال
صارخاً:

- اجرعوا وماتبصوش وراكم.

- فيه اتنين جم معانا واختفوا.

قالها (عمر أبو خطوة) فردد عليه الرجل صارخاً:

- اهربوا واستنوني برا بدل ما تحصلوهم.

جري (راضي) للخارج يتبعه (عمر) وأنا أسير وراءهما

لكني ما زلت أنظر للرجل الذي قال مخاطباً نفسه:

- أنا هاوريك يا ابن الصرمة إزاي تلعب بخيثة (أبو

خطوة).

عاد البخار يتشكل أمام الرجل الذي صرخ قائلاً:

- لو مارجعتش مكانك هاجيلك بنفسك.. بعد إنت مش

قدي.

أكملت الجري حتى دخلت هذا الباب لأجد قاعة صغيرة يطل بابها على الشارع.. لم أفكّر لأن (راضي) أكمل جريّاً وعبر هذا الباب ففعلت مثله وأنا أنتجه إلى الشارع و(عمر) بجانبي حتى خرجنا من البوابة إلى الشارع.

بعض الأراضي الزراعية تحيط بنا ورجل يركب حصاناً

ير مزهواً في طريق نمهد بأحجار على الأرض، رجل يجر حماراً ترکب عليه امرأة.. الجميع يرتدون ملابس تشبه ملابس الرجل الذي قابلناه منذ ثوانٍ، لكن المارة في هذا الطريق ظلوا ينظرون لنا بدهشة يتأملون ملابسنا.. قال (راضي) مذهولاً:

- مش قولتكم إننا سافرنا في الز...
قطع جملته لأنه وقع مغشياً عليه.

2004

أمام منزل أبو خطوة

خرج (أحمد عصفور) من باب المنزل لكن وجهه قد تغصن من فعل التجاعيد التي ملأته، ملابسه ممزقة وشعره أبيض اللون يمتلى بالفراغات، كان عمره قد تجاوز التسعين ولم يستطع السير لكنه تحامل على نفسه ليسير بضع خطوات خارج المنزل، سمع صوتاً من خلفه فنظر لباب المنزل ليرى (عمرو) بعلامات الشيخوخة على وجهه يحاول أن يخطو خارج المنزل، لكنه فشل ووقع ميتاً.

أما (أحد) فانحدرت من عينيه دمعة وهو يعاود السير خطوات للأمام لكنه فشل في التحمل ووقع على ركبتيه ثم

تشرجت أنفاسه وهو يمسك بكتفه الأيسر ويغمض عينيه
مستسلماً للموت بعد أن مال جسده ناحية اليمين ليقع أرضاً.

لن يلومني أحد إن تركت (راضي) مغشياً عليه ولو لقليل من الوقت كي أكمل تأملـي فيها حولـي وأنـقبل أنـني في عـصر مـحمد على باشا، في الـبداـية أـشعر أنـ الملـابـس التي يـرتـديـها المـارـة هـزلـية بـعـض الشـيـء بـسبـب تـعدـد الـلوـانـاتـها كـأـنـني أحـضـر مـسـرـحـية تـارـيخـية لـفـرـقة جـامـعـية، إنـ صـح ماـ أـرـاه فالـذـي أـرـاه تـلـفـزـيونـيـاً وـمـسـرـحـية قـرـيبـ الشـكـلـ منـ الـوـاقـعـ.

خارجـ المـتـزـلـ وـجـدت عـرـبة خـشـبيـة مـزـدانـة بـالـنـقوـشـ والأـلـوانـ رـبـطـتـ بـحـصـانـ مـسـرـوـجـ بـسـرـجـ مـزـخـرـ فـ بشـكـلـ مـبـالـغـ فـيـهـ، عـرـبة لاـ تـشـبـهـ (الـكـارـتـةـ) التـيـ أـرـاـهـاـ فـيـ أـفـلـامـ الـأـرـبـعـينـيـاتـ عـنـدـمـاـ يـرـكـبـهاـ الـبـاشـاـ لـيـمـرـ عـلـىـ أـرـضـهـ الزـرـاعـيـةـ قـبـلـ أـنـ يـخـرـجـ السـوـطـ وـيـضـرـبـ الـفـلـاحـيـنـ، لـكـنـ بـهـ قـلـيلـ مـنـ تـصـمـيمـهـ، إـنـ كـانـ مـاـ أـرـاهـ هوـ خـارـجـ مـتـزـلـ (أـبـوـ خـطـوةـ) فـلمـ يـخـتـلـفـ كـثـيرـاـ عـنـ سـيـكـونـ مـسـتـقـبـلاـ، (عـمـرـ) قـرـرـ أـنـ يـوـقـظـ (راضـيـ) الـذـيـ اـسـتـفـاقـ سـرـيـعاـ بـعـدـ بـضـعـ صـفـعـاتـ مـحـترـمـةـ، خـرـجـ مـنـ بـابـ المـتـزـلـ الرـجـلـ الـذـيـ كـانـ يـصـرـخـ وـاتـجـهـ إـلـىـ عـرـبةـ التـيـ يـجـرـهـاـ الـحـصـانـ وـهـوـ يـسـقـلـهـاـ وـيـقـولـ بـدـوـنـ أـنـ يـنـظـرـ إـلـيـنـاـ:

- إنتوا مصريين؟؟

- آه.

ألقى علينا نظرةأخيرة وقال وهو يمسك بلجام الحصان:

- اركبوا بسرعة.

ساعدنا (راضي) ليسلق تلك العربية وانحشرنا داخلها والرجل يلسع الحصان فتسرير العربية وأنا أنظر حولي أحاول تجميع أكبر قدر من الأشياء، بعد قليل من سير العربية ونحن الثلاثة نطل برأسنا منها كالكلاب التي تنظر من نافذة السيارة.. هب على عقل خاطر يتعلق بلهجة قائد العربية، طجته مصرية عادية أفهمها بسهولة، هي نفس لهجتي لكنها أسرع قليلاً وتحمل ل肯ة بسيطة.. أعتقد أني تخيلت أن الناس في تلك الفترة تتحدث باللغة العربية الفصحى.

- أنا صاحب البيت اللي كنتوا جواه.. اسمى (عزام أبو خطوة).

نظرت أنا (راضي) لعمر الذي اكتفى بالنظر لعزم، شجعت وقلت:

- إنت عايش في البيت ده؟

- لا.. أنا ساكن قريب، بس الروحانية بلغتني إن فيه حاجة بتحصل في البيت

قالها (راضي) فرد (عمر) ببساطة وهو ينظر خارج العربية.

- الروحانية دي خدمة الجن بتاعتة.

ألقى (عزم) نظرة على (عمر) ثم نظر لنا سريعاً وقال مشمثزاً:

- إنتوا نايجين كده ليه في الكلام؟

- نايجين!

- بتترقبعوا في الكلام.

طقطق (راضي) بفمه وهو يقول بغضب:

- لا لا لا يا أبو الكباتن، اظبط كلامك دا إحنا من شبرا.

- شبرا كلها رجاله، وكمان إنتوا لا مربين شنب ولا دقن،
مفيش غير الرجال المجدع اللي معاكم ده هو اللي كدة.. انتوا
ماليك والا متفرنجين والا خ....

قاطعه (راضي) بغضب:

- لا دا إنت زودتها أوي وشكلي هاعملها معاك.

سحب (عزم) لجام الخصان فوقفت العربية فجأة وهو يقول:

- والله أعلم إنت بتشتم.

ثم مد يده أسفل مقعده وأخرج مسدسًا مزخرفًا أعتقد أن هذا ما كانوا يسمونه بالغدارة، قال وهو يبحث عن شيء ما أسفل مقعده:

- استنوف حبة الله يكرمكم.

نظرنا له وهو يخرج كيسًا جلديًّا صغيرًا، فتحه وأفرغ منه بودرة رمادية اللون في أحد زخارف المسدس ثم حرك قطعة زخرفية فيه إلى الوراء وهو يقول لنفسه:

- كده تمام..

وجه المسدس ناحية (راضي) وقال:

- كنت بتقول إيه بقى يا ابن الوزة؟

رفع (راضي) يده مستسلماً

- لو البتاع ده بيضرب نار فانا آسف، والله كترت الموضوع يا (عزم) باشا.

بدأ على (عزم) التفكير وهو ينظر لراضي ويقول:

- لو لا اني شفت ده بعيني مكتتش صدقت اللي قالهولي.

- هو مين ده معاليك؟

أبعد (عزم) المسدس وأعاد القطعة الزخرفية للأمام

بـ معها الأصلي وهو يضرب الحصان فتتحرّك العربية، وقال
بساطة:

- هاتعرفوا لما تشوفوه.

الصدق أكثر من اللازم فيها أعاصره، لأنني وجدت على
جانب الطريق في نفس اللحظة مبني مليء بالزخارف من
طابقين علقت عليه لافتة كتب عليها (كشري الخديو) بدون
حرف ياء، رغم غرابة ما أرى لكن لمأشعر بالمصادفة إلا بعد
أن قرأت اللافتة على المبنى المجاور له.. (عصائر فرغلي).. إما
أن هناك شيئاً في السفر عبر الزمن وإما أن (فرغلي المستكاوي)
وضع بصمته في ذلك العصر بطريقة مجنونة.

باسوس 1836

على جانب الطريق الذي تجري فيه العربية ذات الحصان
ووجدت أول أشخاص يرتدون ملابس غير الجلباب، سروال
أسود متفوّخ كساوايل صيادين السمك مدسوس في حذاء
جلدي برقية طويلة، وصديري مليء بالزخارف الذهبية
وطريوش أحمر قصير، كانوا يقفون على جانب الطريق عددهم
عشرة أفراد يحملون بنادق بياسورة طويلة ويلوح أحدهم لنا

توقف.. لن أخمن كثيراً لأعرف أنهم من الشرطة أو الجيش.

- إيه ده؟ لجنة؟

قالها (راضي) فرد عليه (عَزَّام) وهو يوقف العربة بالقرب منهم:

- يعني إيه؟ دول نقطة درك (باسوس) علشان تصاريح تحミيل العربات.

- أية يعني كمين، والله وحشوني.

اقرب أحدهم ونظر إلى (عَزَّام) وصافحه، ومن ثم قال

بصوت أحش:

- كيف الأحوال يا معلم (عَزَّام)؟!

- على الله.. في نعيم وخير،

نظر الرجل إلى ملابسنا بريبة، ثم سأله:

- مين دول يا معلم؟ عاليكك؟

- دول ضيوف (فرغلي بك المستكاوي).

انتفض الرجل في وقته، وارتسم الرعب على وجهه، وبقية الرجال ينضمون إليه ليفهموا سرّ تبدل حاله أثناء حديثه معنا، أعتقد أنه لو ذكر له اسم (محمد علي باشا) نفسه لم يكن ليتفضض

بده، الشكل، حاول الرجل تمالك نفسه وهو يسأل بأدب لا يليق بمظهره العسكري وشاربه وذقنه:

- اعتذاري يا معلم (عزّام).. لكن شكلهم يقول إنهم مش من البلد و..

- (فرغلي) بك مستنفهم، وإنك عارف إنه هايزعل لو ضيوفه زعلوا.

عند إعادة ذكر اسم (فرغلي بك). انتفض البقية، ولكن الرجل قال:

- لو هما من الفرنج فأنا مضطرك أشوف سركي القنصلية بتاعتكم.

- خلاص.. أبعث واحد من اللي معاك يرافقنا لفرغلي بك علشان يشوف التصریح بنفسه، أو عمکن تيجي إنت علشان تأخذ قهوتك مع البك نفسه.

تراجع الرجل لا إراديا خطوة إلى الوراء، وهز رأسه موافقا بأدب جم، وهو يقول:

- ضيوف البك على راسي، اتفضل إنت يا معلم.. بس أنا مضطرك أعمل تقرير وأبعث عسكري مراسلة بيه لدار شرطة القناطر.

- اعمل شغلك زي ما تشوف.

قالها (عَزَّام) وابتسم لهم، وهو يضرب الحصان فتتحرك العربة، بعد ابتعادنا عنهم قال (عَزَّام):

- شكلكم هاتعملونا مشاكل.

قال (عمر):

- هو اسم (فرغلي المستكاوي) خوّفهم ليه؟

- اسمه (فرغلي) بك.. أنا عاذرك علشان متعرفوش، البك يبقى من مستشاري عزيز مصر.

مال (راضي) على أذني، وقال برعبر:

- هو إحنا رجعنا لعصر النبي (يوسف) ولا إيه؟

- مين عزيز مصر ده؟

قلتها فرد (عَزَّام) وهو يكاد يلطم:

- بتقولوا من شبرا وما تعرفوش عزيز مصر؟ خادم الحرمين..

- يا عم متلخبطناش إنت بتتكلّم عن ملك السعودية ولا عن مين؟

نظر إلى نظرة سريعة، وهذا وهو يقول:

- (محمد علي باشا).. إنتوا حقيقي مش من عصرنا؟

إحنا بعديكم بكتير.. بس إنت شكلك عارف كويـس
لأنك أتعاملت مع اللي حصل معانا في البيت.

قلت العبارة وانتظرت منه الرد، لكنه صمت قليلاً؛ ثم قال:

- (فرغلي) بك حكالي من زمان حكاية عن إنه جه من مستقبلنا، وأنا ماكتتش قادر أصدقه، مستحيل حد غير عيلتي يكون تحت البيت، قالي إن فيه عيل اسمه (جعفر) موجود عند الخبيثة وبيستخدمها علشان يكون زينا.. من أصحاب الخطوة، إنتوا فاهمين ولا أنا بكلم نفسي؟

تبادلنا النظر إلى بعضنا البعض، ثم قال (عمر):

- تعرف إيه اللي حصل للاتنين اللي كانوا معانا؟

- أخذهم اللي عامل نفسه صاحب الخطوة، ابن الكلب شوفته بعيني وشافني، لكن أنا خوفته.

- خاف من الجن اللي حواليك؟

قالها (عمر) فرد (عزّام) وهو مشغول في توجيه الحصان إلى الدخول وسط الأراضي الزراعية:

- لا، أنا هددته إني ممكن أجبله، مش هاعمل كده طبعاً لكن لو كلام (فرغلي) بك صح، يبقى هو في المستقبل، وأنا في الماضي، ولو أنا نزلت تحت البيت للخبثة وبعدتها عن البيت مش ه تكون في مستقبله.

أبهرتني كلماته، لا أعرف لم اعتبرته غبياً، أو للحقيقة اعتبرت كلّ من جاء في هذا العصر أغبياء، لمجرد أنهم متأخرن عنـا في الوقت، هبت رواحة عطرية من المساحات الزراعية الشاسعة حولـنا، وال فلاحون ينظرون إلينا بدهشة كبقية الناس، حتى ظهر في الأفق بناء ضخم بثلاث قباب عالية يطل على النيل، أضخم منزل على الطراز الإسلامي رأيته حتى الآن، أضخم حتى من منزل (جابر) الذي انبهرت به مسبقاً، أمام المنزل رجال يرتدون ملابس كملابس رجال الشرطة في هذا العصر، ويحملون البنادق واقفين في وضع الحراسة، توقفت عربتنا أمامهم فجأاً أحدهم (عَزَّام) الذي قال:

- بلغوا البك إني طالبـه في عجل.

فتح أحدهم بوابة خشبية بطول عشرة أمتار، ودخل منها، اختفى لدقائق ثم عاد بعدها جريأاً وهو يشير لنا بالدخول، وهو يقول:

- البك متظرـك في قاعة الاحتفالات في السلاـملـك، هو معاه (أبو حودة) دلوـقت.

همـس (راضي) بأذني:

- دـا الـديـلـر بـتـاعـهـ وـالـإـيهـ؟

يُكَفِّ (راضي) عن السخرية في أي موقف، لا أتصوره وهو يموت إلا وهو يلقى بالنكبات قبل صعود روحه، ضربت قدمه بيدي ليتوقف والعربة تدخل إلى القصر.. سارت العربية وسط حدائق بحجم حديقة الأزهر في عصري، ونحن الثلاثة لا نتوقف عن النظر بجنون لكل هذا؛ حتى وصلنا إلى بوابة خشبية أصغر يقف عندها رجال آخرون بأسلحة، ومعهم شاب بجلباب وعباءة عليها، قام بتوجيه (عَزَّام) ليوقف العربية في موضع مخصوص لها، إذاً فهذا الشاب هو السايس في عصرنا حتى توقعت أن يترك له (عَزَّام) بعض أوراق مالية في يده عند خروجه لاستلام العربية.

افتتحت البوابة ودخلنا منها إلى مبني فخيم يمتلىء بالقاعات، و(عَزَّام) يسير عالماً وجهته، ونحن وراءه، حتى دخل قاعة تمتلئ بنوافير المياه، والقناديل المعلقة في السقف، مختلفة الألوان والمقاعد الكبيرة الملائمة بأعمال خرط الخشب والأرابيسك، مقاس القاعة يساوي مساحة خمس شقق من شقة أحلامي، وفي أبعد نقطة في القاعة يجلس شاب يرتدي جلباباً، وإلى جانبه أربع فتيات يظهرن شعر كل واحدة منها متباين اللون والمنظر كأنهن من بلدان مختلفة، يقفن بخنوع..

أمامهن مجلس على أكبر مقعد في القاعة رجل في منتصف الأربعينيات بلحية منمقة تختلي بمواضع الشعر الأبيض وشارب ضخم تظهر فيه شعيرات بيضاء قليلة، ووجه عادي لكنه يحمل هيبة غريبة، جلابه رمادي اللون، بسيط، بأكمام واسعة جداً، وعمامته زرقاء ملفوفة بعنایة، يحمل بيده عصا طويلة يضعها بفمه.. طبعاً مع اللحظة الثانية لتأمل تلك العصا المليئة بالنقوش علمت أنها أقرب للغليون؛ لكنه غليون طوله متر ونصف، ب نهايته فوهه بها التبغ المحترق الذي يسجّبه الرجل إلى صدره، وينتفت دخانه الكثيف في الهواء، وهو ينظر إلى الفتيات بخيالية أمل ويقول للشاب:

- إيه يا (أبو حودة) ده ولا واحدة فيهم بتتكلم مصري.

عندما تكلم الرجل عرفته من نبرة صوته المضحكـة، (فرغلي المستكاوي)، طابت صورته التي أعلمها بمظهره الآن، وشعرت أنه يشبهه بالفعل، وهو يقول لإحدى الفتيات:

- إنتي يا ماما.. قولي أحل مسا عليك.

هزت الفتاة كتفيها بعدم فهم.

- شايف مجايك يا (أبو حودة).

رد الشاب بسرعة:

ما يتكلموا باللغة اللي عايزة فيها يا (فرغلي) بك، مقامك
مش محتاجهم علشان خدمة بيتك.

- لا لا... إنت شغلك مباقاش نصيف.

توقف عن الكلام ونظر إلى عَزَّام وهو يشير إليه ليقترب،
سرنا كلنا نحوه وهو يتأمل فيينا؛ حتى تحررت عيناه على ثم
زاغ بصره في ملابستنا وعاد لينظر إلى مرة ثانية، نهض من المهد
ملقىً بعاليونه الغريب، وسار ناحيتي فابتسمت له وهو يصرخ:
- إنت (حسام) ولا أنا اصطبحت بدرى.

فتحت ذراعي فاحتضنني لثوانٍ، قبل أن يبعدي ويتأملني،
وهو يقول بشك:
- إنت هنا إزاي؟
- (جعفر).

تراجع إلى الوراء وهو ينظر إلى عَزَّام الذي اندھش فعلاً
لحراقة ترحيبه بي.

- أنا جبتهم من بيتي وملقتش حد أوديهم عنده إلا هنا يا
صاحب المعالي.

قالها (عَزَّام) فأشار (فرغلي) إلى الشاب والفتيات ليخرجوا
وهو يقول مرتبكاً:

- خد البنات إنت وامشي وعدى عليا بعدين.
- يعني مفيش جارية بعينها دخلت مزاجك.
- يا (أبو حودة) أخلص وامشي بدل ما أخليهم يجيروا
الفلكة ويعلقوك فيها.

هز الشاب رأسه، وسحب الأربع فتيات وخرج من القاعة،
قلت أنا مبهوراً:

- أنا مش مصدق إن شكلك متغير كده، مستحيل كنت
أعرفك لو أستاذ (عَزَّام) محكاليش عنك.

- أنا مش أستاذ يا ولد.. هما ماليك يا بك؟

تسارعت أنفاس (فرغلي) وهو يرد:

- لا.. هما مش فاهمين كلامنا لسه، علشان جم من نفس
المكان اللي جيت منه، بص يا (عَزَّام).. إنت تمشي وتعدي عليا
بكرة علشان نتكلم، وإوعى حد يعرف بيهم.

هنا قال (راضي):

- محدش يعرف إيه دي مصر كلها شافتنا، الحاج (عَزَّام)
كان مركتنا عربية حنطور مكشوفة، وفيه كمين ناحية الدائري
باين وقفنا و...

قاطعه (فرغلي) متسائلاً:

- إنت مين؟ أنا شفتك قبل كده بس مش فاكر فين؟
 - تقدم (راضي) إل الأمام ومد يده وهو يقول بطريقة آلية:
 - مهندس (راضي)، موظف سابقاً ومسافر عبر الزمن حالياً.
 نظر (فرغلي) إل يده الممدودة للحظة، ثم ابتسם بقوّة، وهو
 يتتجاهلها ويختضنه قائلاً:
 - افتكرتك.. أنا شفتك مع (حسام)، منور بيت أخوك يا
 (راضي).
 قال (راضي) مشيراً إلى عمر:
 - أعرفك بعمر أبو خطوة.
 الغبي يكتشف كرونا لا نعلم مدى تأثيرها، كان تأثير هذا
 الاسم صاعقاً على (عَزَّام) الذي نظر إلى (عمر) بربطة بينهما
 (فرغلي) يقول:
 - أقابلك بكرة يا معلم (عَزَّام)، هستناك.
 لم يحرك (عَزَّام) عينيه من على (عمر)، وهو يغادر القاعة
 بينما (فرغلي) يسألني:
 - (جعفر) أجرك تيجي؟
 - لا.. إنت بعتلي رسالة!
 - نعم يا أخويا.. ودي بعثهالك إزاي؟

كدت أن أشرح له حكاية المخطوط الذي وقع في يدي، لكن
 (عمر) تكلم بهدوء وبعبارات لم أكن أنا نفسي أعرفها.

- إنت كتبت رسالة لحسام بتطلب منه يجييك هنا في الزمن
 ده، وسيتها في مقبرتك.

أصدر (فرغلي) صوتاً من فمه يشبه صوت القبلة، وهو
 يحرك يده اليمنى فوق رأسه ويقول:

- فالله ولا فالك يا أخي.. بس أنا لسه ماكتبهاش.
 - هو إنت لسه مت؟

قالها (راضي) فظهر التفكير على ملامح (فرغلي)، بدأت
 هيبيته تذهب قليلاً من نظري بعد أن تأكدت أنه يتميز بنفس
 حالاته القديمة، لا أعلم لماذا يرهبه الجميع هنا؟.. عدل
 (عمر) من وضع نظارته، وهو يكمل كلامه:

- فيه جماعة من ألمانيا لقوا الرسالة دي في مقبرتك، وبعد يومها
 الاتحاد السوفيتي عمل مشروع كبير بسبب رسالتك، علشان
 يدرسوا الآثار المصرية.

- خلاص إنتوا تريحوا دلوقت وتغيروا لبسكم علشان
 مانتفضحش، ونتكلم بعدين.

- إلا يا أسطى إنت كنت قاعد بتنقلب في شوية مزز من
شوية، إنت كنت بتشتري جواري؟

قالها (راضي) وهو يغمز عينيه، تلفت (فرغلي) حوله كأن
أحدهم يراقبنا، وهمس لنا:

- ما أنا مش نافع أتجوز.

ردّ عليه (راضي) بصوت خافت:

- سلامتك.

- لا مش اللي في بالك، أصل ماينفعش أتجوز لأنّي ممكن
أخلف، ولو خلفت هاغير في الزمن أكثر وأضيف أحداث
وأشخاص هتأثر على أيامكم، وهذا اللي مش متجوز لازم
يكون عنده جارية وإلا هيفهموني غلط ويفتكرولي...

لم يكمل جملته وهو يهز رأسه لراضي الذي شهد وهز رأسه
متفهمًا، لكنه قال بسرعة، وهو يضحك:

- بس إنت تلاقيك مغرق نفسك في الجواري.

- عليا النعمة ما لمست ست من ساعة ما جيت يا أخي
(راضي)، دا أنا بعمل ده منظر علشان الكل يفتكري فلاقي وبتاع
ستات ومش عايزة أستقر، لكن أنا مش هاخاطر وأبدل لكم

علشان مزاجي .. يا (راضي) دا أنا بقىت كبير في السن وبتعمل حاجات المراهقين.

قالها بتتأثر وعيناه تكادان تتكون بهما الدموع، حتى إن (راضي) احتضنه وهو يربت بقوه على ظهره.. دخل القاعة شاب في العشرينيات من عمره يرتدي جلبائياً وعباءة ووقف على بابها كأنه يتنتظر شيئاً ما:

- أعرفكم يا شباب بدراعي اليمين (ستقر)، واحد من أخلاص رجالتي.. وهو هايشرف على إقامتكم، وقدروا تطلبووا منه اللي إنتوا عايزينه.

ونظر إليه، وقال:

- دول يا (ستقر) تعتبرهم أنا بالضبط، إخواتي وأصحابي..

قاطعه (راضي) وهو يتشمّم الهواء:

- إنتوا طابخين حاجة؟

- طواجن عكاوي.. ليه؟

- أصلـي شامـم ريحـة مشـاوي.

كان في القاعة رائحة شيء عطري يحترق، ظهرت بقعة لحب صغيرة في القاعة من جراء إلقاء فرغلي غليونه أرضاً عند استقبالنا لأنـه أصبح (فرغـلي) بكـ، ولكـنه لم يتبـه إلى السـجاد

اللهـنـ، ولم يتبـهـ طـبـيـتـهـ وـهـوـ يـجـرـيـ صـارـخـاـ فـيـ (ـسـنـقـرـ)ـ أـنـ يـتـصـرـفـ
وـيـدـعـونـاـ لـنـجـرـيـ مـعـهـ مـغـادـرـيـنـ القـاعـةـ.

1970

المستشفى العسكري

في الطابق الثالث كان (جابر) يتحرك ومعه صديقه المهندس (حلمي فضل الله)، هناك حركة غير طبيعية في المستشفى بالإضافة إلى أجواء حزن تختلط بالقلق تنتشر في المكان، وتظهر على المرضى والأطباء لدرجة أن أحدهم لم يسأل (جابر) و(حلمي) عن وجهتهم إلا مرة واحدة، وهم يتوجهان إلى إحدى الغرف التي وقف أمامها جندي منكس الرأس ينظر أرضاً، ويسرح في اللا مكان، وقف الاثنين أمامه و(جابر) يقول:

- افتح الباب يا دفعـةـ.

انتبه له الجندي وهو يقول بالكلـةـ:

- حضرتك مـنـ؟

- (جابر عبد السيد) رئـاسـةـ جـهـورـيـةـ.

لم يعرف الجندي ما يفعله فرفع يده بالتحية العسكرية، وقامته تتصبّ، وهو يقول:

- ماعنديش أوامر بدخول حد غير الدكّاترة والممرضين.
- إنت بتضرب التحية لمدني؟؟ افتح الباب يا ابنى إنت مش قد اللي بيحصل.

- يا أفندي ميرضكش بهذلتي.

قال (حلمي) بعصبية:

- إنت سامع هو بيقولك إيه؟ مين..

توقف (حلمي) عن إكمال عبارته، ورجل يأتى جريأاً من آخر الممر يرتدي الملابس العسكرية، وهو يقول:
- إيه اللي موقفكم هنا يا بهوات؟ الغرفة تحت حراسة البوليس الحربي.

وجه (جابر) جسده ناحية الرجل، ألقى عليه نظرة باردة، وهو يخرج من جيئه تحقيق الشخصية، و "كارنيه" صغيراً نظر فيه الرجل وأعادهم إلى جابر قائلاً:

- سيادتك عارف اللي حصل النهارده وفاهم...
- يا سيادة النقيب الزيارة دي بشكل ودي فبلاش تخليبني أجييها من فوق.

ـ ادل الانان النظرات الباردة حتى قال الرجل:

ـ حمس دقايق بس يا افندم ولوحدك، ودا بشكل ودي لأنني
شفت سيادتك قبل كده وعارف إنك مش بتاع مشاكل.

أمر الجندي بفتح الباب، ليدخل (جابر) إلى غرفة المستشفى
وتغلق وراءه.. الغرفة عادية، بل أقل من العادية، لم تحتوي على
أجهزة طبية بل فراش حكومي قديم، وكومود، ودولاب
ملابس، ومقطعين؛ على أحدهما جلس (عصام الدين خليل)
في ملابس المرضى، لكن حاله قد تبدل كثيراً، جسده أصبح
هزيلاً، ولحيته نامية بشكل غير مهندم، مع الشعر الأبيض
الذي نما على جنبي رأسه، أضافوا على عمره عشرين عاماً،
ساعد في إثبات ذلك السن الدموع التي ظهر آثارها على خديه
وعينيه الحمراوين من أثر البكاء.

ابتسم (جابر) بحزن وشفقة لرؤيته، في حين رفع (عصام)
رأسه له، ونظر إليه بحزن، وهو يقول:

ـ كل حاجة راحت.

جلس (جابر) على المقعد بجواره، وقال:

ـ إنت عرفت؟!

ـ الله يرحمه، البلد هتقع خلاص.

تسليت ابتسامة خفية ساخرة على وجه (جابر)، وهو يقول:
 - ماكنتش فاكر إنك هتعيط كده لما (جال عبد الناصر)
 يموت.

- أنا بيكي على كل اللي إحنا عملناه.
 - ولا بتبكي على حالك؟ (عبد الناصر) رماك في السجن
 الحربي من 3 سنين من غير سبب، وقفل كل مشاريعك الحربية
 اللي كنت بترى فيها.

توقف عن البكاء ونظر إلى الأرض، وهو يمسح بيده
 دموعه، ويقول:

- الروس ضغطوا عليه، ماكانتش بمزاجه.
 هنا وضحت ابتسامة (جابر) الساخرة، وقال:

- ولسه بتحبه حتى لما جالك السكر والكمد في السجن؟!
 فكر (عصام) قليلاً وهو يستنشق الهواء بقوّة، وطلب من
 (جابر) سيجارة، فأعطاه هذا الأخير من علبة واحدة، وهو
 يقول:

- مش هترق.
 أشعّلها له، و(عصام) يسحب منها أنفاساً، ويحاول ألا
 يسعّل وهو يقول:

- أنا وإنت وغيري ماكناش بنحب (عبد الناصر) نفسه، كنا بنحب الأمل اللي فيه، الأمل أتنا نبقى قوة عسكرية تخوف بيها الغرب، الأمل إتنا تقدم ..

سعل فجأة ثم عاد ليكمل:

- مش مهم إتنا ماكناش عارفين نعمل طيارات ولا صواريخ ولا نصنع حاجة، المهم إتنا كنا بتحاول، كنا بتحلّم، حتى لو صحينا على كابوس فكميّة أتنا أستمتعنا بالحلم.

- بس إنت ما استمتعتش وعشت سنين في الكابوس.

- يمكن الناس العاديّة كانت فرحة، وده كفاية.

استرخي (جابر) بمقعده وأخرج سيجارة لنفسه، أشعّلها ونفث دخانها وهو يقول:

- ومين قالك الناس فرحت، هما كمان زيـك كانوا بيحلـموا بالأمل وعايشـين مستـين حاجة تحـصل، حلـوة أو وحـشـة مش مهم، المهم إنـهم يستـحملـوا عـلـشـان يـشـوفـوا بـكـرة.

القى (عصام) رمـاد سـيجـارـته عـلـى الـأـرـض، وـقـالـ:

- مـفيـش بـكـرة خـلاـصـ.

- لا مـاتـقلـقـش يا سـيد (عصـام)، فـيه بـكـرة وـيـعـدهـ وـلـسـه يـاما هـنـشـوفـ.

- اللي حوالين (عبد الناصر) هايأكلوا بعض والبلد هاتولع
لحد ما حد فيهم يمسك.

- (السداد) كان النائب بتاعه وهو اللي هيمسك.

ابتسم (عصام) وهي من المرات القليلة في حياته التي رأه
فيها (جابر) بيتسم، وقال:

- (السداد) طيب، هاييشيلوه بعد شوية دا لو مقتلهوش.

ضحك (جابر) بقوه لدرجة أن (عصام) نظر إليه بذهول
 حقيقي، و(جابر) يتوقف عن الضحك ويقول:

- (السداد) هو اللي هايقش ويخلص عليهم كلهم، هو
الخسان الكسيان، وأنا راهنت عليه، أنا معاه وهاخليه يرجوك
الملعوب السياسي تاني و...
قاطعه (عصام) غاضبًا:

- لا.. أنا مش عايز أرجع، لو قدرت تخرجني من السجن
الحربي بيقى عملت فيا جبيل، ولو رضبوا يدوني معاشى علشان
أصرف على عيالي بيقروا متشرkin.

- طب ومشروع إيزيس؟

تبدلت ملامح (عصام) الحزينة الضعيفة واستعادت جزءاً
قليلًا من شدتها، وهو يلقى بعقب السيجارة أرضًا، ويدرسه
بحفيفه قائلًا:

- أنا مليش دعوة بالمشروع خلاص.

- إنت عارف يا سيد (عصام) إن كل حاجة كانت حوالين المشروع ده، إنت ما انسجتتش علشان مشاريع الطيران ولا الأسلحة الصاروخية، أنا وإنت عارفين إن مدير مشروع (إيزيس) في مصر هو اللي ضغط على (عبد الناصر) علشان يبعدك، لازم المشروع يتوقف.

- إنت كنت بستفاد من المشروع زيه ما تعملش فيها طيب.

- بستفاد إزاي؟

- ده اللي ماقدرتش أعرفه.

قالها (عصام) وعاد وجهه إلى حالة الضعف والوهن ثانية، وهو يرکن رأسه على يده اليمنى ويقول بأسى:

- من ساعة ما التحبيست ومحدش بيسأل عليا.. ولما تعبت ونقلوني هنا من سنة مفيش حد بيزورني.

نظر إلى جابر وأكمل حزيناً:

- كنت عايزكم تزوروني وتسألوا علينا، بس إنتوا بعدتوا.

- ما هو الأمل اللي حضرتك بتتحبه في (عبد الناصر) كان مخوفنا نسأل عليك، حتى علشان مانصحاش من الحلم على كابوس.

- لو عرفت تخرّجي من هنا يا (جابر) خرجني، وابقى
أسأل علياً من وقت للثاني.

تمجلت الشفقة على وجه (جابر)، وهو يقول مبتسمًا:

- هاتخرج، وهتاخد معاش، وأتنى أشوفك واقف على
رجلك قريب.

أنهى كلماته وهو يقف ملقيًا بسيجارته أرضاً، اتجه ناحية
باب الخروج، ولكنه توقف وابتسم وهو يستمع إلى صوت
(عصام) يخبره قائلًا:

- إنت ملكش في لعبنا، ومش جاي تساومني، بس كان
نفسك تعرف معلومات وماقدرتش تطلبها مني، يمكن
صعبت عليك، أو ماحبتش تستغلني.

الفت له (جابر) محافظًا على ابتسامته، وهو يكمل:

- إنت يا (جابر) بهمك في المشروع ده بيت (سيد أبو
خطوة) اللي عايزين يخشووه وإنْ راضن، وبهمك المقبرة اللي
في (باسوس) اللي دخلتها إنت و (أليكسندر قسطنطين)
وما عرفتوش تخرجوا منها بحاجة.

- مكتبك دخل المقبرة بعدينا وأخذ كل اللي فيها.
عادت الحيوة إلى وجه (عصام) ونبراته، وهو يقول:

إنت مش مهرب آثار ومتاكد من كده، لكن يهمك الحاجات اللي خرجناها، وطبعاً محدثش يعرف مكانها غيري، لأنني شايلها في مخزن من المخازن الآمنة تبع المكتب.

- أنا مش عايزة غير الحاجة اللي جوه القبر؟

- تعرف يا (جابر)، كان عندي فضول أعرف إنت مين؟ وأعرف الحاجات اللي جوه المقبرة الإسلامية دي هاتفيفيك بيايه، دورت فيها قبل ما أوديها المخزن ومافهمتش حاجة، بس كنت عارف إنك هتدور وراها، وتحاول تواصل معايا، وأديك جيت.

زادت ابتسامة (جابر) وظهرت أسنانه، و(عصام) يقول:

- احفظ العنوان ده كوييس.. وخليل بالك على نفسك.

1836

أين هيبة هذا الماضي؟! منذ استيقاظي اليوم في منزل (أبو خطوة)، في عصر (محمد علي باشا)، وخروجي مع (عَزَّام) إلى منزل (فرغلي)، لم أجد الاهالة التي تحيط بالماضي، فمصر وناسها كما هم بنفس طريقتهم، بنفس كلماتهم هذا إذا افترضت أنني سافرت إلى الماضي بحث.

تجمعنا مع (فرغلي) على العشاء، معظمنا صامت إلا من سؤالي إيه عن تاريخ السنة وأجابني هو بالتاريخ الهجري، ثم عده إلى الميلادي لاستطاع فهمه، ولم يتكلم أحدنا حتى انتهينا من الطعام. أوصلنا (سنقر) إلى الحرملك في الطابق الثاني، لنرتاح في غرف النوم قليلاً، طبعاً لم يستطع (راضي) إلا أن يعلق -كعادته- على وجود نساء في الحرملك، باعتبار كلمة (حرريم) فأخبره (فرغلي) بحكمة كوميدية أن السلاملك يعني "السلام لك"، وهي أماكن استقبال الضيوف والغرباء، والحرملك يعني "حرام لك"، ويعني أنها غرف العائلة، والتي لا يقربها الضيوف، وبها أنها لست ضيوفاً فستنقيم به، كما أن القصر ليس به سوى بعض الخدم والجواري الذي يحتفظ بهم (فرغلي) لفترة، لا يمسهن فيها ثم يبعهن ويشتري آخريات، كي يعمق الصورة الذهنية عنه بأنه زير نساء وطوال فترة إقامته الجواري فإنهن يعشن في قاعات خاصة بهن، لا يقربها أحد حتى يغادروا، اللهم إن أراد (فرغلي) التحدث مع إحداهن -كذلك أخبرني هو- لتمضية الوقت لا أكثر في مواضع تافههـ.

دخل (عمر) إلى غرفة النوم، وأنا و (راضي) اخذنا غرفة واحدة، وجدت ملابس نوم تنتظرنا على الفراش تناسب هذا العصر، لكنها لم تتناسبني لأنني لم أعتد على الجلباب في حياتي،

لِي فراش، ولي آخر، لكنني لم أنم مثل (راضي) الذي تعالى شخيره بعد ثوانٍ من استلقاه، أما أنا فجلست على الفراش أنظر إلى القنديل الزجاجي المعلق في السقف، وداخله يشتعل لهب يتغذى على الزيت، لم أنم لأنّي أفكّر بعمق أو أحلم، لكن الحقيقة أنني لاحظت أن كل من حولي يفهمون ما يحدث بشكل أو آخر؛ لكنني لا أستطيع ربط أي حدث بالآخر.

(راضي) نائم لأنّه يفهم، وأنا مستيقظ بجانبه جاهلاً بكل ما يحدث، عقله -راضي- يمتلك بمعادلات ونظريات تجعله يتقبل ما نحن فيه، و(عمر) يعلم أكثر مما يكشف ويتحرك بناء على تعليمات، أو مهمة كلف بها على حسب ما لاحظته، أما (فرغلي) فمن تخميني لعمره، ومن الرسالة التي تركها بمقرّته فأعتقد أنه عاش سنين طويلة هنا وعلم الكثير من الأمور.

لكن هناك الكثير من الأسئلة التي لا حل منطقي لها.. (راضي) ما زال يحلم بصوت عالٍ كعادته، وهو هو ينطق اسم (دعاة) ويتحدث معها عن شيء غريب، حتى أخذ يردد كلمتين بلا معنى (تعويض مكاني)، ظلّ يردد الكلمات كجهاز التسجيل بلا انقطاع، حتى سمعت نقرات على باب الغرفة وصوت (فرغلي) من الخارج يطلب إذنًا بالدخول، دعوته فدخل ونظر إلى راضي وقال:

- (تعريض مكان) إيه اللي بيقولها؟
- لا سيبك، هي هربانة منه شوية.
- كنت عايز أتساير معاك شوية وكويس إنك لسه مانمتش.
- تتساير.. وماله، ما إحنا كده كده لازم نتكلّم.
- تحب تقعد في الجنيّة نشرب قهوة؟
- قهوة دلوقت؟

القهوة هنا في أي وقت، حصلني على تحت.
 قالها فجريت وراءه، لأنّي لو تحركت في هذا المترزل وحدّي
 سأتوه على الأغلب بين مرات غرفه المعقدة.. نزلنا درجات
 سلم خشبي، بعد بضعة مرات ووجدت أننا في حديقة صغيرة
 جداً، بها بضعة مقاعد موضوعة حول منضدة صغيرة مزخرفة،
 كل شيء في هذا العصر مزخرف بعنایة، حتى إنني أسرح في
 تلك الزخارف بشكل لا إرادي.

جلستنا على مقعدين متباينين، و(فرغلي) يصرخ منادياً
 (سنقر) الذي أتى من اللا مكان مهرولاً، أخبرت (فرغلي) عن
 مقدار السكر الذي أريده في القهوة.

- قولهم يعملونا اتنين قهوة معنبرين مانو وهاتلي الشُّبك
 بتاعي وواحد كمان للسيد (حسام).

فهمت عندما أجابني أنه الغليون الذي كان يدخنه عند مقابلتي.

- لا أنا تمام، مشن ناوي أموت بالسرطان عندكم.

- ياد دا أنا عندي دخان صابع جاي من اللاذقية على هنا دوغري.

- إيه المصطلحات الأوفر دي.. كفاية عليا القهوة المانو، إلا هما يعرفوا معنى مانو؟

صرف هو (سنقر) وضحك وهو يقول:

- أنا جيت لقيتهم بيقولوا على القهوة الزيادة مانو.
- إنتوا تعرفوا السكر؟

- لا دا إنت هاتندهش كتير على كده بقى، كل الناس عارفين السكر يجي من 500 سنة، كنت زيـك كده لما جيت من 18 سنة، كانت البلد حاجة تانية، والوالـي لسه ماسـك، والمـالـيـك مـحاـوـطـيـه من جـهـةـ، والـبـابـ العـالـيـ من جـهـةـ تـانـيـهـ، وأـنـاـ كنتـ خـاـيـفـ.

ظهر التأثير عليه وهو يسرح بعينيه في المنضدة، ويقول:

- خرجت من بيت (عزام أبو خطوة) واستكشفت كل

ساجة بنفسي، دُقت طعم كل حاجة، سنة ونص شحات في الشوارع، بشحت الأكل مش الفلوس، وستين صبي في مغلق خشب في إمبابة، وجت سنة 1811 وافتكرت إن فيه حاجة هاتحصل في السنة دي، فاكر أبلة (عفاف) العقرية اللي كانت مدرسة دراسات اجتماعية وإننا صغيرين؟!

ابتسمت وأنا أهز رأسي، وأنذكر تلك المرأة الشمطاء التي كانت تردد ما في كتاب الدراسات الاجتماعية في طفولتنا كالرجل الآلي، بلا أي فهم أو معنى، أكمل هو:

- السنت دي أنا بكرهها أوي، بس هي حفظتنا معلومات عن العصر ده، ربنا يديها الصحة لو كانت عايشة وتدخل جهنم لو ماتت.

قلت أنا:

- مدبحة القلعة!

- الله ينور على مخك، طبعاً معظم اللي درسناه كان غلط، بس الشوية الصبح اللي أنا فاكرهم فدروا يخلوبي أشق طريقي من غير ما أغير حاجة في التاريخ.. أتصاحب على العمال اللي بيشتغلوا في قلعة الجبل.

- فين دي؟

دي اللي أخدناها في التاريخ باسم قلعة (محمد علي)، هناك أبهرت رئيس العمال، وعليت لحد ما وصلت لمسؤولين الأبواب بناعة القلعة وافتكرت اسم باب العزب اللي يطل على ميدان الرميلة، واتعرفت على صاحبه المسؤول عنه (إبراهيم أغا)، ومنه قدرت أوصل لفوق لحد الوالي بنفسه، وعرضت عليه فكرة مجنونة، كنت عارف إنها بتدور في راسه، وغيري عرضها عليه قبل كده، نقضي على كل المماليك إما بالسم في وجبة أكل، وإما في احتفال مهيب، أو يتغفل عليهم باب العزب وهم خارجين، والأرناقوط يخلصوا عليهم بالسيوف.

- هي دي تفاصيل المذبحة؟
 - لا مش بالظبط، أنا قصدت أعرض عليه أكثر من فكرة يختار منها، بصراحة الرجل كان عسلية، وسمعني لحد الآخر وسألني عن كل أفكاري وتصوراتي، وأنا فضلت أعدد لي الفوائد من اللي هايحصل لحد ما خلصت.

- فخلافك مستشاره.
 - لا، حسني في مقشرة القلعة، وأكلت ضرب بعيد عنك ولا فيلم (الكرنك) بناء (سعاد حسني). توسيع حدقتا عيني، فقال بسرعة:

- لا لا لا أنا زي الفل، الموضوع ماوصلش لحد (فرج)
والاغتصاب، بس الوالي كان عايز يتأكد إني مش مدسوس من
حد من الماليك، ولما أناكدي إني واحد عادي.

- خر جك من القشاره دي؟

- لا سابني محبوس عادي، إنت قلبك طيب كده ليه يا
جدع، هو خرجنبي بعد ما عمل المذبحة، وشغلني في ديوان
مصالحات العلف في القلعة، متستقلش بالشغلانة، الوالي كان
يدردش معايا شوية كل كام شهر ويسألني عن أحوالى، وكنت
بأبهره كل مرة أكتر من الثانية، والدردشة زاد وقتها وسنة ورا
سنة حذرته من كام حدث افتكرته لحد ما دخلت لعبة الماليك
واعلمتها منهم.

- من مين يابني؟ هما مش ماتوا؟

- لا، الماليك العسكريين القدام وجيوشهم هما اللي ماتوا،
لكن بقية الماليك اللي كانوا في أشغال مدينة اتسابوا في حالمهم،
دا حتى الوالي عنده لحد دلوقت 600 مملوك تبعه، وأنا عندي
75 مملوك بس مش محاربين دول بيشتغلوا في أعمال عادية
وبيديروا شغلي.

جاء (سنقر) يحمل الشُّبُك لفرغلي ووراءه خادم يحمل صينية
عليها قدحان من الخزف الأبيض بها قهوة سوداء، بجانبها

ـ من الحرير، وحجران صغيران، علمت فيها بعض أنها من الصوان، وضع الخادم الصينية وابتعد، و(سنقر) يقدم الشُّبُك باحترام زائد

إلى فرغلي، الذي تناوله وهو يفتح الكيس الحريري الممتلئ بالتبع، ويخشوه في قطعة بالشُّبُك، وهو يقول مبتسمًا:

- (سنقر) دا بقى زي ابني يا (حسام)، هو أصلًا من مواليد النحاسين وأبوه كان صناعي نحاس مفيش أخوه، بس هو ماحبس شغله أبوه وكان بيبيض النحاس الخسان بس.

- هو من ماليكك؟

ظهر الضيق على (سنقر)، ولكنه أخفاه قدر ما استطاع، و(فرغلي) يقطّع بفمه قائلاً:

- بقولك مولود في النحاسين، من ولاد البلد يعني، أنا ربّيته من وهو عيل صغير، من ساعة ما أبوه مات، وما سكّلي كل شغلي، دا حتى جوازه كان قريب، يا ربّي حضرت ليته.

أخرج (فرغلي) من جيب جاني على الكيس الحريري مادة سوداء كالرمال نثرها على التبع المحشور في الشُّبُك، واستخدم حجرين الصوان ليشعّل النار فيه، يبدو أنها مادة مساعدة على الاشتعال، لأن النار تعالت في ثانية واحدة، كنت مشغولاً

بمراقبة (فرغلي) وهو يعد لنفسه تلك الأداة المعقّدة التي تقرّبه من سرطان الصدر، عندما قال (سنقر):

- (فرغلي) بك أفضّاله علياً ماتتعدّش، حتى أداني ١٢٥
فدان وبنالي بيت خصوصي قبل ما أتجوز، هافضل خدامه لحد ما أموت.

استنشق (فرغلي) بضعة أنفاس، تصاعدت رائحة عطرية نفاذة في المكان، وهو يقول بفخر:

- أصل أنا كنت أشتريت حتة أرض كده من فترة فقلت أديهاله، مكانها مش بعيد على فكرة دي جنبنا هنا في قرية صغيرة اسمها (أبو النور).

كنت أنا أهم بحمل قدر القهوة، قبل أن تصل بيدي إليه توقفت متصلباً فنظر (فرغلي) إلى بطرف عينيه مبتسمًا ليرى تأثير عبارته على وجهي وأكمل:

- شكلك تعرفها يا (حسام)، (أبو النور) مكان جميل وأهلها طيبين، إن شاء الله (سنقر) يكمل فيها حياته، تعرف إن أهلها لما عرفوا إن (سنقر) كان بيبيض التحاس ويدهنه بقوا يسموه إيه.. (سنقر الدهان).

هل هو الجد الأكبر لعائلة (الدهان)؟! ما الذي يفعله (فرغلي)؟ في نفس اللحظة ظهر على (سنقر) أنه يريد أن

يَعْوُلْ شِيشَا لِفَرْغَلِيْ، فَاتَّبَهْ لَهْ هَذَا الْأَخِيرْ، فَهَالْ (سَنَقَرْ) عَلَى أَذْنِهِ
يَهْمَسْ لَهْ حَتَّى ضَحَّكْ (فَرْغَلِيْ)، وَهُوَ يَقُولْ:
- هَاهُولَنَا يَقْعُدْ مَعَانَا بِسُرْعَةِ وَاعْمَلَهْ قَهْوَةِ زِينَا.

ابْتَعَدْ (سَنَقَرْ) وَ (فَرْغَلِيْ) يَقُولْ:

- (رَاضِيْ) صَحِيْ من النَّوْمِ بِيَدُورِ عَلَيْنَا، وَتَائِيَهُ مِنْ شَوَّيْهِ
فِي الْحَرْمَلَكْ.

- إِيه حَكَايَةِ (سَنَقَرِ الدَّهَانِ)، أَنَا الَّلِي فَاهِمَهُ صَحِيْ؟

- مش عارف، أَنَا مَهْمَتِي إِنِي أُقْتَلَ جَدِيلَةِ (السَّلَامُونِيْ)
الَّلِي قُتِلُوا (صَفَاءِ) بِالْغَلْطَ، بِحُكْمِ حَيَاتِي هُنَا وَمَعَارِفِي فِي سُوقِ
النَّحَاسِينِ اتَّصَاحِبَتْ عَلَى نَاسٍ مِنْهُمْ، وَرَبِّيَتْ (سَنَقَرْ) الَّلِي
كَانُوا يَقُولُوهُ (الدَّهَانِ)، كَانَ الزَّمْنُ دَلْنِي عَلَيْهِ، وَحَطَنِي
فِي طَرِيقِهِ عَلَشَانِ أُوصَلَهُ لِأَبُو النُّورِ، وَيُمْكِنُ مِنْ غَيْرِي كَانَ
هُوَ يُوصَلُ وَيَكُونُ عَلِيَّتِهِ، تَقْرِيَّبًا الزَّمْنُ مَا يُسَمِّحُنِي إِنِي أَغْيِرُهُ،
لَكِنْ بِيُشَرِّكِنِي فِي أَحْدَاثِهِ أَوْ يَخْلِي الْأَحْدَاثِ الَّلِي بِعَمَلِهَا مُشَهَّدَةِ.
مَهْمَةِ.

تَنَاوَلْتْ قَدْحَ الْقَهْوَةِ وَرَأَيْتَهَا تَهْبَ عَلَيَّ مَعَ رَائِحَةِ عَطْرِيَّةِ
خَانَقَةِ، تَذَوَّقَتْهَا فَامْتَلَأَ فَمِي بِطَعْمٍ يُشَبِّهُ الْقَهْوَةِ لَكَنْهُ مُخْلُوطٌ
بِشَيْءٍ مَا مَقْرَفُ.

- إيه مش عجباك يا (حسام)؟
- إنت حاطط فيها إيه؟
- عنبر، حاجة عمر أهلك ما شافوها.
- أعدت القدح إلى مكانه، و(فرغلي) يدخلن ويقول:
- تعرف إنك في زمان تاني ممكن تكون بتشرب سجاير.
هل يقصد...
-
- عالم موازي مثلًا؟
- يعني إيه؟
- هل علينا (راضي) وأحد الخدم يصطحبه، ويشيرنا ناحيتنا
فيقبل ويجلس بجانبي، قائلًا:
-
- مساء الفل على عم الناس.
- قالها (راضي) ورفع يده محيا فرغلي، الذي أعطاها الشُّبك،
وهو يقول:
-
- مساء الخبرات على الشبراوية الجدعان، خد عفر ونضف
صدرك.
- استنشق (راضي) نفسها، سعل بعده، ثم بدأ يستمتع
بالتدخين، وأنا أقول:

- بتقول إني في مكان تاني.. ممكن أكون بشرب سجائر،
تقصد إيه؟

- بعد ما اتصاحبت على (عَزَّام) حكيمته حكايتها، فهو
فهمني كل حاجة يعرفها عن خبيثة بيت (أبو خطوة) واللي
أكدت كلامي ليه.

- إنت إيه اللي حصلك؟ أنا لسه شايفك من يومين أصلًا لما
كنت بزور (حسام) في بيته.

قالها (راضي) فضحك (فرغلي) حتى سعل، وقال بعد
تمالكه نفسه:

- أهو أنا فاكر آخر أيام ليابا لما كنت عندكم كوييس، لأنها
ذكرياتي اللي بدأت أصدق إنها خيالات، عدى على الحكاية دي
سنين من عمري، بصوا فيه أحلام كانت بتجييلي غريبة، كنت
 بشوف فيها نفسي واقف مع (جعفر) ويكلمه وبهزز، وساعات
 كنت بشوف نفسي في فرح وإنانت يا (حسام) معايا، و(جعفر)
 هو العريس، الأحلام دي اتكررت بأشكال مختلفة، بس مش
 كأنها أحلام، كأنها أحداث عشتها فعلًا، طبعًا إنت صاحبي يا
 (حسام) علشان كده ما استغربتش من وجودك، بس (جعفر)
 هو اللي شغل بالي.

جاء خادم بالقهوة لراضي الذي استمتع بها هي الأخرى،

ثم أعطاه خادم آخر شُبُك وملأه، ثم أشعله له كي يعيد الشُبُك الأصلي لفرغلي الذي انتظر انصراف الخدم كي يكمل حديث قائلاً:

- في يوم لقيت الباب بيختبط، بفتح طلع (جعفر)، عاملني زي صاحبه اللي ماشفهوش من زمن، وطلب يقعد معايا، وحكالي حكاية طويلة عن إننا كنا أصحاب في مكان تاني، وإنه طالب مساعدتي، ببني وبينكم أنا افتكرته عفريت في الأول.

- ليه؟

- لأنه حب يوريني إن الموضوع بجد، فاختفى وظهر تاني، وافتقت أروح معاه بيت (أبو خطوة) وأشوف بعيوني، وحتى كلمتك وأنا راكب معاه الميكروباص بس إنت نفضستلي.

- إنت لسه بتقول الكلمة دي؟

- أمال لو تعرف أنا بتقول هنا كلمة حلقي، المهم دخلت البيت و قالى (جعفر) إنه مايقدرش يخرج بعيد عن البيت كثير، وحتاجني أكون مكانه أغير في أبعد نقطة في الزمن يقدر هو يرجعلها يوصلني ليها، وأنا اللي أغير في الأحداث، ولما أخلص هو هايرجعني لزمني الأصلي ومش هايكون عدى أكثر من كام ساعة حتى لو قعدت هنا سنين.

- ماتقولتش إنك وافتقت كده بسهولة.

قالها (راضي)، فرد (فرغلي):

- يا عم أنا عجزت هنا، أكيد وافقت أمال بتتكلم إزاى دلوقت؟ وطبعاً ما وافقتش جدعنـة ولا حب مغامـرة، ممكن تقول هيل، أو فضـول، زي ما واحد بجي يقولك أنا أقدر أخـلـيك تختـفي فـتـقولـه وـرـينـي، المشـكلـة إن (جـعـفـر) وـرـاني فـعلـاـ، وـسـابـني بـعـدـها هـنـا.

- مش يمكن لما تنفذ مهمتك يرجـعـلك؟

- لو نفذـتـ كـلامـهـ مشـ مـحتاجـ يـرجـعـليـ لأنـ الزـمـنـ هيـكونـ أـنـغـيرـ خـلاـصـ،ـ وـالتـغـيـرـ الـبـسيـطـ الـلـيـ هـاـيـحـصـلـ هـنـاـ هـيـأـثـرـ فيـ المـسـتـقـبـلـ وـيـغـيـرـ كـلـهـ،ـ بـسـ تـخـيلـواـ بـقـىـ إـنـيـ كـلـ ماـ أـحاـوـلـ أـوـصـلـ لـلـسـلـاـمـونـيـ الـكـبـيرـ تـحـصـلـ حاجـاتـ غـرـيـبةـ،ـ حـوـادـثـ كـنـتـ هـمـوتـ فـيـهاـ كـلـهـاـ لـوـ لاـ سـتـرـ رـبـنـاـ،ـ كـانـ فـيـهـ حاجـةـ بـتـمـنـعـنـيـ إـنـيـ أـغـيرـ حاجـةـ بـجـدـ.

قال (راضي) بـجـديـهـ:

- زي النـهـرـ لـوـ رـمـيـتـ فـيـ حـجـرـ مشـ هـاـيـغـيـرـ مـسـارـهـ،ـ الحـجـرـ هـاـيـعـملـ دـوـامـةـ صـغـيـرـةـ وـيـخـتـفيـ،ـ (فرـغـليـ)ـ كـانـ بـيـعـاـفـرـ معـ نـهـرـ الزـمـنـ.

- حلـوةـ نـهـرـ الزـمـنـ دـيـ يـاـ شـقـيقـ.

قالها (فرغلي) وهو يغمز له مهنتاً، فقلت:

- بس إنت مافهمتاش كل حاجة.

- يعني أنا قاعد سنين أفهم ومطلوب مني الخصلات القصبة كلها في قعدة؟

- والله الرجال عداه العيب.

طبعاً (راضي) الذي هو نسخه منه لن يتوقف عن المزاح معه حتى ولو قامت القيامة.

- (جعفر) جابكم هنا إزاي؟

- (جابر) هو اللي دخلنا البيت مقابل (جعفر).

- (جابر) دا شخصية (جعفر) يس في الماضي.

- إيه هو حكالك؟

- طب و(عمر) إيه حكايته؟

تبادلنا النظرات أنا و(راضي) و(فرغلي) يقول:

- باين إنكم مش واثقين فيه.

- أنا حاسس إنه فاهم كل حاجة ومش هايقولنا.

قلتها فقال (فرغلي):

- إحنا ممكن نعرف اللي مش عايز يقوله؟

- نضر به؟

قالها (راضي) فهز (فرغلي) رأسه نافياً وهو يرشف من القهوة ويقول:

- (عَزَّام) معاه روحانية جن شديدة ويقدر يستجوب قرينه.

- أنا ممكن أصدق أي حاجة دلوقت؟

قالها (راضي) فقلت أنا متذكرة:

- كان فيه شنت أدهالنا (جابر) و...

قاطعني هو:

- (عَزَّام) عدى عليا وعرفي، الشنت هتفضل جوه البيت
لحد ما نزولحلها بكرة يمشيشه الله، قولي يا (حسام) هو فيه
طريقة نرجع بيها لزمنا تاني؟

- بص ما أعرفش، بس معنديش نية أموت هنا.

- خلاص بكرة الصبح أول ما تصحووا نتحرك على البيت
وهانلاقى (عَزَّام) مستينيا.

هل علينا (سنقر) يجري ومعه خمسة من الخدم، وهو ينادي
فائلاً:

- سيد (عمر) بتحصله حاجات غريبة في أوضته، وبنحاول
فتح الباب مش راضي يفتح.

- (عمر) اللي مش راضي يفتح ولا الباب بايظ؟

- الباب مفقول من جوه وده مش ممكن.

نهضنا من أماكننا وسرنا، (فرغلي) يتقدمنا وهو يأمر أحد الخدم بأن يأتي بالغدارة، منذ عامين ظهرت أغنية (أنا اسمي سعيد الهوى) وذكر فيها مطواهه باسم (الغدارة)، لم أتخيل (فرغلي) يمسك أكثر من مطواه تحت أي ظرف، لكن الخادم أتي بالغدارة، وكيس البارود وكيس الطلقات، حالة أخرى من الإبهار يصعبني بها (فرغلي)، وهو يضع البارود في ماسورة المسدس، ثم طلقة كروية صغيرة ويدسها إلى داخل الماسورة القصيرة، ثم يضع باروداً جديداً عند منطقة الشاكونش في المسدس، والتي هي قطعة صووان تساعد على اشتغال البارود من الخارج إلى داخل ماسورة المسدس لتنطلق الطلقة، (فرغلي) صنع كل هذا في ثوانٍ معدودة، وهو يتقدمنا مهرولاً، كأنه استخدم هذا السلاح القديم مئات المرات.

صعد السلالم الخشبي ونحن وراءه، سار بالحرملك حتى غرفة (عمر)، فهمت الآن سبب لوعة (سنقر) منذ قليل، هناك أصوات خوار حيوانات تأتي من داخل الغرفة، وبرغم أننا ليلاً إلا أنني أرى ضوءاً أحمر يأتي من تحت باب الغرفة، أصوات طرقات سريعة وجنونية تأتي من الداخل مع صوت جهوري

يتكلم بلغة غريبة، ضرب (فرغلي) الباب بقدمه أكثر مرّة فلم يفتح، فنادي بأعلى صوت:

- سيد (عمر) أنا مضطرك أكسر الباب، أبعد عنه لو إنت قريب.

وجه الغدارة (المسدس) ناحية مزلاج الباب وضغط الزناد فاشتعل البارود لهما عند شاكوشها، في أقل من ثانية دخل اللهب إلى الماسورة، وانطلقت الرصاصة محدثة ضجة مخيفة، تطاير جزء من خشب الغرفة، وانفتح الباب من نفسه لشاهد ما لم نفهمه في البداية، ثم عند الفهم صرخ خادمان فزعًا، وكرر (ستقر) الشهادة وأيات قرآنية بغير هدى.

داخل الغرفة جلس (عمر) على ركبتيه عاريًا كيوم ولدته أمه، وأمامه كائن طويل أبيض الجلد، نحيل الجسد، طويل الأيدي، ليس له فم، ولا أذنان، ولا أنف، عيناه فقط هما البارزتان في وجهه الممتلئ بالتجاعيد، يخرج ذيل طويل من مؤخرة ظهره، يتتصب متحركًا يمينًا ويسارًا، والكائن ينظر إلينا بعين غاضبة كأننا قاطعناه عن شيء هام.

هذه هي أول نظرة، التفاصيل الأخرى فهمتها في الثانيتين الباقيتين، بعض قطع الأثاث مرتفعة في الهواء، وفي خمسة مواضع

بالغرفة يقف خمسة كائنات متسطو الطول بأقدام تشبه حوافر الجمل، وشعر يغطي أجسادهم ما عدا الوجه الذي تظاهر أفواههم بطريقة مرعبة فهي مشقوقة من الأذن إلى الأذن، لكل منهم خصلة شعر طويلة من الرأس.. لم أكن قد استوعبت صدمة ما أرى؛ لذلك لم أحفل واحتفظت بعين الفضولي متأملاً في كل هذا.. لكن الكائن لم يمهلنا وقت، وهو يشيرنا حيثنا فتجري قطع الأثاث العائمة في الهواء ناحيتنا، وتخرج من الغرفة لتصدم بنا عشوائياً، ويسقط معظمها، وبعض الخدم يهربون، عاد الكائن ينظر إلى (عمر) الذي رفع يده اليمنى، والتي يرتدي فيها خاتماً وهو يقول:

- لكم مني الطاعة على عهد (أبو معشر الفلكي) ولـكم الخدمة والطلسمة والسمع والإجابة حين الطلب.

اختفت الكائنات ونهضنا نحن مترافقين، وقف (عمر) وقال بشقة موزعاً نظراته علينا:

- دلوقت أنا جاهز علشان أساعدكم.. وأحبيكم.

1970

وصلت سيارة (جابر) إلى منطقة مصر الجديدة، توقفت عند منطقة هادئة خالية تقريباً من المارة؛ برغم أنه في منتصف النهار، توقفت السيارة أمام عمارة حديثة نسبياً، لم يمر على إنشائها أكثر من عشر سنوات، خرج (جابر) و(حلمي) من السيارة وهم يحملون ثلاثة حقائب كبيرة ودخلوا العمارة.

ظهر بباب من مكان ما سألهما بشراسة عن وجهتها، فسأله (جابر) إن كان يستطيع القراءة والكتابة، نظر له الباب بغرور وأجابه أنه يستطيع، أخرج (جابر) بطاقة هوية من جيبه وهمس في أدن الباب الذي تبدل حاله بالطبع، و(حلمي) يسأله عن الشقق التي يمتلكها (عصام الدين خليل)، أخبرهما الباب بسرعة أنه يمتلك كل الشقق من الطابق الأول إلى الرابع، تركاه وصعدا إلى الطابق الثاني كما أخبر (عصام) (جابر) في المستشفى.

وقف الاثنان أمام الباب و(حلمي) يقول:

- ماتقولش إنك هاتطفلش الباب.

- لا ماتقلتش، كان معايا هدية قديمة من المخابرات العامة لما كنت في مشروع إيزيس علشان أعرف أفتح الأبواب.

تبع عبارته بأن أخرج من جيده قطعة معدنية في حجم علبة السجائر بخرج منها نصل على جانبيه أسنان معدنية صغيرة متحركة تعمل عمل أسنان المفتاح الأصلي، أدخل النصل في رتاج الباب وأخذ يحرك القطعة بسرعة للداخل والخارج حتى سمع صوت تكة منخفضة، أدار القطعة المعدنية فاستجاب له الرتاج، وانفتح الباب.

حلا الحقائب ودخلوا وهما يبحثان عن زر الإضاءة حتى وجداه، وأضيئت الشقة التي كانت خالية من الأثاث لكنها عتلئ بالصناديق مختلفة الأحجام والأشكال، على الأرض بجوار الباب تناولت عشرات الفواتير من شركة الكهرباء، والتي فحصها (حلمي) سريعاً ثم قال:

- تقريراً الشقة مابتهالكش كهرباء، تفتكرا علشان كده
مقطعوش عنها الطاقة؟
- سيبك من الكلام ده ووصل الأجهزة في أقرب فينة
بسريعة.

سار (جابر) وسط الصناديق التي حللت أرقاماً ورموزاً حتى توقف عند مجموعة صناديق تحمل رمزاً يعلمه من (عصام)، أخذ يفتح كل ما تقع يداه في هذه المجموعة وأخرج بعض

القطع وضعها على الأرض، و(حلمي) يسأله وهو يصل أحد الأجهزة بقباس كهرباء ويضبطه:

- إنت بتدور على إيه بالظبط يا (جابر)؟

- كل حاجة في المقبرة عايز أفحصها.

تأمل (جابر) القطع على الأرض وقال:

- فاكر لما دخلنا مقبرة (دهشور) اللي فتحها لنا (سيد أبو خطوة)؟

- آه، مش دي اللي (حسام) طلب إنك تدخلها وتاخذ الحجر اللي فيها هو وشوية صفات معدنية؟

- إنت لسه فاكر (حسام) لما زارني في البيت؟

اقترب منه (حلمي) حاملاً جهاز ضخم، يتذليل سلك طويل منه موصول بقباس الكهرباء ووضعه بجانب القطع، ثم أخرج منه جزءاً يشبه ساعة الهاتف الأرضي وقال:

- عايز تفحص أنتي قطعة فيهم؟

- شوف أي قطعة فيهم عندها استجابة مع الكهرباء عقبال ما أدور على حاجة معينة.

أخذ (حلمي) يصل بعض الأقطاب بكل قطعة، ويقرأ على شاشة صغيرة بيانات ذبذبات كهربائية؛ بينما (جابر) يفتح

الصناديق بشكل عشوائي، حتى وصل إلى صندوق به كرة معدنية سوداء أخرجها وهو يهتف:

- لقيت اللي أنا عايزه، خلص اللي معاك وافحص الكورة دي بسرعة.

- هو (حسام) طلب منك تدخل مقبرة (دهشور) علشان تأخذ الحاجات دي منها، وفي نفس الوقت طلب منك تساعد (أليكسندر) وتدخلوا المقبرة الإسلامية في (باسوس) ليه؟

توقف (جابر) عند صندوق كبير، فتحمه فامتلاط الشقة برائحة كريهة لأن جثة متحللة لفت بالحجال فيها.

- إحنا محتاجين حد ينقل الجثة دي وبقية الصناديق، أنا عايز طبيب تشريح يحاول يخرجي أي معلومات منها قالها (جابر) وهو ينظر إلى (حلمي) الذي قال:

- ماردتش على سؤالي؟

- كنت بتقول إيه؟

لم يرد عليه (حلمي) وهو يراجع بيانات على تلك الشاشة الصغيرة باهتمام، اقترب منه (جابر) وجلس على الأرض إلى جواره، وهو ينظر إلى الكرة السوداء وبضع صفات معدنية انشت بمواقع عديدة.. فجأة ردد سارحاً:

- إزاي الكورة دي هنا وهي موجودة مع (أليكسندر) في
بيت حلوان دلوقت؟

- (جابر).. كل الحاجات اللي قدمي دي مالهاش دعوة
بموصلات الكهرباء، إنت مش ملاحظ إن الكورة نفسها
مصبوبة من سبيكة رصاص.. أنا شفت الكورة اللي إنت
بحنككي عنها في مقبرة (دهشور)، دي مالهاش علاقة بيها.

قال (جابر) شارداً:

- إذا كنت أنا المفروض أخرج الحاجات دي من مقبرة
(دهشور)، وابعتها في المستقبل في 2007 مع فريق تصوير
لعصر (محمد علي باشا) علشان بيتوا فيها غرفة تخليهم يخترقوا
بيت (أبو خطوة)، يبقى إزاي الحاجات دي مش حقيقة؟

- (جابر)، إنت في المستقبل هتبعد مع الفريق الحاجات
دي، وده معناه إنك ضحكت عليهم وماساعدتهمش.
نظر (جابر) إلى الصندوق الذي يحتوي على الجثة طويلاً،
وقال:

- نفكّر قدرى أكون خاين يا (حلمي)؟

1836

فعلاً لم تنقص المسألة إلا دخول الجن والعفاريت فيها، لم ندق النوم تلك الليلة مما شاهدناه جيّعاً، عالم الجن يعتمد على التلميح لا التصريح، كل الناس تخبرك أنها لمحت شيئاً يتحرك في مجال إبصارها، أو سمعت صوتاً غير واضح لكن أن يظهر لك الجن بوضوح.. صدقوني مأساة لم أتخيل أن تصدمني لهذا الحد.

بعد أن تمالك الجميع أعصابهم، وارتداء (عمر) ملابسه، قررنا سؤاله عما حدث وهذا حقنا، وجاءنا الجواب منه بأنه كان يقوم بعهد مع أحد الجن ليستطيع الدفاع عنا في هذا العصر، سألهنا نحن عنمن سيهاجنا، فيجيب هو بأن (جعفر) سيحاول قتلنا في أقرب فرصة، نعود نحن لسؤاله ما الداعي لقتلنا فيسألنا عن اختفاء (أحمد عصفور) و (عمرو) بمجرد وصولنا ومواجهة (عزّام) بجعفر.

- إيه حكاياتك يا سيد (عمر) وعارف إيه عن اللي يحصل؟، يمكن نستفاد منك؟

قالها (فرغلي) بطريقة مهذبة وهو يجلس بجانبي، و(راضي) يقف على باب غرفة (عمر)، تم صرف (سنقر) والخدم بالطبع قبل بدأ الحوار، قلت أنا بعدما رتبت جلة جيدة في عقلي:

- أستاذ (عمر) أنا معرفتكش قبل اليومين دول، لكن الأمر الواقع إننا دخلنا في سكة ولو ماكملنهاش مع بعض هنموت كلنا.

الجملة التي قلتها كانت أفضل وهي في عقلي، الآن أشعر أنها مهلهلة ولن تجدي نفعاً، (عمر) يوزع نظراته علينا بشقة غريبة وهو يقول:

- (جابر عبد السيد) بتعني معاكم علشان أعمل محاولة.
حك (راضي) أنفه قائلًا:

- والله يا أستاذ (عمر) أنا ملاحظ إن مصر كلها بقت بتعمل محاولات علشان نرضي (جعفر).

- لا يا (راضي)، محاولتي إني آخذ مكان أجدادي تاني، أكون مكان (جعفر) وأعيد تشكيل كل حاجة من الأول.

- طب ما كنت تعمل كده قبل ما تيجي معانا.
قلتها أنا.

- في الزمن ده إحنا بعيد عن إيد (جعفر)، أو على الأقل هو هنا أضعف.

- وإيه الطريقة اللي هتنفذ فيها محاولتك دي؟

- إني ابني غرفة أنا حافظ تصميمها هتديني فرصة واحدة أكون مكان (جعفر) وأستعيد السيطرة على البيت.

- أيه إزاى يعني؟

قالها (راضي)، فقال (عمر):

- الشنط اللي جينا فيها فيها الأدوات اللي هتخلينى..

قاطعه (راضي) متملماً:

- يا سيدى إزاى هتسطر على أم البيت، يعني فيه مفتاح
مثلاً زي مفتاح العربية هتدخله في بيت (أبو خطوة) وتدور
الكونتاك وتسوق بینا ولا هتعمل إيه؟

- تحت بيت جدي فيه غرف كتير، منها غرفة لو دخلتها
ممكن أعيد السيطرة تانى.
- ممكن !!!

قلتها مستنكراً والغضب ينفر عروقي لكن (فرغلي) قال
بحس:

- بكرة هنحتاج (عَزَام) علشان يدخلنا بيته، اللي هو بيت
جدودك يا سيد (عمر)، وهناك هنعرف إنت تقصد إيه.
قالها وغادر الغرفة بجدية زائدة وهو يرطم براضي، تبادلنا
النظرات فعاد (فرغلي) لنا وهو يدعونا لتنام في غرفنا حتى
شروق الشمس.

حتى هنا في هذا العصر هناك ما يشبه ماركات السيارات، ولكنها تطبق في شكل العربات الخشبية التي تجرها الأحصنة، (فرغلي) يمتلك أسطولاً منها بمقاسات وأحجام مختلفة والفارق واضح بين عربة (فرغلي) التي نستقلها الآن، وعربة (عَزَام) التي انحشرنا فيها بالأمس، فنحن نجلس الآن داخل عربة كبيرة مفطاء بأربعة مقاعد داخلية وثيرة، يواجه مقعدان منها الاثنين الآخرين.. ولها سائق خاص يسيطر على أربعة أحصنة يجرونها، ملابسنا الآن كملابس الجميع وإن كنت لم أرتح بعد لهذا الحزام الملفوف حول الوسط، (فرغلي) أخبرني أنه نوع من الزينة أو على حسب تعبيره (دا عشان القيامة والفخامة والروشة).

أربعتنا نجلس في العربة و(فرغلي) يحمل علينا تدخينه الذي يشبه زعزع القصب و(راضي) يختزن الغليون الذي أعطاه إيه (فرغلي) بحب وهو يقول:

- أنا عمال أشبه على العربية اللي إحنا راكبینها دي من شوية،
ودلوقت افتكرت أنا شفتها فين.

- فين؟

- في كارتون سندريلا، الحالى الناطق يا عم (فرغلي).

(عمر) الصامت بيتنا لم ينفك عن تحريرك شفتيه همساً كأنه يخاطب نفسه، وكلنا انتبهنا إلى ذلك بالطبع، لكنني حاولت الكلام مع (فرغلي) حتى وعيوني متعلقة بعمر لا إرادياً.

- إلا إنت يا (فرغلي) اللي فاتح محل العصير اللي أنا شفته إمبارح؟

- لو بتتكلم على عصاير (فرغلي) يبقى أنا، دا إنت لسه ماشُفتتش سلسلة مطاعم كنتاكى، هي لسه مانجحتش وبقدم فيها دلوقت حواوشى وكبدة وسجق لكن مسيري أعرف سر الخلطة.

- وإنْت إيه اللي معطلك؟

- ما أنا لسه قايل ما أعرفش سر الخلطة، وفكري بقى أدوتك كشري الخديوي.

رد (راضي):

- إنت كده ما بتغيرش في التاريخ؟ يعني مصر لسه ما عرفتش الكشري.

- التاريخ هايحذف كل اللي أنا بعمله، ومصر مين اللي ماتعرفش الكشري، دا أنا لقيت نص الصعيد عارفاه وبيأكلوه خصوصاً أيام صيام المسيحيين، هو مش نفس الكشري بالظبط اللي إحنا عارفينه لكنهم عارفينه باسمه و... .

توقفت العربية وانفتح باب العربية من طرف السائق، نزلنا منها على سلم خشبي صغير وضعه السائق، ها هو منزل (أبو خطوة) في هذا العصر، وأمامه يقف (عَزَّام) وحوله رجال حراسة تعرفت على أحدهم فقد رأيته في حراسة قصر (فرغلي) بالأمس، لقد سبقنا بعض رجاله إلى هنا في عربة خاصة بهم، الفارق أنهم لا يحملون البنادق بل يدsson الغدارات في أحزمتهم القماشية الملونة واقفين متتصبّي الظهر على جانبي (عَزَّام) الذي تعلقت عينيه بعمر حتى وهو يخاطب (فرغلي) بتجليل.

- نورت بيتك الثاني يا بك، اتفضلو.

أشار لنا بالدخول، وهو يسبّقنا إلى الداخل ونحن نمر بالقاعة الخالية، ثم نقف في ساحة المترّل الذي تحيط بها أبواب القاعات، تلك الساحة التي استيقظت أنا بها بالأمس، قال (فرغلي) بجدية:

- معلم (عَزَّام)، الرجال دى جاية تصلح غلطة كبيرة وحتاجين مساعدتك.

- الحاجات الغربية اللي كانت في البيت إمبارح أنا حطّيتها في...

فاطعه (فرغلي):

- أنا عايزك تنزلهم عند الخبطة.

صعق (عَزَّام) فقال (فرغلي) بسرعة:

- بلاش تزييط يا معلم، ما إنت نزلتني قبل كده مرتين.

- إنت ثقة يا بك، لكن هما مش مضمونين، والدليل إن الولد ده بقى معاه روحانية على الخاتم اللي في إيده، وإمبارح كان طبيعي.

وأشار (عَزَّام) بإصبعه ناحية (عمر) الذي قال بهدوء:

- تقدر خدمتك تستجوب قريني، وتعرف منها...

فاطعه (عَزَّام) بخبث:

- خلاص بعد اللي شفته إمبارح مش هائق في أي حاجة من ناحيتكم، ربنا وحده يعلم إنتوا تعرفوا إيه ما أعرفوش.

ثم صمت كأنه يفكر في شيء، وقال:

- لو اعتبرت إنك حفيدي، قوللي بتشتغل إيه في زنك؟

أعتقد أن الفضول غلب (عَزَّام) ليسأل هذا السؤال.

- اتعلمت من جدي (سيد أبو خطوة) إزاي أفتح المقابر وأفك رصدها، وإزاي أرصد المقابر بنفسى وأحيها.

- وتعرف إيه عن جدودك أصحاب الخطوة؟

- في حياتي ما عرفتش كتير لأن جدي (سيد) فضل إنه يدفن السر معاه وما علمنيش أتعامل مع البيت اللي إحنا بنحميه.

- إنت كنت السبب في دخول الكلب اللي اسمه (جعفر) عند الخبيثة؟

- مش فاكر، في زمني حصلت حادثة وكان فيها (جعفر) بتجيلى منها ذكريات مش مترابطة.

مشى (عزّام) أمامنا جيئاً وذهاباً وهو يقول:

- لو إنت مش حفيدي وبيخدعني وعايز تنزل تحت البيت عكّن تقلب كل حاجة وتبوطها، ولو كنت حفيدي وانقطع علم عندك فده معناه إن عيلة (أبو خطوة) انتهت والباب تحت هايقى مفتوح لكل من هب ودب.

قال (راضي) متزدداً:

- معلش أنا مش عايز أتدخل في اللي ماليش فيه بس حضرتك بتهلك وقت على الفاضي، شوفلنا طريقة نخلص بيهَا وحياة أبوك.

توقف (عزّام) عن المشي و(فرغلي) يقول:

- لو هو حفيدك فأكيد شايل دمك.

ابتسم (عَزَّام) لفرغلي مُتَنَّا وسار ناحية أحد أبواب القاعات
المطلة على الساحة وهو يقول:
- تعالوا ورايا..

سجل عقلي ملاحظة غريبة قليلاً، في زمني متزل (أبو خطورة) كان يتمتع بالدفء الشديد داخله، لكن هذا المنزل مع
تمتعه بالدفء إلا أنه أقل بكثير من المنزل في زمني.
دخلنا قاعة بسيطة بها بعض الأناث، وقف (عَزَّام) عند
بعضه زخارف على الحائط وضغط على جزء فيها فسمعنا
صوت طرقات معدنية داخل الجدار وانفتح جزء منه ببطء
شديد مظهراً قاعة واسعة، لم ينس (راضي) أن يعلق بإحدى
تعليقاته السخيفية عن مغاربة علي بابا وافتتح يا سمسم إلخ إلخ..
دخلنا القاعة الثانية وفيها رأيت الأرض تمتلئ بالزخارف
المعدنية صانعة أشكال وتجاويف وتعاريف، تراجع (عمر)
خطوة إلى الوراء وهو يقول:

- أنا شفت الأرض دي قبل كده.

أدأر (عَزَّام) رأسه لعمر وقال:

- هنا مفيش خدع ولا الجن يقدر يدخل معانا، وباب
الدخول هو إنت.

أخرج خنجرًا صغيرًا من حزامه فصرخ (راضي) قائلاً:

- إنت بتسلمنا تسليم أهالي يا (فرغلي).

طلب (عَزَّام) من (عمر) أن يمد يده اليمنى ففعل، أحدث قطعاً صغيراً في ساعده فسالت الدماء و(عَزَّام) يأمره بأن يسير على التقوش الأرضية ليتساقط دمه عليها، فعل بتسليم شديد، ارتجت القاعة فجأة و(عَزَّام) يأمرنا بالابتعاد عن التقوش.. وانفتحت الأرض من منتصفها ليظهر سلم طويل، خلع (عَزَّام) حزامه القماشي ولف به يد (عمر) بلهفة، وهو يتسم له ويقول:

- أهلاً بك في بيت جدودك يابني.

قال (راضي):

- يا حاج (عَزَّام) الجرح ده ممكن يتلوك والراجل يموت فطيس.

- هاطهره بالنار لما نطلع.

قالها (عَزَّام) وهو ينزل درجات السلالم للأسفل، و(راضي) يعترض على فكرة سلح جلد (عمر) لمجرد التطهير، تبعناه ونحن نشاهد الكرات المضادة على جانبي السلم و(راضي) يقول مبهوراً.

- دي لض منورة يا جماعة، فيه مصدر بيلد الكهربا هنا،
بس مولد إيه اللي شغال عمال على بطال ده؟
همست في أذنه بالعبارة التي قالها لنا (جعفر):
- مقاصل نووي.

فجأة صرخ (عزّام) من أسفلنا أن نغلق أعيننا، فعلينا كالكلاب فهو في هذا المكان السيد ولن نتحمل أخطاء أو سهواً من أي نوع، شعرت بضوء قوي بالقرب من عيني برغم إغماضها، لكن (عزّام) أمرنا بفتح أعيننا بعد دقيقة وصوته هذه المرة كان بأسفل السلم لدرجة أنها سمعناه بصعوبة، أكمنا الطريق على الدرج والدفع يتزايد لكن بمعدل بسيط حتى وصلنا إلى قاعة كبيرة جداً تذكرناها أنا و(راضي) لأن (جعفر) خاطبنا بها، هي هي نفس القاعة، ولكن لم أعرق كثيراً كما كنت في حضرة (جعفر).

- وقف (عزّام) وسط القاعة، وقال بطريقة مسرحية:
- لأنكم مش من زمان، وفي نفس الوقت ضيوف (فرغلي
بك المستكاوي)، والأهم إن بينك حفيدي ووريثي فأنا
ها حكى ليكم إنتما فين.
همس (راضي) بأذني:

- يا رب نخلص.

قال (عَزَّام) وكأنه يتقمص شخصية مرشد سياحي:

- إنتم هنا في مدخل أرض الحقيقة، عالم ما يدخلوه إلا المصطفين، كانت مداخله مالية المعمورة زمان.

- أكيد مش المعمورة المصيف صح؟

صرخت في (راضي) بعصبية حقيقة أن يخرس، فأكمل (عَزَّام):

- قبل زمن ملوك مصر وقبل زمن فرعون بآلاف السنين كانت أرضنا جنة، وأهلنا يدخلوا لأرض الحقيقة ويعيشوا مع سكانها، وأهل أرض الحقيقة يعيشوا معانا، نعلمهم ويعلمونا، لحد ما قامت حرب في أرض مصر عند جبل القطم، واتسفكت دماء المصريين ودماء أهل أرض الحقيقة، حكام عالم أرض الحقيقة وحكام أرض مصر اتفقوا يسدوا المدخل اللي بتربط بين العالمين ويحظوا على كل مدخل فيه حارس واحد يحرسها ويمنع دخول أو خروج حد إلا بإذن من ملوك الأرضين، وعلى كل مدخل اندفن ملك من ملوكهم اللي علمنا أسرارهم، ومن ناحية المدخل اللي في أرضهم اندفن في كل مدخل ملك من ملوك مصر اللي علموا أهل أرض الحقيقة

أسرارنا.. في مصر كان فيه 9 مداخل، كلها اتسدت إلا المدخل اللي هنا ومدخل تاني.

- إيه اللي سدهم؟

قلت سؤالي بفضول قاتل محاولاً تفسير كلماته بطريقة أكثر عقلانية وعلمية فقال:

- لكل مدخل عيلة تورث سره وطريقة حاليه، وياما حصلت حروب على المداخل دي لكن إحنا كحراس كنا بنتصر في النهاية بفضل الخبيثة، فيه مداخل ماتت عائلتها من غير متورث سرها وانتسى مكانها، المدخل التسعة مربوطة ببعض وتحمي بعضها علشان لو حارس من الحراس حب يغير في الزمن أكثر من يوم يتدخل حارس المدخل تاني ويوقفه، وأآخر عيلة كانت بتحمي مدخل تاني غير ده انتهت من أيام الظاهر (يبرس) ومدخلهم كان..

قاطعه (عمر) بسرعة:

- كان في الجizza في (دھشور).

نظر له (عَزَّام) بإعجاب وهو يقول:

- الظاهر إن جدك عرفك حاجات قبل ما يموت.

ثم أكمل قائلاً:

- لكل حارس مدخل خبيثة ببورتها وهي اللي تخلله يتتصر على أي حد يحاول يدخل.. لو حسينا بالفشل وإن الهزيمة بتقرب بنسخدم خبيثتنا.

قال عبارته وهو يسير ناحية ممر جانبي ويقف أمامه، اقتربنا من الممر فوجدت مقعداً يجلس عليه رجل مغطى بقهاشة سوداء كبيرة و(عَزَام) يقول:

- بترجع في الزمن ليوم واحد ونعيد الصراع لحد ما ننتصر، ونبقي من أصحاب الخطوة، زي أول حارس من جدودنا كان هنا واللي متغطى بيها دي الخبيثة.

تكلم (فرغلي) لأول مرة منذ نزلنا إلى هنا، وقال:

- الخبيثة بتعاتك يا (عَزَام) اتكلم عنها (ابن عربي) وقال إنكم بتلبسوها للناس اللي بتعبر لأرض الحقيقة.

- دا كان زمان، العبور منع دلوقت، والخبيثة إحنا اللي بتلبسها علشان تحرك في الزمن لكن لازم نكون بتحرك هنا، عند المدخل.

أزاينا (راضي) من طريقه وهو يتوجه إلى عزام ويقول:

- يعني مانقدروش ترجعوا بالزمن لأي مكان؟

- لا.. لو عايزيين نرجع ليوم في الماضي بترجع هنا ونطلع بعديه لفوق ونعيش اليوم عادي.

صرخ (راضي):

- التعريض المكانى؟

- مش ناقصة كلام مش مفهوم، إيه اللي بتقوله ده؟

- دا افتراض في السفر عبر الزمن بيلغى احتماليته، لأن كل مكان في الكرة الأرضية بيحصل فيه تغير دائم، يعني لو أنا هسافر في الزمن وأرجع الماضي أو أروح المستقبل مثلًا وحيث أروح بيتي مثلًا فمفيش أي ضمان إن بيتي يكون موجود في الماضي، ممكن يكون كان مكان عمارة تانية و ساعتها لو أنا انتقلت في نفس مكان بيتي جسمي هايترتك بمجرد ما يصطدم بأي شيء مكانه.

طلب (فرغلي) تفسيرًا أكثر فحاول (راضي) أن يشرح مثلاً عن أن متزلي فرغلي يتحرك الناس في غرفه ليل نهار فإن سافرت إلى الماضي وطلبت بشكل ما أن أكون في غرفة بمتزلي (فرغلي) فلا ضامن من أن يكون أحد الأشخاص متواجداً في نفس الغرفة لحظة وصولي إلى المتزلي وستختلط ذراتنا بعضها البعض؛ لهذا في السفر زمنياً مستحيل بسبب تغيرات الأرض، لكن هنا في تلك تحت متزلي (أبو خطوة) لا يوجد بناء لآلاف السنين؛ لذلك فاحتياطات الخطر أقل بكثير من يسافر زمنياً.

إضاف (عَزَّام) بحزم:

- بس أصحاب الخطوة مانفعش يسافروا أكتر من يوم، وإلا هنصطدم بالزمن وجندوه اللي هايرجعوا أي تغيير ويصلحوه.
- (ستيفن هوكنج) لو سمعك هايضر بك بالنار.
- مين ده؟

رد (عَزَّام) عل (راضي) الذي فتح فمه ليتكلم لكنني سبقته
فأ قالا:

- ولو قدرت تغير في الزمن هايحصل إيه؟
- سكت (عَزَّام) مفكرا ثم قال:

- زي ما قلت لفرغلي بك قبلكم، الزمن مش هايتغير،
لكن هايفتح زمن جديد وقته قصير علشان يستوعب التغيير
اللي حصل، وبعد فترة الزمن ده هايتدمر لوحده.

قال (راضي) مبهورا:

- يا حاج (عَزَّام) إنت نص كلامك شعوذة وعجائبات
وغرائب، بس النص الثاني موزون ولا كأنك بشرح النظرية
النسبية الخاصة.

هنا قال (عمر) بجده:

- وإزاي بتحرّك في الزمن؟

لخطى (عَزَّام) المقعد في بداية المر وسار إلى الأمام، ونحن
وراءه نحاول ألا تصطدم أجزاء جسدهنا بالجثة المغطاة ولا
بالغطاء نفسه، على جانب المر غرفتان، مِرْ (عَزَّام) على أولهما،
وقال:

- هنا مدفون ملك من ملوك أرض الحقيقة أو أرض
السمسمة، والمدخل بتابع الأرض من هنا برضو.

ألقيت نظرة على الغرفة فوجدتها منحوتة في الصخر على
حسب علمي الهندسي البدائي، يتوسطها تابوت ضخم طويل
من الحجر.. أين المدخل الذي يخبرنا عنه؟

- ودي غرفة أصحاب الخطوة.
وأشار بيده ناحية الغرفة التي تليها فوققفتنا على بابها، مساحتها
متوسطة لكن هناك عند كل حائط من حوائطها الثلاثة لوحات
معدنية مزخرفة بتقطيعات غريبة، سأله (راضي):

- إزاي بتسافر في الزمن؟

- بيدخل الحراس إلى الغرفة ويفكر في وقت معين يرجعله.

- يا سلام بالسهولة دي؟

- آه.

قطب (راضي) جبينه مفكراً ثم قال:

- يعني على حسب تفكيرك بتنتقل للزمن المطلوب.. بس
 (جعفر) مدخلش الأوضة دي لما نقلنا، هو رمى علينا الخبيثة
 بتاعتكم وبس.

ردّ (عمر) حزياناً:

- لأن جسم (جعفر) ما يقاش يحتاج الأوضة علشان
 تشحنه، خلاص هو مش يحتاج أكثر من إنه يفكر.
 - (جابر) اللي قالك كده؟

قلتها فهز رأسه بالإيجاب، فردّ (راضي):

- (جابر) بيوصف الفيزياء الكمية ونظرياتها، إدراكنا للعالم
 هو اللي مخلِّي العالم حواليينا بالشكل ده، لو إدراكنا اتغير هايتغير
 العالم حواليينا.. وعشان كده فيه أبعاد للزمان والمكان موجودة
 لو إحنا أدركناها، (جعفر) عنده بيشئ العوالم.

قاد (عمر) أن يدخل من باب الغرفة لكن يد (عَزَّام)
 اعترضته، وهو يقول:

- إوعى يا ابني، لازم الدخول ليها يكون وإنْت لابس
 الخبيثة.

- طب ما يلبس الخبيثة قشطة.

قالها (راضي) فردد عليه (فرغلي):

- هو يلبس الخبيثة وإننا نلبس كلنا في الخبط، إنت ناسي إن (جعفر) بيستخدم نفس الأوضة ويتحرك بالزمن، تضمن إن (عمر) مايغيرش حاجة دلوقت وتأثر على (جعفر) في المستقبل
ومانعرفش مين هايموت المرة دي؟

- هو إنتوا السه مش فاهمين إحنا فين؟

قالها (راضي) وهو ينظر لنا، ثم أكمل وهو يغادر المرأة:

- إحنا عالم أدركه (جعفر)، حاول يغير في زمانه الأصلي
فظهر زماننا إحنا، و(جعفر) بيملاه بالأحداث علشان يحافظ
عليه أطول فترة، كده كده خربانة.
(راضي) بيتكلم صح.

قالها (عمر) وأكمل:

- وأنا هاعمق الزمن بأطول فترة أحداث لكن بعد ما أفصل
(جعفر) عن بيت أبو خطوة.

1970

انتهى طبيب التشريح الجنائي الذي استدعاه (جابر) بشكل رسمي من تشريح الجثة الملفوفة بالحبال والتي نقلها إلى ثلاجة مشرحة حلوان بشكل سري، التف (جابر) والطبيب حول منضدة التشريح بينما وقف (حلمي) في طرف الغرفة يغطي أنفه بمنديل فماشي يتنفس منه بصعوبة.

- يا دكتور (جابر) أنا مش قادر أديلك تفاصيل عن الجثة.
- بس جزء كبير من الجثة لسه محفوظ.

- أيوه بس هو مش محفوظ في فورمالين علشان أفحصه، يعني المعدة أتحمل معظمها وما أقدرش أفحصها، القلب والكبد انتهوا خلاص مش هاوصل معاهم حاجة.

- طب إيه اللي ممكن تستخلصه؟

أشار الطبيب إلى الجثة وقال:

- فيه جروح دفاعية سلبية في مناطق متفرقة من الجلد، وكدة بيقى الكسور اللي في القفص الصدري وعضم الساعد أرجح إنها جروح دفاعية سلبية هي كمان، يعني صاحب الجثة كان بيدافع عن نفسه ضد هجوم شديد فإنه يتلقى الهجوم في

أجزاء جسمه بس طبعاً ماقدرش يتتجنب الإصابات.. أنا مش فاهم إنتوا محتاجين تفحصوا جثة لبسها بيقول إنها من 100 سنة ليه؟

- طلبات من الرئاسة، المهم قولي الخاتم اللي معاه أقدر استلمه إمتنى؟

خلع الطبيب ففازيه واتجه إلى منضدة قريبة عليها وعاء يمتلىء بسائل أبيض وهو يقول:

- عمكن دلوقت، أنا نفعت الخاتم اللي كان في إيد الشخصية في محلول عملته علشان أشيل الصدأ، هو جاهز دلوقت.

أمسيك الطبيب بملقطات كبير نظيف وسحب خاتماً من الوعاء، وضعه في قطعة قماش أخذ ينظفها جيداً حتى ظهرت بعض ملامحها بشكل جيد، أعطى الخاتم لجابر الذي قرية من عينيه مدققاً في تفاصيله وتفاصيل التقوش المنحوتة عليه بعناية.. ظهر الحزن على قسمات وجهه وهو يزفر نفساً حاراً من صدره ويقول:

- شكرًا يا دكتور لتعبك معانا، تقدر تتفضل دلوقت وأنا هاخبر بعديك بشوية.

غادر الطبيب ببساطة و(حلمي) يقول معتراضاً:

- كنا نمشي معاه يا أخي ونتكلم بره براحتنا بدل القرف
اللي هنا.

نظر له (جابر) ورفع الخاتم ليراه (حلمي) وقال:

- أنا عرفت مين صاحب الجثة.

- مش إنت عارف إنه (فرغلي) صاحبك؟

- لا مش هو، ده (عمر أبو خطوة) اللي علمني عن الجن في
شباي لما كنت في 2005.

أنزل (حلمي) المنديل من على أنفه وقال بدهشة:

- يعني (حسام) كدب عليك لما زارنا من كام سنة؟

- مش كده وبيس، أنا في المستقبل بعث (عمر) لعصر (محمد
علي باشا) مع فريق التصوير وما كانش معاهم الكرة اللي مع
(أليكسندر)، وأكيد (حسام) كان عارف ده ومع ذلك طلب
مني أدخل لمقبرة (فرغلي) اللي في باسوس، تفتكر ليه؟

- مش عارف.

- علشان الرصد اللي فيها يشتغل ويقتلني، (حسام)
بيحاول يتقم مني على اللي عملته فيهم لما هابعهم للماضي.

1836

بعد صعودنا إلى المنزل مرة ثانية، قال (عمر) لفرغلي:
 - عايزين ناخد معدات التصوير ليبيتك علشان هافكها
 وأخذ منها أجزاء علشان أبني أوضة زي الأوضة اللي تحت
 البيت.

أوقفه (عزّام) بيده قائلاً:

- إنت عايز تعمل كده ليه؟

- محاج أوصل لنقطة في سنة 2005 وقت ما حصلتلي
 الحادثة، أقدر أوقف (جعفر) وأكون مكانه قبل ما يعرف
 يسافر في الزمن.
 - لكن إنت مش فاهم لو سافرت لمرة واحدة أبعد من يوم
 هايحصل إيه.

قالها (عزّام) بغضب فنظرنا له متظرين أن يكمل.

- هاتبقى حارس للمدخل ومش هتقدر تسيبه زي (جعفر)،
 وهتموت في الآخر.

- يمكن أكون أحسن من (جعفر) و...
 توقف عن الكلام والألم المعروف يعود إلى رؤوسنا جميعاً،
 (جعفر) هنا أو سيظهر، قبل أنا أفكّر أنا في تلك الحاطرة وجدت

(عمر) يرفع يده ذات الخاتم ويصرخ بكلمات غير مفهومة مردداً إياها أكثر من مرة ثم قال بعدها (أحضرروا واحبسوا من يدخل لحضرتنا)، انقلب الموقف لسيرك عندما أمسك (عَزَّام) هو الآخر رأسه متلماً وهو يردد شيئاً من التعاويد في نفس وقت ظهور البخار الأبيض واللون الأزرق ينبض داخله وهو يقترب من (راضي) و(عمر).

ابعد البخار قليلاً عنهم وظهر داخله جسد رجل ثانية وهو ينظر لنا، فجأة اختفى البخار واكتشفنا أن داخله ليس شخصاً واحداً بل اثنين، (جعفر) أحد هم وهو ينظر حوله كأنه يبحث عن شخصٍ، أما الثاني فقد صعد من الأرض من خلف (جعفر) وتشكل جسده ووجهه، الثاني هو أنا.. (حسام) الآخر الذي رأه (راضي) من قبل، نظر لنا هذا الآخر لثانية قبل أن يلتجم مع جسد (جعفر) ويدخله وجسد الاثنين يتتحول إلى ضباب في جزء من الثانية ثم ينقشع البخار الأبيض وتزول آلام الرأس تاركة الجميع في حيرة ما عدا (عمر)، الجميع نظر لي بدهشة ما عدا هو، (راضي) رأه مرة في السابق ومع ذلك ظهر الذعر الآن على وجهه، أما (عمر) فتعامل بشكل أكثر توقعاً مع الحدث.

قبل أن ينطق أحدها بكلمة دوى صوت طرقات قوية على

الباب الخارجي للمنزل، أشار لنا (عزّام) بأنّ نبقى في أماكننا وذهب هو إلى الباب الخارجي ثم عاد، لم يكن وحده بل معه أكثر من عشرين جندياً في ملابس عسكرية مهيبة ويحمل جميعهم البنادق ذات الماسورة الطويلة ويحيطون بنا بتناغم عسكري جد الدم في عروقي، (عزّام) يظهر على وجهه الرعب ورجل كبير السن أشيب اللحية بملابس عسكرية يتقدم الجنود ويقف أمامنا وهو يحمل ورقة كبيرة، ابتسם (فرغلي) بود وهو يصيغ:

- (سلیمان بك الباب) والله ليك وحشة.. أخبار الأنجال والأحفاد إيه؟ بتشوف (حوشكشة الصربيطي) و...

رفع الرجل يده أمامه ليوقف (فرغلي) عن الاسترسال ثم قال:

- تحياتي لك يا بك، لكن أنا هنا بأمر عليٍّ.
انتفض (عزّام) وظهرت الخيبة على وجه (فرغلي) والرجل يقول بصوت جهوري:

- بأمر من جناب خديو مصر والشام ومهرور بختمه يطلب منك صاحب العزة والمقام (محمد علي باشا) حفظه الله وأدام خيره بأن تحضر للمنشول أمامه إنت ومن معك في ساعة الاستماع.

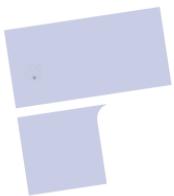
أنهى الرجل العبارة وأعطى الورقة إلى فرغلي الذي قرأها
بسرعة ونظر إلى الرجل قائلاً:

- هو الخديوي معرف النهارده؟



الفصل العاشر

ينتهي كما بدأ



1836

نسخ كثيرة من (جعفر).. هناك نسخة ثانية مثي ومتلك قوة غريبة تشبه قوة (جعفر).. هذا العالم يمتلك بالنسخ المستقبلية والقديمة، يتشاجرون مع بعضهم جيئا كالأطفال، الآن لن أندهش لو ظهرت خالي تخبرني أنها أنت من المستقبل أو الماضي لتقول لي السر الذي لن أتوقعه، وهي أنها أنا في النهاية.. أقول هذا بناء على كلمات (عمر) التي أخبرني بها الآآن ونحن جميعاً ما عدا (فرغلي) نركب عربة خشبية مغلقة يطلقون عليها عربة الترحيل وهذا الاسم أعرفه في زمني بالطبع الفرق أنها تجرب بالأحصنة، بينما (فرغلي) فهو في عربة كارتون سندريلا خاصة له لكن معه حارسان.

بعد ربع ساعة من دخولنا إلى عربة الترحيل والتجاهها إلى قلعة (محمد علي باشا) تكلم (عمر)، أفضى بكل ما عنده بأنه يتخلص من ثقل يحمله، حكى من أول فقدانه الذاكرة عام 2005 إلى عام 2007 عندما كشف (جابر) أوراقه أمامه

وأخبره بأنه (جعفر) وأنهم يمرون بدائرة مفرغة لا تنتهي، حتى علم تفاصيل عن (حسام) الذي جاء من الماضي ليأمرهم بارسالنا لبناء غرفة حدد هو تفاصيلها بدقة وموضعها وطريقة عملها التي تحاكي عمل منزل (أبو خطوة) لكن بطريقة أبسط تجعل (عمر) يستطيع الانتقال لمرة واحدة فقط دون عباءة إلى منزل (أبو خطوة)، وكيف أن (حسام) هذا -الذي من المفترض أنه أنا- طلب من (عمر) لا يخبرنا بشيء كي لا يتأثر الزمن.

الآن بعد ظهور (حسام) الذي هو شخصيتي المستقبلية بهذا الحال فهذا الشخص كان يكذب، ولكن ما سبب أنني رأيت صراع مشابهة للذى حدث منذ قليل بين (جعفر) وبين نفسي ولكن قبل السفر إلى هنا و(جعفر) يخبرني وقتها أنه يثق في !! كيف وهو يراني أصارعه؟ أم أنه لم يكن قد علم بعد أم ماذا، روبيت لهم ما رأيته فألقى (راضي) برأسه على كفيه وهو يزوم ويقول بحسرة:

- أنا دماغي لفت يابا.

توقفت العربية فجأة وانفتح بابها الخلفي لنرى الجنود يأمروننا بالنزول، لمحت عربة (فرغلي) تدخل من باب صغير في سور قلعة كبيرة، بالتأكيد هي القلعة التي أعرفها بزمني

لكنها متغيرة الشكل بـ 180 درجة، أعتقد أنها أكثر خشونة وحدة وخاصة مع كمية الخيام المنصوبة أمامها ووقف عشرات الجنود المدججين بالبنادق في موضع نزولنا من العربة. أدخلونا من باب آخر أعتقد أنه خاص جدًا، بالطبع تأكيدت شكوكي عندما عبرنا هذا الباب لنسير في مجموعة مرات معقدة أفضت بنا إلى قاعة فسيحة يقف بها بضعة رجال.

- اقلعوا ملطا.

لو كنت سمعت عن التفتيش الذاتي فأبشرك أنه لا شيء أمام ما رأينا، لم يفتحونا ذاتياً فقط بل قاموا بعد أنساننا وسجلوها، ربما لن تصدق أنهم أعادوا تفتيشنا ثلاث مرات وكل مرة بإهانة أكثر من السابقة، أعطونا ملابس جديدة لترتديها وبدأوا في سؤال كل منا منفردًا عن اسمه وبلدته وحياته وعلاقته بالبقية وبفرغلي.. طبعًا فضح أمرنا لأنَّ كلاً منا قام بتأليف قصة مختلفة عن الآخرين.

أخذونا وألقونا في غرفة معزولة لمدة لا تزيد عن نصف ساعة جاءنا رجل بعدها عليه خيلاء وهيبة وحوله بضعة جنود قال لنا بلهجة مصرية متكسرة:

- إنتوا كذابين، ومع كده الباشا عايز يشوفكم.

كبلوا أيدينا بأغلال حديدة تتصل بسلسلة مع أقدامنا واقتادونا إلى الخارج لنسير في ساحات القلعة حتى دخلنا مبني عادي ربيا كان قصر (فرغلي) يدل على الترف أكثر منه.

داخل المبنى صعدنا كثيراً حتى أوقفونا أمام باب خشبي كبير وقديم في نفس الوقت، عند الباب وجدت (فرغلي) يتحدث مع هذا الرجل المدعو (سلبيان الباب) بطريقة توحى بوجود مصيبة، كنت أعتقد أن (فرغلي) قابل الباشا قبلنا وربيا اعتقله، لكنه على ما يبدو لم يدخل له بعد لأنه جرى ناحيتنا وهو يقول:

- إذا إحنا هانتفتح جوه لما ندخل.
عاد لسلبيان مرة ثانية بينما أناأشعر بحكمة في رقبتي مع صوت أنفاس عند أذني اليمنى وكلما نظرت على يميني لم أجده شيئاً، افتحت الباب وخرج منه بعد الرجال وأحدهم يرتدي بدلة هزلية كالتي نرتديها في عصري، لكنها مضحكة فعلاً، خرج رجل إليها وهو يدعوه (فرغلي) إلى الدخول ويشير لنا نحن أيضاً، هنا همس صوت في أذني يقول:
- ماتخافش.

تصلبت لثوانٍ بموضعي صدمة لكن أحد الحراس جرفني معه لندخل إلى القاعة، قاعة تملئ بالآلات الذي هو خليط

من الإسلامي والأوري القديم وإن كنت أرى أنه خليط غير متجانس يجلس ثلاثة رجال على مقاعد يكتب أحدهم على ورقة شيئاً ما والاثنان الباقيان ينظران لنا بترقب، عيني كانت تتجلو بحرية في القاعة حتى اصطدمت بعين (محمد علي باشا) التي كانت تتأملني.. لا لم تكن تتأمل بل تخترق روحي، هذه العين تعودت على التحديق طويلاً بدون أن ترمش، هو كما صورته اللوحات القديمة لكنه أقصر مما تخيلته قليلاً ولم يكن ممتلي الجسد إلى هذا الحد.

لا أعرف هل يشع الرجل هيبة وخوفاً، أم لأنني درسته في التاريخ بطفولتي يأتيني هذا الشعور، بعد تفكير لثوانٍ وبعد تركيزه نظراته على وحدتي تأكّدت أنه كتلة من الرعب تمشي على الأرض، بغض النظر عن أنه كان يجلس الآن على مقعد وثير، أين هي الأريكة التي يرسمونها دوماً وهو يتكلّم عليها؟⁹ تقدمنا (فرغلي) رافعاً يده اليمنى عالياً وهو يصبح مبتسمًا:- باشا مصر.

لو كنت مكان (محمد علي) الآن لأمرت بضرب عنق (فرغلي)، لكنه أدار عينيه من على وجهها إلى (فرغلي) وقال بوجه صلب بلا تعبيرات وبلهجة مصرية تحمل لكتة غريبة:- ماجتش تبارك إمبارح ليه يا (فرغلي) بك؟

قرأت في مكانٍ ما أن (محمد علي باشا) لم يكن يعرف العربية نهائياً، هل هو تغيير في أحداث التاريخ أم معلومة ضائعة بين الكتب؟

- كل سنة وأنت طيب يا باشا.. تعيش وتتفكر.

قالها (فرغلي) بعشم زائد فرد عليه الوالي:

- إمبراح صكينا أول جنية مصرى وأول قرش وأول بارة.

في عبارته شيء ما من الابتسام أكد أقسام إنني أشعر به، ولم

أراه على وجهه، أعتقد أنه يحب (فرغلي) أو يستلطفه.

- ولا كنت مشغول مع ضيوفك؟

قالها الوالي فهز (فرغلي) رأسه باستسلام وقال:

- الصراحة آه، أصلهم جم على غفلة.

تكلم أحد الرجال الجالسين بود شديد:

- إمبراح فيه تقرير وصلنا من دار الشرطة العمومية عن

حادثة تواجد أجانب بدون تصاريح من قنصليتهم، وإنهم

بعك وضيوفك، وبعد التحري والاستفسار جالتنا النبا إنهم

خرجوا من دار السيد (عزّام أبو خطوة) الواقعة بالقرب من

باسوس، واتجهوا لنزلكم الكريم، واليوم ظهروا بملابس

أولاد البلد واتجهتكم كلكم لدار السيد (عزّام) مرة ثانية.

- تعرف (فرغلي) بك معناه إيه مستشاري يستقبل أجانب
بطريقة مريبة في بيته ويلبسهم ليس مصرى؟
قالها الوالى بصوته الرنان الحامل بعض الغضب، فرداً عليه
(فرغلي) بسرعة:

- أنا عارف مقامك إن فيه تحوفات في البلد كلها علشان
المشاكل اللي بينا وبين الباب العالى في أسطنبول، لكن دول
أصدقائي من زمن وأنا كنت بعثتهم مهممة خارج البلد كعيون
ليا في اليونان.

نظر لي الوالى فجأة وأشار بياصبعه لاقرب منه، فاقتربت
وهو يقول:
- شكلك بيقول إنك قائدhem، قولي، الكلام اللي بيقوله
صح؟

في لحظة واحدة تداعت لرأسي كثير من الاحتمالات انتهت
كلها إلى أننا في كل الأحوال واقعون في قبضته خاصة بعدما
تم استجوابنا وظهر عدم توافق كلامنا؛ لذا قلت وأنا أحارو
تمالك أعصابي:

- أنا مش قائدhem، وكلامه مش صح.
لم يظهر على وجهه شيء أو أي تعبير يدل على سماعه لي من

الاساس، لا شيء إلا النظرة القوية الباردة التي يركزها على بدون أن يرمش جفنه، فأكملت من نفسي:

- هو خايف يقول لحضرتك الحقيقة فهاتصدقش وإن كنت حضرتك مش هتصدقها لو قلتلهالك دلوقت.

لا إجابة منه ثانية، فقلت وعين (فرغلي) ترجوني أن أتوقف:

- إحنا جايين من المستقبل، وبالتحديد سنة 2007 ميلادي،

وعندنا مهمة لازم نعملها هنا.

هذه المرة لم يحتفظ الوالي بوجهه الجامد بل ظهر تعبير الاستنكار على وجهه وهو يستند ذقنه الكثيفة على قبضة يده المقلقة ويقول:

- وإيه كان؟

- مفيش حاجة تاني، أنا كنت صادق معاك وعارف إن الصدق مش هايتجيني منك.

- ليه؟

- علشان أنا لو كنت مكانك مااكتتش هاصدق.

صمت طويلاً وهو ينظر إلى عيني حتى قال:

- إنت مصدق نفسك، وأنا مش مصدق إن فيه واحد

يكدب الكدبة دي قدامي، عندك دليل على كلامك؟

سمعت في أذني نفس الصوت الذي تخيلته منذ قليل ولكنه قال هذه المرة: "هاخر جك من هنا".

نظر (راضي) لي، لقد سمع الصوت معي، لست مجنوناً إذَا، لكن هذا الصوت أعرفه جيداً.

- أكيد مش هنسافر في الزمن قدامك.

قالها (عمر) بتحمّل فنظر له الوالي وقال:

- إنت لابس على عينيك عدسات غريبة، دي منظار ضعف رؤية؟ جبتها منين من أوروبا؟

عاد الصوت ليهمس في أذني:

- وقف (عمر) عن اللي بيعمله، الجن مش هاي ساعده.

اللحظة الأولى أني تأكدت أن هذا الصوت لي، هذا صوتي وإن كنت غير واثق في نبرة الصوت فطريقة الكلام هي طريقتى، اللحظة الثانية أني فهمت تقريباً أن (عمر) يأمر الجن بكلمات، لأنه كان يحرك شفتيه بلا صوت مسموع بعد أن سأله الوالي، افتحت الكلابات المحيطة بمعصمي وقدمي وسقط جزء منها كلما حدث مع (راضي) و(عزم) (عمر) الذي ألقى ببقية السلالسل أرضاً وهو يقول:

- أعتقد إن ده دليل كافي على كلامنا.

سمعت صوت استلال سيف وخشاجر الحراس المحيطين
بنا من أجرتها المعدنية ثم في أقل من ثانية وضعت تلك
الأنصاف على أنفاسنا، وللعلم فهو لاء الحراس يعلمون كيف
يذبحون البشر جيداً لأنني شعرت أن نصل خنجر برثاح على
وريدي الودجي برقبي ويد الحارس الأخرى تمسك ذقني
وتجذبها للخلف، لو تحركت لستيمتر واحد بأي اتجاه سيتهم
ذبحي بدون أدنى تأخير، بسبب ارتفاع ذقني للأعلى قليلاً
تركز نظري على سقف القاعة لكنني سمعت صوت الوالي
يوضح ويقول:

- شُفت كتير من أمور السحر والشعوذة من وقت ما جيت
مصر، ومش انت يا علوج اللي هتخوفوني، جربوا تسحروا
ونشوف مين أسرع، انت ولا الحراس.
صوت (فرغلي) يقول بلوحة:

- يا عزيز مصر أقبل شفاعتي وخليل الحراس يسيبوهم، أنا
خدمتك عمرى كله بإخلاص
- وأنا بحبك يا (فرغلي) بك، لكن الخيانة...

توقف صوت الوالي عن الحديث، أنا لا أراه لكنني لم
أفهم سبب قطع حديثه المفاجئ، ما هذا الدفء؟ لماذا ضغط
الحارس أكثر على رقبتي؟ أصوات الرجال الجالسين بجانب

الواي تستعيد بالله من الشيطان وهناك أصوات جلبة بالقاعة.. صوت (فرغلي) يشهر، الواي يقول كلمتين بلغة لم أنفهمها ولكن يبدو الخوف على صوت.. ثم في النهاية سمعت صوتي يتردد ويقول بدون أن أحرك شفتي:

- وأنا موافق على التحدي، نشوف الحراس أسرع ولا أنا..
قولهم يبعدوا السيف عنهم يا مولانا.

صمت يلف القاعة لا يتردد داخله إلا أصوات استعادة من الشيطان وبعد الأدعية غير المفهومة والتي تصدر من الحراس خلفنا، سمعت صوتي يتردد ثانية ويقول:

- لوعايزك تموت كنت قتلتك يا باشا، وإنك دلوقت شايف صدق كلامي.

صمت طويلاً ثانية قطعه صوت الواي يقول:
- سيبوهـم.

ارتقت الأنصال من على أعناقنا في نفس الثانية من صدور الأمر وأنزلت رأسي لأرى ما توقعته، صورة مني تقف أمام الواي لا يفصله عنه سوى متر واحد، وبرغم تمالك الواي نفسه إلا أن القلق كان يظهر على وجهه بعينيه المتسعتين وفيه المفتوح الذي يتنفس منه ليأخذ أكبر قدر من الهواء لرئتيه.

أما الصورة التي كانت نسخة مني والتي سأطلق عليها (حسام) الآخر فقد نظرناها لأرى وجهه المليء بالحروق ويداه هما الآخرين حراوان في بعض المناطق، وعلى وجهه إعيا شديد كأنه يتالم بصمت، ارتعشت صورته واهتزت كأنه صورة هولوغرامية ليست حقيقة، خطر لي أنه لو كان هذا الشيء هو أنا فأنا أحتاج لنظام غذائي سريع للإنفاس الوزن، كما لم أتوقع أن أكون بهذا القبيح بعيداً عن الحروق بوجهه، لو كان الناس يرونني على هذه الصورة فإن هيتي مضحكة قليلاً كما أن صوقي مزعج.. لا يلومني أحد على تلك الخواطر التي فجرت برأسني في هذا الموقف الجحاد؛ فالواحد لا يرى نفسه كثيراً إلا إذا كان مجنوّنا.

قال أحد الرجال الذين كانوا يجلسون منذ قليل لكنهم الآن واقفون يرتدون خوفاً:

- إنت بسم الله الرحمن الرحيم من تحت الأرض؟
نظر له (حسام) الآخر ببساطة وهز رأسه نافياً فارتعد الرجل أكثر بينهما (فرغلي) يقول:

- والله الموضوع كبير على القاضي يا باشا مصر، تيجي نسى اللي حصل ده ونبيداً من جديد.

نظر له (حسام) الآخر والذى اختفى جزء من حروف وجهه
وقال ببرود:

- هانتسى يا (فرغلي)، بس مش هايتفع نبدأ من جديد.
اختفى فجأة من مكانه وسمعت صرخة مكتومة من خلفي،
نظرت للحراس ورائي فوجده صريرًا على الأرض وجسده
ووجهه وكفاه محترقون بالكامل عدا ملابسه، كذا بقية الحراس
من خلفنا وإن كنت رأيت (حسام) الآخر يختفى ويظهر خلف كل
حارس منهم ويده تشع ضوءاً أزرق يلمس كل حارس فيتفحّم
وجهه ويسقط، لن أبالغ إن قلت أن كل هذا حدث في ثانيةين
وربما أقل حتى إن الحراس لم يفهم معظمهم ما حدث وانتهت
قدرتهم على الاستيعاب وهم يسقطون واحدًا تلو الآخر.

نهض الوالي وهو يصرخ:

- خيانة.

لكن (حسام) الآخر ظهر أمامه فجأة وقال وهو يمد يده
إلى يمنى ناحية رأسه:

- حراسك يمكن يقتلوهم من الخوف.

لست يد (حسام) الآخر عبّامة الوالي فسقط أرضاً، كذا
 فعل مع الثلاث رجال الباقيين، ونظر لنا و(فرغلي) يصرخ به:

- قتلت ناس ماطاش ذنب ليه؟؟؟

- كان لازم الوالي ينسى كل حاجة عنك وعنهم، والحراس
مش هايستنوني لما...

فاطمه (راضي) قائلًا:

- إنت من أنهي عصر ولا منين ولا حكاية أمل إيه؟
سقط (حسام) الآخر على ركبتيه وعادت الحروق تزيد
بحجمه وعيشه تتعلق بعيني وهو يقول بوهـن:

- من مستقبلكم، بس فشلت خلاص، كل ده ماكانش
المفروض يحصل.

سار (عمر) ناحية (فرغلي) قائلًا:

- خدنا ليتك بسرعة، لازم نبني الغرفة وأنا هاصلح كل
حاجة.

- إهربوا.. (جعفر) يقدر يعمل زيبي ويجي ليكم في أي
مكان.

قالها (حسام) الآخر بوهـن أشد كأن وثيره آلامه ترتفع
تدربيًا:

- إنت بتتحرك في الزمان إزاي؟ المفروض (عمر) يكون هو
اللي مكانك.

قلتها وأنا أخطو ناحيته و(فرغلي) يقول لعمر:

- إنت فاكر قاعة الحكم يحصل فيها كل القتل ده وهنعرف
نخرج من هنا؟ باب القاعة لو اتفتح الحراس هايقتلونا.

قال (عزام) بثقة:

- الروحانية اللي معايا أنا و (عمر) هتأمن خروجنا.

لوح (فرغلي) يده باستهزاء وهو يقول:

- والنبي تقدعوا في حنة ناشفة إنتوا والجن اللي معاكم دول.
توقفت عين (فرغلي) عند المهد الذي كان يجلس عليه
الوالى، لمعت عيناه وهو يقول:

- إحنا ممكن نخرج.

جرى ناحية المهد وعندما مرّ بجسده (محمد علي باشا)
المغشى عليه أخذ يرفع يده وينحنى وهو يردد كالمجاذيب
(باشا مصر.. باشا مصر)، ثم تخطاه حتى وصل إلى المهد
وأخذ يبحث في الحافظة الملاصقة لظهوره وهو يقول بعصبية:

- حد يساعدني بسرعة يا بهائم.

- أيوه يعني نعمل إيه؟

قاموا (راضي) وهو يجري ناحيته فردّ (فرغلي) وهو يحاول
خلع المهد:

- فيه مهرب قديم للوالى معمول في حنة هنا.
- شد الاثنان المقعد فتحرك معهم بعد بذل الكثير من الجهد، حتى انضم لهم (عمر) و (عزم) يساعدانهم وأنا أقف أمام (حسام) الآخر الذى بادلى النظرة وهو يقول بوهن:
- إنت مش فاهم حاجة، كان لازم كل حاجة تمشي صح علشان تحول وتبقى أنا.
- طب اعمل أي حاجة، ارجع بالزمن قبل ما ندخل القاعة دي.
- ما أقدرش أرجع في الزمن إلا وأنا في (دهشور).
- كما توقعت.. (حسام) الآخر يستخدم المدخل الثاني كما يستخدم (جعفر) منزل (أبو خطوة)، قال لي وهو يكافح ألمًا ما:
- اهرب وحاول تحافظ على حياتك.. لو انت مت أنا كمان هموت.
- ثم نظر لباب القاعة وقال:
- وأنا هحاول ألهي تفاصيل وجودكم النهارده من دماغ كل اللي شافوكم في القلعة.
- فجأة اتسعت عيناه وهو يقول بخوف:
- (جعفر)..

أعتقد أن (فرغلي) والبقية أزاحوا المبعد في تلك اللحظة، فظهر في الجدار خلف المبعد فتحة دائيرية كبيرة داخلها درجات سلم تتجه لأسفل، اختفى (حسام) الآخر بلمح البصر ودخان أبيض يظهر عند أحد أركان القاعة ويتشكل مكانه (جعفر) بملابس السوداء، لكن نظرته كانت أشرس هذه المرة وهو ينظرناحيتي، اختفى من مكانه وظهر بجانبي فأجفلت مبتعداً لكنه تخطّاني وأكمل حركته ناحية (فرغلي) والبقية، تجمّد (جعفر) في موضعه ثوانٍ وكأن قدمه مشتبة، نظر حوله ثم وجه عينيه باتجاه (عمر) الذي كان يردد كلمات ما من تعاويذه.

هل الجن قبل حركة (جعفر)؟ لم أنتظر الإجابة لأن هناك ضوءاً أزرق خرج من جسد (جعفر) كأنه أشعة ضوئية ثم تحول إلى اللون الأصفر وأتت أصواتٌ من أركان القاعة تشبه الصراخ لكنني لم أر من يصرخ.. تحرر بعدها (جعفر) من القيد الخفي واختفى ليظهر أمام (عمر) وهو يمد يديه ناحيته، قبل أن تلمس يده جسد (عمر) ظهر (حسام) الآخر خلف (جعفر) وأمسكه لكن (جعفر) شعر به والتفت له بسرعة وأمسك به والأبخرة البيضاء تغلفهم وزيادة في عروض السيرك التي رأيتها اليوم سقط فمي دهشة، عيني لا تصدق أن (جعفر)

احتضن (حسام) الآخر وجّه صاعداً إلى سقف القاعة حتى اخترقاها كالدخان.

أعتقد أن العرض انتهى مؤقتاً علينا أن نغادر القاعة قبل أن يعود المجنونان ثانية، دخل أصدقائي في الفتحة الدائرية وأنا أبعها على السلم والظلام يحيط بكل شيء حولي.

لو قتلت (جعفر) (حسام) الآخر لن أموت لأنّه هو مستقبلٍ، أما لو قتلت أنا فهو سيموت، من فرط قوّة (جعفر) أشك أنه سيقتل، لكن على الجانِب الآخر زاد إعجابي ببني المستقبليَّة التي تبدو القوّة عليها، الحقيقة أن جسدي وعقلي غير مؤهلين لهذه الأعمال المبهرة التي يفعلها (حسام) الآخر، ولن أختيل أو أفكُر بأنني سأصارع كالأبطال الخارقين في الأفلام الأمريكية.

سمعنا صوت (فرغلي) الذي يتقدمنا في الظلام وهو يقول:
- أنا لقيت باب بس مش عارف أفتحه، إيديكوا معايا.

أبطأت نزولي الدرجات كي لا أصطدم بمن يسبقني حتى ظهر ضوء من جراء فتح باب ما وظهر ضوء الشمس، خرجنا لنجد أنفسنا في فناء خارجي من المفترض أنه مُهمَّل لأن به بعض الأثاث المحطم وهناك كلب أو اثنان، لكن الخازوق كان في اثنين من الجنود يقنان يدخنان غليون بعصا قصيرة، وجودهما هنا غير طبيعي فهما أشبه بطلاب المدرسة الهاريين

من الحصة لتدخين سيجارة في الحمام، أجهلاً وداري كل منها
غليونه فصرخ فيها (فرغلي):

- خيانة.. عايزين يقتلوا الباشا.. اقفلوا أبواب القلعة.

ارتبك الجنديان وهما يلقيان يرفاعن بندقهما ويخرجان
أكياساً من أحزمتها، لكن (فرغلي) عاد ليصرخ عليهم:

- نفذوا الأمر.. اللي يحاول يخرج من القلعة اقتلوه.

جري الجنديان مبتعدين وأنا أقول لنفرغلي هاماً:

- هنخرج إزاي دلوت؟

لم يرد علي وهو يجري باتجاه سور جانبي ونحن معه، توقف
وهو يبحث في الأرض الترابية وجلس على ركبتيه يضرب على
الارض بجثون حتى وجد حلقة معدنية كبيرة جذبها بقوه
فانفتحت بوابة حديدية صغيرة حشر نفسه فيها وهو يقول:

- دا باب هروب سري، أظن واضح.

لم يكن يحتاج للشرح لأننا سندخل لأي مكان هرباً مما
يتناقضنا لو قبض علينا، وهذا الباب الأرضي لم يفض إلا إلى مر
عطن الرائحة مليء بالمياه الجوفية سرنا فيه لدقائق نحاول ألا
نسقط في الظلام حتى وصلنا إلى سلم خشبي تسلقناه وخرجنا
من بوابة معدنية أخرى.

صعدنا لنجد أننا نقف في منطقة مرتفعة عن الأرض، تحيط بنا الرمال والصخور وتطل على طريق ممهد نراه بأسفلنا تسير به بعض الحمير المحملة بأشياء لن أراها بسبب ارتفاعنا الشاهق.

- ماتقلقوش أنا عارف طريق من هنا ياخذنا على ...
انقطعت جلتة لأننا سمعنا صوتاً يأقى من مستوى أعلى منا،
صوت صارخ ينادي بأقصى قوته ويرن صدى صوته حولنا
قائلاً:

- حرس سلاح.. حرس سلاح عند باب الانكشارية.
رفعت رأسي لمصدر الصوت لأنطلع إلى نقطة بعيدة في
أحد أجزاء سور الخارجي للقلعة، نقطة بها بناء مربع صغير
كأبراج الحراسة الفردية، ويتواجد فيها فعلاً جندي يحمل
بندقته ويصوبها نحو حيثنا، المسافة بيننا كبيرة جداً حتى إنني لا
أراه إلا كنقطة، وهذا الجندي المسكين ببندقته البدائية سيهدر
طلقة الوحيدة ثم يعيد تعبيتها في فترة طويلة تكون قد هربنا
بل وسافرنا عبر الزمن حتى.

أطلق الجندي طلقة الرصاص فتردد صداها وأنا أفكر جدياً
في تلك اللحظة بأنه من المحتمل أن يصيب أحذنا، جاءتني هذه
الفكرة وهي ما يدفعني للخلف لأقع أرضاً على ظهري، تحبّي
لتدريب هذا الجندي الذي جعله يقتضبني من كل هذه المسافة،

متى عرفت أني أصبت؟ حسنا لا يوجد ألم في أول ثلاث أو أربع ثوان، ثم شعرت بألم يزيد تسارعه برقبي، الطلقة من قوتها دفعتني للخلف لكنني لم أتبين موضعها بجسمي لذلك حاولت النهوض.. وفشلت، لم تطاوعني أطرافي، أشعر بالضعف حتى أن تحريك جفن عيني يتطلب مجهاً جباراً. الألم يزيد برقبي وأحدهم يحملني، أعتقد أنه (عمر)، الألم يزداد وأشعر بأن قدرتي على تحمله تضعف، ثم ظلام دامس.

أحلام كثيرة تراودني لا أتذكر منها شيئاً سوى ألم في الرقبة أيقظني، فتحت عيني لأجد نفسي بفراس لم أتبين ملاعنه بسبب الظلام الدامس، صرخت منادياً على أي أحد فخرج صوتي ضعيفاً واهناً، ناديت مرة ثانية وثالثة حتى افتحت الباب ودخل (راضي) يحمل شمعة طلبت منه ماء فسحب دورقاً نحاسياً من كومود بجانبي وأجلستني نصف جلسة وألم رقبتي يضغط على أعصابي لكنه في الحقيقة ألم يمكن تحمله هذه المرة، شربت الماء مستخدماً يدي بشكل طبيعي ثم تحسست رقبتي لأجدها مغطاة بضمادات كبيرة في جنبي الأيمن، دخلت الرصاصة فوق الترقوة بقليل على الأرجح لأنني أشعر بموضع الألم في هذا المكان، قلت له بوهن:

- بسرعة.. قولي إيه اللي حصل؟
- حد ضربك بالرصاص.
- ابتسمت وأنا أرد:
- آه ما أنا عرفت، إيه اللي حصل بعديها.. ولا عايزني
أقولك أنا فين وأنا مين.
- بعد إصابتك هربنا من الحراس، (فرغلي) وصلنا لبيت
من بيوته، مش طلع خبيث وكان باني تلات بيوت ومش
معرف حد بيهم.
- مبروك يا سيدى.
- مفيش.. أدينا قاعدين فيه من ساعتها.
- خلاص كده؟ طب وإصابتي ..
- آآآآاه انت بتسأل عملنا معاك إيه، معلش أصل الموضوع
بقاله فترة، عدى عليه يجي أسبوعين.
- وعملتوا إيه؟
- عالجناك.
- إنت بقىت بارد ليه كده يا!! محسني إني فرخة ملهاش
لازم كانت ماشية معакم واتعورت.. ما تحكى أنا مش قادر
أزعق فيك.

- طب ما إحنا عالجناك وخلاص.
- إنتوا شيلتوا الرصاصية بيابيه؟
- لا دا إنت حظك كان بمب، الرصاص خرجت من الناحية الثانية، الدكتور جه وفحصك.
- جبتووا منين دكتور؟
- بص يا صاحبي أنا قعدت هنا كتير وبطلت أندesh، الدكاترة هنا بالهبل، أهو حظك إن (فرغلي) جاب دكتور لسه راجع من بعثة لإيطاليا بنار الفرن، نصف جرحك وركبك أدوية سايهالنا هنا نديك منها.. لأنت مش فاكر؟
- فاكر إيه ياد؟
- ما إنت كنت بتتفوق كتير الأسبوعين اللي فانتوا، حقيقي كنت مدروخ ومرتين جاتلك حمى وكنت هتموت بس ساعات كنت بتسأل على حاجات، وساعات كنا بنعرف نأكلك أي حاجة، بس الحاجة المقرفة إننا كنا بنغير لك هدوشك لما...
- قاطعته بسرعة:
- مش عايز أعرف ماتكمليش.
- قال وهو يجلس على الفراش وما زال ممسكاً بالشمعة:
- إحنا صحويييتنا انضررت في مقتل يا (حسام) خلاص،

شوفت اللي امرينفعش تشوافه غير أملك، أو مراتك لو كنت أوين مايندد.

- ما خلاص بقى ماتخنقنيش .. يعني محصلش حاجة الأيام اللي فاتت؟

- لا .. اتفقنا إن حدش فينا يتحرك من البيت إلا للضرورة القصوى، رجالة الوالي بيدوروا علينا، يمكن الوالي نفسه واللي معاه ناسين اللي حصل بس مسرحية الهروب اللي عملناها دي خلتهم عايزين يوصلوتنا.. حتى (عزم) خبى أهلة في مكان أمين ورجع قاعد معانا من ساعتها لحد ما تنتهي المشكلة.

دخل الغرفة (فرغلي) يحمل مصباح جاز.. وهش وجهه بمجرد أن رأني وهو يقول:

- إنت صحيت ولا لسه بتختظر؟

- أظن إني فوقت خلاص.

نظر هو إلى (راضي) وقال:

- أمال إنت ماسك شمعة ليه هاتخرق الأوضمة يا أسطي.

تعبريات (فرغلي) لا تناسب سنه ولا شاربه ولا لحيته الأنثقة، كما أنه عاد لاكتساب بعض الكلمات من (راضي) والتي كان قد نسيها طوال السنوات السابقة، ردّ (راضي) بحرج:

- ما أنا كنت رايح بيت الراحة ما أعرفش إنه صحي.
 - بيت راحة إيه؟ إنت بقىت تتكلم زيهيم يا (راضي)؟
 - اسكت مش أنا عملت (شطاف)، هو بسيط بس فظيع،
 هاتلاقى في بيت الراحة هنا.

قال (فرغلي) بامتنان:

- والله أنتعشت الواحد يا (راضي) بعد كل السنين دي.
 - إيه يا جماعة؟

قلتها فنظروا لي بعيون متسائلة فقلت:

- أنا ملاحظ إن البال رايق والدنيا جيلة، هو خلاص كده
 هنفضل في البيت ده طول حياتنا؟
 - لو خرجننا الشرطة هاتقفلنا، أو الأسوأ، (جعفر) يعرف
 مكاننا.

قالها (فرغلي) وهو يستند على جدار بجانبه و(راضي) يقول:
 - الفترة اللي فاتت بعد تفكير قدرت أكون معلومات عامة
 عن اللي بيحصل تحب تعرفها؟
 - بعد إذن سعادتك لو تحب.

قال (فرغلي) قبل أن ينصرف من الغرفة:
 - أنا هاخليهم يحضروا أكل لينا كلنا.

الحقيقة إنني شعرت بالجوع بعد استيقاظي لكنني خجلت من ذكر شعوري، أما (راضي) فأعاد ذكر كل ما حدث لنا من البداية حتى وصل إلى الفيديو الذي تركته لنا (صفاء) وظهرنا به نحن الاثنين معها

- فاكر يا (حسام) اليوم ده؟

- يوم إيه؟ أنا مش فاكر إننا كنا معاها في البيت أو باللبس

.5.

- بس ده اللبس اللي إحنا سافرنا فيه للعصر اللي إحنا فيه

دلوقت.

- أيوه يعني عايزة تقول إيه؟

- عايزة أقول إن ده لسه في المستقبل ومعنىه إننا هنتحرك

من هنا ونكون في بيت (أبو خطوة) اليوم اللي (صفاء) دخلته علشان تقضي ليلة هناك.

قال لي أن (صفاء) دخلت المنزل وحدث تداخل فيه بين الماضي والحاضر والمستقبل، فصفاء كانت جالسة وشاهدت أجزاء من المذبحة التي حدثت، كما كنا نحن في اليوم الذي دخلنا لهناك لتصوير حلقة البرنامج شاهدنا خيالات لصفاء جالسة تبكي وشاهدنا وقائع المذبحة، لم أترجم كلماته في عقلي في البداية لكنه أعطاني مثلاً بأن الغرفة التي أرقد فيها من

المفترض أن هناك أحداثاً مرت عليها أمس وأحداث ستمر عليها غداً، على حسب كلماته فإن كل هذا الأحداث تحدث في نفس الوقت الآن، فلا وجود للحاضر أو الماضي أو المستقبل في الزمان والمكان، كل الأحداث تحدث في نفس الوقت، ومستحيل أن تظهر أحداث الماضي والحاضر بوضوح إلا لو كان الزمان ينهر نظرياً.

ولو تتبعنا (جعفر) وعلمنا أنه قام بتغيير في الزمن عندما جذر ابن كبير عائلة (السلاموني) فكان نتيجة هذا مذبحة داخل المنزل، من هنا تكون الزمن البديل للزمن الحقيقي، زمن تحدث فيه هذه الأحداث، وفي هذا الحدث يكون الزمن الجديد الذي نعيش فيه أقرب لانهيار لذلك حدث تداخل للأزمنة هذا اليوم.

- هاعمل نفسي فاهم اللخبطة دي بس بسط كلامك أكثر وحياة أمك.

عاد ليسيط لي أن (جعفر) عندما قام بتغيير ضخم في زمنه الأصلي انشق عالم جديد وهو عالمنا بنفس شخصياتنا ولكن بتغيرات عليها بسبب اختلاف الأحداث التي أدت لنشأتنا، فحدث بسيط يمكن أن يغير معتقداتك. وأفكارك وبالتالي يغير طريقك في الحياة، فلو كان (راضي) مثلاً أستاذ موسيقى في عالم

(جعفر) الأصلي فهو هنا مهندس بسبب تغير الأحداث التي قام بها (جعفر) عام 1993 وصنع المذبحه بالمتزل وهذا التغير أثر على كل ما حوله وجعل (راضي) يتجه لدراسة الهندسة ومن ثم تغير حياته، وإن كل من تغيرت حياته تأتي له ذكريات من زمنه الأصلي كما كانت تأتي لراضي أحلام عن (دعاة) لأنه ارتبط بها في زمنه الأصلي برغم أنه لم يرها هنا من قبل.

وعندما أراد (جعفر) أن يجعل هذا الزمن الفرعي مستديم وكامل أخذ بتغيير أحداث في زمنه الأصلي مثل إرسال نسخته التي تعيش هنا إلى الماضي البعيد وإرسال (فرغلي) لزمن تاريخي أقدم ليحدث تغيرات تصنع تاريخياً بطيل عمر الزمن الفرعي.

- معلش أنا عمال أعديلك، بس إنت تقصد إنا مش حقيقين؟

- والله ما أعرف، دي كلها افتراضات ونظريات علمية عليها حبة خيال علشان تفسرها وماتنساش إن فيه نظريات علمية عليها إثبات رياضي إن الذرات عندها إدراك وتقدر تغير براحتها.

- وأنا مالي بالذرات دلوقت متتغير زي ما هي عايزة.

- يا حاج (حسام) أنا بيسطهالك، تخيل الذرات اللي بتكون الكون اللي حوالينا ممكن تتغير وتكون كون تاني.

- طب والكون الأولاني راح فين؟

- هايفضل موجود، انت بس لو أدركت إن فيه كون تانى
هاتشوفه، والظاهر والله أعلم دا اللي بتعمله الغرف اللي تحت
بيت (أبوخطوة)، بتحول إدراك (جعفر) أو الحراس اللي كانوا
بيحرسوا المداخل لعالم حقيقي متكمال، كأنها بتندى ليك
آمنياتك.

دخل (عمر) علينا حاملاً مصباح جاز وهو يقول مبتسمًا:

- (فرغلي) صحابي من النوم وبشرني إنك بقىت كوييس.
- إزبك يا (عمر)؟ إنتموا كلكم ماشين شايلين لمبة جاز.
- أصل البيت هنا فقير شوية مفيهوش البتاعة اللي بتعلق
في السقف دي.. اسمها إيه يا (راضي)؟
- قنديل أم هاشم.

جلس على طرف فراشي وقال:

- طبعاً (راضي) مسك ودنك وبيحكيلك على نظرياته
العقلية.

- هو حكالك؟

- دا ماساباش حد إلا لما حكى له، دا بيقعد في الحمام يكلم
نفسه في الأفكار دي.

- ما أنا بسلِّي نفسي.

قلت أنا:

- هو لحد دلوقت مقالش حاجة مفيدة.

- سمعته لما بيقول إن (حسام) اللي هو إنت في المستقبل
يستخدم المدخل اللي في (دهشور)؟

نظرت لراضي الذي صرخ معتراضاً:

- إنتوا كلكم اتعبيتيم، دا هو نسخة من (جعفر)، الحروق
والبقع اللي في جسمهم اللي بتظهر وتحتفي شبه سلطان الجلد في
آخر مرحلة، خالي الله يرحمه مات بيها وأنا صغير، جسم الاثنين
بيتعرض لنوع من الإشعاع النووي أو مجال كهرومغناطيسي
على لفترات طويلة أوي، يمكن علشان بيسافروا في الزمن
فيتعرضاً للأضعاف أضعاف اللي يتعرض ليه شخص عادي،
لكن الاثنين بيتعرضوا لمصدر طاقة، (جعفر) في بيت (أبو
خطوة)، والمكان الثاني المتاح حسب كلام (عزم) هو المدخل
النافي اللي في (دهشور).

- أمال ليه طلب من (جابر) إني أروح وأبني غرفة في بيت
(فرغلي)، الأدوات اللي ادهالي والمفروض أبني بيها الغرفة
(جابر) أخذها من مقبرة (دهشور) على حسب كلام (حسام)
نفسه.

- أكيد (حسام) هو كمان بيغير في الزمن اللي إحنا فيه دلوقت
بس من غير ما يتخلي حد يسافر معاه، يمكن فيه حاجة في دماغه
إحنا مش فاهمنها.

تنحنحت أنا وقلت بصوت خافت:

- (راضي) بيتكلّم صبح.. وإحنا قدام (محمد علي باشا) قال
إنه مش هايقدر يسافر في الزمن إلا لما يكون في (دهشور).
ارتفع حاجب (عمر) وهو ينظر لي بينما شهق (راضي)
وأشار ناحبتي وقال:

- كلامي صبح، شفت، (حسام) كان بيعركنا زي قطع
الشطرنج، نفس اللي بيعملوا (جعفر)، والاتنين في صراع مع
بعض في كل الأزمنة كان كل واحد فيهم عنده رؤية مختلفة
للأحداث اللي بتحصل والثاني معارضه وعايز ينفذ رؤيته.

يمكّنني بسهولة لو رأيت هذا الحوار يتم بين ثلاثة أشخاص
في غرفة أن أتوقع أن تكون تلك الغرفة في مستشفى المجانين لا
غرفة نوم عادية، قلت لهم مبتسمًا:

- عارفين أنا نفسي في إيه؟ نفسي أدور على فيشة الكهربا
بتاعت كل حاجة وأشيلها وأرتاح.

- أنا بكلمك عن نظريات علمية وإنك بتلخص القصة في

فيشة هاتشدوا من الكوبس.. إيه هو تلفزيون هاتطفه وتدخل
تنام.

هرش (عمر) في ذقنه وهو يقول مفكراً:

- لو عرفت أروح بيت جدي اللي سينا فيه الشنط وأخذ
الحاجة وأبني الغرفة ممكن نتأكد من نظرية (راضي).

قلت أنا:

- طبعاً البيت دلوقت عليه حراسة.

- لا الحراسة مش مشكلة، أي جني ممكن يخليني أدخل
البيت.

رد (راضي) بدھشة:

- إنت مش قولتلي إن الجن اللي معاك اخترقوا وماتوا بسبب
(جعفر) يوم ما كنا مع الباشا.

- آه بس ممكن أعمل عهد عادي مع قبيلة جديدة.

قلت أنا:

- طب ما تعمل كده.

- أنا خوفي من (جعفر)، لو عرف مكانى ممكن يوصلكم
هنا، واللى فهمته من اللي شفته منه إنه بيصطادنا واحد ورا
الثاني.

من منطقة بعيدة في عقلي لمعت فكرة ضعيفة غير منطقية لكنني لم أصرّح بها بل كل ما فعلته أنني قلت:

- (عزم) موجود في البيت دلوقت؟
- آه بس نايم، تحب نصحيه؟
- لا خلية لبكرة لما يصحي براحته.
- تلاقي (فرغلي) صحاه علشان يشوفك، هاقوم أندھولك.
- قالها (راضي) وهو ينهض لكنني أوقفته وقلت:
- أنا هابقى أكلمه بعدين.

مرّ يومان ولم أحدث (عزم) بها أريد، ربما لأن الفكرة ما زالت تختبر بذهني، في هذا الوقت اكتشفت أنني قادر بشكل جيد على تحريك يدي اليمنى حتى ولو كانت هناك آلام في رقبتي وجزء من كتفي، أعتقد أن الأدوية التي أتناولها تعطي مفعولاً جيداً برغم أنها أدوية سائلة تم تركيبها بناء على وصفة، أي أن احتفالات الخطأ عالية لكنها كانت أكثر من جيدة، خاصة ذلك المهدئ أو المخدر الذي يخفى الألم عنِّي دائمًا، لم أكن أتناوله بانتظام منذ استعدت وعيي لأنني لا أريد الإدمان عليه.

سألت في مرة (عمر) لماذا لا يذهب إلى هذا المكان بدھشور ويحاول تشغيله فربما نجح واستطاع أن يكتسب نفس قدرات (جعفر)، لكنه أخبرني بأن لو (حسام) الآخر فعلًا يستخدم هذا المكان كان أولى به أن يستطيع مهاجمة (جعفر) وتوفيقه عن تغيير الزمن.. تزاحت الأفكار في رأسي بشدة، (عمر) هو الآخر ينويأخذ مكان (جعفر) عندما سيدخل قبله للمنزل ويعدّل فيه، ويعتقد أنه سيستطيع حل كل المشاكل، و(حسام) الآخر هو أيضًا يتحرك في الزمن مغيرًا من الأحداث، لكن ما حدث بالأيام السابقة لم يخطط له (حسام) وهذا واضح، فما الذي ستنتهي به الأمور بالأيام القادمة؟

اليوم اختبرت الفكرة برأسي واقترحتها عليهم ونحن نجلس على الطبلية تناول طعام الغداء.

- إيه رأيكم لو نقابل (حسام) الثاني ونخليه يكتشفنا هو عايز إيه ونساعد بعض.

توقف (راضي) عن تناول قطعة اللحم الحمراء وابتلع ما بفمه من طعام ثم قال:

- وده نوصله إزاي يعني؟ نتصل على موبايله.

ضحك (عزم) وفهمت أن (راضي) أو (عمر) حكى له عن بعض الاختراقات في عصرنا، بينما قال (عمر):

- أنا عارف هو عايز يعمل إيه، إنت عايزنا نروح (دهشور)
ونقابلة هناك.

- مش يمكن لو روحناه مانلاقهوش هناك، يكون الرجال
مسافر في الزمن ولا حاجة.

قالها (راضي) وقهقة ضاحكا بسماحة بينما أنا أقول:

- أستاذ (عزم)، إنت تعرف بالتحديد مكان المقبرة؟

- يا ابني أنا مش أستاذ ماتتعبيش، وآه أعرف مكان المدخل
الثاني اللي في (دهشور)، بس هي مش مقبرة دي.

- ماشي ماشي مش مهم مقبرة ولا مدخل، لكن إيهرأيك
لو تاخذنا هناك ونحاول نخش لحسام إذا كان هناك فعلاً.

قلت عباري والمحاسة تتملكني فقال (فرغلي):

- ولو ماوصلناش حاجة ممكن نكشف نفسنا و(جعفر)
يوصلنا.

- لو اتكلمنا بالعقل فشكل (جعفر) و(حسام) اللي من
المستقبل ده بيعرفوا يسافروا في الزمن من خلال الأوضة لكن
لو بعدوا عنها بيكونوا أضعف، ممكن يتخلوا من مكان لمكان
أو يختفوا، لكن مايعرفوش أماكناً إلا بشكل عادي، يعني
احتياج إنهم يصلولنا قليل، دا بالعكس عساكر الولي أقرب
لينا منهم.

كان قائل العبارة هو (عمر) والذي لم ينفِ كلامه بل أكمل:
- طلما كده كدة هتخرج يبقى أنا هاروح بيت جدي وأخذ
الشنط من هناك والباقي يطلعوا على (دهشور).

قلت أنا:

- بس إنت لو دخلت البيت أكيد (جعفر) هايحس بيڭ،
أكيد إنت ملاحظ حاجة زى كده من كل اللي شفناه.

- هي محاولة ويمكن ترجمة.

- بس، دی محاوله انتحاریه.

رد على مبتدا سخرية:

- ولو إنت رحت لحسام اللي من المستقبل واكتشفت إنه مخبي ليها مفاجأة ويطلع أوسنخ من (جعفر) نفسه، كله انتخبار، أناحتاج بس أبني الأوضة وأعمل التجربة دي، ولو أنا فشلت عمكن إنتوا تنجحوا.

- إنت مصدق إزاي موضوع الأوضة دي، المفروض تشك
في أي حاجة حواليك دلوقت.

صمت (عمر) وتراجع بظهره للوراء ليبتعد عن الطلبة
وقال بنرات بطئته كأنه يفكر فيما يقول:

- الأيام اللي فاتت فكرت كتير في اللي إحنا فيه، (جعفر)

عنه دافع يعمل اللي بيعمله، يدافع عن البت اللي بيحبها، حتى لو الدافع بتاعه تافه لكنه مصمم عليه ومستعد يدمر أي حد يقف في طريقه، حتى لو غير الزمن كله، و(حسام) اللي من المستقبل هو كمان عنده دافع إحنا مش عارفينه، دافع إنه يصارع (جعفر) وإنه يتحرك في الزمن بتاعنا ويشكله من جديد، إحنا بقى إيه دوافعنا ؟؟ (فرغلي) و(حسام) و(راضي) و(أحمد) و(عمرو) وأنا.. إحنا كان بيتلعب بحياتنا من غير ما حد ياخد رأينا، لقينا نفسنا في وسط خناقة كبيرة ويتسحب لصراع مش متكافئ، قطع دومينو بيحطونا مكان ما يحبوا، وكل ما الدور يقفل يهدوه ويدأوا دور جديد، من اللي فهمته إننا عايشين في دائرة سببهم، وكل ما تبوظ نرجع من الأول، إحنا دافعنا هو يأسنا، بنجري زي الفيران في متاهة وحد بيراقبنا من فوق، مجرد فيران تجارب، لازم نقلب الترابيزه عليهم، ونأخذ إحنا زمام المبادرة، كان عندك حق يا (حسام) أنا مش واثق في الكلام اللي اتكللي، مش هابني غرفة، أنا هاستخدم الأصل، هنزل تحت البيت وأكون حارس زي جدودي، كنت خايف لو استخدمت البيت في الزمن ده يأثر علينا كلنا، لكن لازم أعمل حاجة، هنزل وأطلع في الزمن بعد 2005 وأمنع (جعفر) يدخل البيت.

- بس كده إنت بتخاطر إنك تعمل زمن جديد.

- أنا عارف هاعمل إيه، (جابر) حكالي على تفاصيل اللي حصل في البيت مع (جعفر) في 2005، وأقدر أبعده من غير ما أضره.

قال (راضي):

- لو الهرى اللي إحنا فيه ده صح فمعناه إن الزمن اللي عايشين فيه ممكن ينهار لو غلط إنت كمان.

ابتسم (عمر) وهو يقول:

- أنا مش زي (جعفر) وكل اللي هاعمله إني هاصلح.

لم ينظر (عزم) لأحد واكتفى بالنظر لطعامه قائلاً:

- ومين قالك إني هاخليك تنزل وأسيبك تتحرك في الورق زي ما كيفلك يجييك.

- هاتخليبني أعمل كده، لأنني هاصلح حياتك، وهخلي (فرغلي) يكون في زمنه الحقيقي.

لم يرفع (عزم) عينيه عن طبقه وكأنه سلم بالأمر الواقع وهذا يدهشني، هل تغيرت قناعاته في الأربعين الماضيين؟ أم أنه أحس بالضياع ولم يعد يثق بالقوانين الصارمة التي علمها

له أجداده!!، الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الحسنة، عبارة لم أشعر بأهميتها إلا هذه اللحظة، هل كان (جعفر) يفكر بنفس طريقة (عمر) عندما بدأ كل شيء؟ هل اعتقاد فعلاً أنه يحمي الجميع ويعيد الأمور لنصابها؟ هل ما زال يفكر بنفس الطريقة حتى هذه اللحظة؟

- السيد (عزام) هايدلني على المكان بتاع (دهشور)
وهاروجه لوحدي.

قلتها أنا بعد نضج الفكرة في ذهني فضرب (راضي) بيده
على الطبلية قائلاً:

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، إنت مش لسه قايل
هتروح كلنا!!!

- (حسام) الثاني مهمتم بحياتي أنا وده طبيعي عشان خايف
على نفسه، بس زي ما قال (عمر)، إحنا منعرفش إيه اللي في
دماغه، مضمنتش حد يروح معايا منكم ويحصله حاجة.

- أنا جاي معاك وش علشان نخلص وما تقاولش.

قالها (راضي) فتحت حنف (فرغلي) محرجاً وهو يقول:

- هو أنا ليه حاسس إنكم بتقسموا فريقين كورة وأنا ابن
البطولة السوداء اللي مخدش عايز ياخده فيكم.

- مين قال، دا فيه مهمه كبيرة أوي ليك، تقدر تحبب حاجة من قصرك؟ ولا هتنفتش؟
- أقدر طبعاً، عندي وسيلة أوصل بيها لسنفر وهو يعرف مداخل وخارج سرية للقصر.
- ماتقولش هتتواصل معاه بالحمام الزاجل.
- الله ينور عليك.
- طب أنا عايزة متوك تحببلي اللبس بتاعي اللي أنا جيتلك بيه أنا و(راضي) و(عمر).
- سهلة، هايكون عندك بعد كام ساعة ماتحملش هم.
قال (راضي) بسرعة:
- وماتنساش اللبس بتاعي لأنني رايح معاه.
- هاجيب كل اللبس علشان نخلص، بس فيه سبب؟
- بصراحة مش طايق الجناب.
- كداب بس هامشي وراك للآخر، وماتنساش إنك هتبس اللبس بتاعك ده تحت المدوم علشان ماتلفتش النظر.
- وهنسيب (عمر) يلبس لوحده في بيت (أبو خطوة)؟
نهض (عمر) وهو يقول:
- هاقدر أتعامل لوحدي.

رَدًّا (فرغلي) بسرعة:

- إنت هاتعمل نفسك ربع في رغيف، أنا هاجبي معاك علشان أوصلك من غير ما حد يشك فيك.

نهضت أنا الآخر وسررت بالتجاه المطبخ حيث الخادمان اللذان يساعدان (فرغلي)، فمعهما إبريق المياه الذي سأغسل فيه يده، سبقني (راضي) جريًا وأبطأ خطاه عندما مرّ بجانبي وقال همسًا:

- إنت عايزة نلبس لبسنا اللي ظهرنا فيه في الكاميرا مع (صفاء)، عايزة تحقق المستقبل بالظبط، شكل (حسام) الثاني ده هاينقلنا للبيوم ده.
نظرت له ولم أنطق بكلمة وأنا أراجع ما يدور بعقله وأستعد نفسياً لما سيحدث.

جاء الليل وبدأت الترتيبات، كان (فرغلي) قد صعد لسطح المترجل وأطلق حامة زاجلة لمترجل (سنقر) بها طلب مقابلة في موضع يعرفه الاثنان بمدخل الروضة، ولأن (فرغلي) - كما شرح لي - يمتلك حاماً زاجلاً يعرف الطريق لمترجل (سنقر) ولا يمتلك (سنقر) حاماً يعرف طريق هذا المترجل فعل (فرغلي) الذهاب للمكان والانتظار على أمل استلام الرسالة، لذا فقد

غير (فرغلي) ملابسه الثمينة بملابس أكثر فقرًا، وقام بتغيير شكله بآخر طريقة توقعتها؛ حلق لحيته بكل سهولة، ولكنه ترك الشارب الضخم المبروم الطرفين فأصبح وجهه مضحكاً بعدهما زالت الهيبة، كلنا ضحكتنا على تغير وجهه حتى (عزام) الذي كتم ضحكته في البداية ثم انفجر بعدها بقوه وجسده يرتعج، حتى أخبره (فرغلي) بأن عليه هو الآخر حلقة شاربه ولحيته.

رفض (عزام) بجنون وأقسم بحياته على ألا يفعل حتى ولو قبض عليه وأعدم.. جلسنا ننتظر وال ساعات تمر والليل قد حان ولم يعد (فرغلي)، بعد سدول الليل بخمس ساعات عاد (فرغلي) وهو يحمل صندوقاً كبيراً وبضعة أكياس من القماش مغلقة، قلت له:

- تعرف إن (ستقر) ده لو شخصية في فيلم مصرى قديم كان خانك وبلغ عنك.

- طب احمد ربنا إنه مشافش الأفلام دي، الرجل خاطر بحياته ودخل قصري وهو تحت الحراسة وجابلي المدوم وغدارات وبارود وذهب.

- إيه كل ده يا عم هي حرب!

- أنا بوريك بس إنه لو كان اتفقش بال حاجات دي كان
الواي قعده على الخازو.

أعطانا الملابس والتي تم غسلها كما ييدو يوم وصوصلنا
لقصره، فارتديت ملابسي وكذا فعل (راضي)، ثم أعطانا
(عزم) ملابس الخادمان وشدد على حلق لحانا وشواربنا حتى
ولو لم تكن طويلة.

- إنت عايز شكلهم بيان إنهم ماليك تبعك يعني؟
قالها (فرغلي) وهو يتأمل مظهرنا بعد العلاقة و(عزم) يهز
رأسه بالموافقة ويقول:

- أوصى حد فيكم بتكلم طول الطريق مع أي نفر، طريقتكم
هاتفضحكم.

قال (راضي):

- هو إحنا خاييفين منهم كده إزاي؟ يعني هيعرفونا من
أوصافنا مثلًا؟

- لو حد من الشرطة أو الجنود أو البصاصين شك فيك
وكلمك هياخدوكوا من غير كلام ويبقوا يدوروا وراكم على
رواقه، ماتستهونش باللي حصل في القلعة، البلد كلها واقفة
على رجل، سيبوا نفسكم للمعلم (عزم) وهو يكفيكم شر

الطريق، أما (جعفر) لو وصلكم فادعوا ربنا إن (حسام) الثاني
يلحقكم زي المرة اللي فاتت.

أخذني (فرغلي) جانبًا وحدثني بصوت خافت قائلًا:

- المفترض إنكم راحيين تقنعوا (حسام) لو لقيته بإنه
ينضم لينا وبدل ما بحركتنا نشتراك إحنا معااه، بس كلنا عارفين
إن مش ده اللي بالك، قلبي حاسس إننا مش هتقابل تاني هنا
في الزمن ده.

ابتلع ريقه وهو ينظر حوله ويقول:

- ويمكن (عمر) هو كمان عارف ده وبيشتريكم وقت بإنه
يشغل (جعفر)، أنا هكون معااه وأتنى حد فينا ينجح.

- طبعًا انت خايف لكن مش هتقول كده.

ابتسم بأريحية وعلا صوته بشكل طبيعي وهو يقول:

- لا خلاص مش خايف من حاجة، حيافي خلصت هنا
ووصلت ل نهايتها، ما أعرفش شكل النهاية لكن متأكد إني
هارتاح مع أي نهاية.

قفزت بذهني كلمة الفشل فقلت:

- لو أنا فشلت في اللي أنا عايشه وإنتموا في بيت (أبو
خطوة) تفتكر هايحصل إيه؟

- مفيش، هايبدأوا من جديد ويمكن شخصياتنا الجديدة تحاول تعامل اللي إحنا بنعمله ده، ويمكن إحنا مرينا بالخوار ده قبل كده ونسينا ويدأنا تالي.

- كنت بتقول إن دي النهاية.. تفتكر هاتبقى نهاية سعيدة زي بتاعة الأفلام؟

- ما فيه أفلام نهايتها سودا يا جدع.. تنتهي بأي طريقة المهم ماتبقاش نهاية مؤلمة.

قالها واحتضنني وهو يقول:

- كان نفسي أقلش وأنا بقول الكلمتين اللي فاتوا بس منعت نفسى.

- مش عارف بس حسيتك بتتكلم زي (عادل إمام) في فيلم سلام يا صاحبي).

اتسعت عيناه وهو يبعدني عنه ويقول:

- إنت عرفت منين إني كنت بفكري في الفيلم ده.

يغلي لي أنه يحاول استعادة خفة دمه في المزاح لكنه يفشل، الجميع يشعر بشيء قادم، لكننا لا نعلم ماهيته.. عدنا لهم وتصافح الجميع بحرارة زائدة كأنها النهاية فعلاً.

- لما تدخل الأوضة الأخيرة يا (عمر) سيب نفسك

وماتقاومش، ولما تحس إن جسمك بقى خفيف استخدم الحبستة.

قالها (عزم) وهو يضع يده على كتف (عمر) الذي هز رأسه متفهمًا وقال:

- ماتقلقش عليا.

- ولو ما كانش لينا نصيب نتقابل قول لولادك إن جدهم الكبير بيسلم عليوكوا.

- يوصل يا حاج.

قالها (عمر) ضاحكةً.. لطالما أبهري الإيمان، تدق في شيء ما حتى ولو لم تره، بل وتحرك في طريقك على أساس هذا الإيمان، جميعهم مؤمنون بأنهم سيحدثون تغييرًا، لكن هل يا ترى حدث هذا المشهد من قبل وفشلنا فعلاً ونحن نعيده بحذافيره؟؟ ربما حان الوقت لاختبار الإيمان.

الفصل النهائي

بأبسط الطرق



pdfelement

1836

خرج (عمر) وفرغلي قبلنا من المنزل ليذهبا بطريقهما، أما (عزم) فقد غير قليلاً في هيئته وقام بتعمير الغداره بطلقة احتياطية ودسها بين ملابسه بالإضافة إلى خنجره الصغير، ثم اطمأن على ملابسنا وأعاد تعليمه ثانية، بالطبع لم أنس أن أشرب جرعة كبيرة من الدواء المخدر كي يقتل ألم رقبتي وكيفي ثم غادرنا وهو يتقدمنا.

المنزل الذي غادرناه كان في منطقة (بركة الجيش)، أعتقد أنها اختفت في عصرى ولم أعلم كيف أصبح هذا المكان في الألفية الثانية، لكنها امتلأت بالأراضي الزراعية والبساتين وكان لها قرب من النيل.

- طريقنا هايكون إزاى؟

قالها (راضي) ونحن نمشي الهوينى بجانب (عزم) الذى رد بساطة:

- لا مش بعيد، هنطلع على الجيزة مشي ومن هناك هنأجر عربية كارو تاخدنا للبدرشين ونكمel إحنا بعدها لوحدنـا.
 - طب ما ناخـد عـربـية كـارـو مـن هـنـا؟
 - العـربـيات بـتـفـتـشـ أـكـثـرـ مـنـ الـبـنـيـ آـدـمـينـ،ـ نـمـكـنـ حـدـ يـوـقـنـاـ يـفـتـشـنـاـ طـبـعـاـ بـسـ الـاحـتـيـالـ أـقـلـ.
 - والله عـهـارـ ياـ مـصـرـ،ـ رـيـنـاـ مـاـ يـقـطـعـلـنـاـ عـادـةـ.
- قالـهاـ (ـراـضـيـ)ـ فـسـأـلـهـ (ـعـزـامـ)ـ عـهـاـ يـقـصـدـ لـكـهـ قـالـ إـنـهـ تـذـكـرـ شـيـئـاـ غـيرـ مـهـمـ.

الـسـيـرـ لـيـلـاـ كـانـ أـفـضـلـ فـحـرـكـةـ النـاسـ قـلـيلـةـ وـنـادـرـاـ مـاـ نـظـرـ إـلـيـنـاـ أـيـ شـخـصـ،ـ الـسـافـةـ الـقـلـيلـةـ الـتـيـ تـكـلـمـ عـنـهـ (ـعـزـامـ)ـ كـانـ يـقـصـدـ أـنـهـ فـيـ حدـودـ السـاعـاتـيـنـ سـيـرـاـ عـلـىـ الأـقـدـامـ وـهـذـاـ تـقـدـيرـيـ وـوـبـيـاـ كـانـ أـزـيـدـ،ـ قـدـمـيـ أـنـاـ وـ(ـراـضـيـ)ـ آـمـلـتـنـاـ بـشـكـلـ لـاـ يـوـصـفـ حـتـىـ إـنـيـ جـلـسـتـ عـلـىـ جـانـبـ الـطـرـيـقـ مـرـتـيـنـ لـأـرـتـاحـ قـلـيلـاـ وـفـيـ النـهـاـيـهـ وـصـلـنـاـ لـدـكـانـ مـغلـقـ بـالـجـيـزةـ نـادـيـ (ـعـزـامـ)ـ عـلـىـ صـاحـبـهـ الـذـيـ كـانـ يـقـطـنـ أـعـلاـهـ،ـ نـزـلـ الرـجـلـ وـعـرـفـتـ أـنـهـ يـعـمـلـ بـالـاـنـفـاقـ لـمـشـاـوـيرـ عـدـدـةـ،ـ سـاـقـقـ أـجـرـةـ أـوـ تـاكـسيـ إـنـ وـصـفـتـ لـكـ عـملـهـ الـآنـ لـكـ (ـعـزـامـ)ـ يـنـادـيـ بـالـعـرـبـيـجـيـ وـهـيـ لـيـسـ سـبـبـةـ بـلـ وـصـفـ لـعـملـهـ.

أخرج العربي عربة الكارو من الدكان وربطها بحماره، هذه هي وسيلة الركوب الوحيدة في هذا العصر التي جريتها في زمني وأنا في عمر العشر سنوات عندما كنت بمصيف في (جصة) قبل أن يعتبره البعض سبة هو الآخر ككلمة عربيجي. ذهب بنا العربي إلى (البدرشين) ومنها لدهشور حتى وصلنا لأطرافها السكنية والزراعية وامتدت رمال الصحراء أمامنا إلى ما لا نهاية وضوء القمر يصبغها بلون مقبض كثيب، رفض العربي الدخول في الصحراء وهذا حقه فنحن تحطينا متتصف الليل، نقده (عزم) بضعة نقود معدنية واتجه يسبقنا إلى الصحراء صامتاً وأقدامنا تغرس في الرمال لأكثر من ساعة حتى وصلنا إلى شيء ضخم يلقي القمر عليه بظلاله فيظهر ظل هذا الشيء خفياً.

- دا فرم الأخر.

قالها (عزم) ثم أكمل:

- إنتوا عندكوا خطة تنزلوا بيها تحت؟

- تحت فين ولا مؤاخذة؟

قالها (راضي) فرد (عزم):

- المدخل مدفون تحت الأرض ولو (حسام) تحت هتخشوا ليه إزاي؟

قال (راضي):

- ما هو لو دخل قبلينا المكان يبقى أكيد حفر وفيه طريق
نخشله عادي يعني.

توقف (عزم) عن السير وقال لائئم:

- وأنا اللي قلت عليك واد حدق وابن بلد وبيفهم، ما هو
(حسام) اللي إحنا رايحنه هو صاحبك في المستقبل، وأكيد لو
دخل هناك يبقى عمل كده في المستقبل.

- آه والله غلبتني يا عم (عزم)، طب هنعمل إيه؟
- يا ابني أنا اللي بسأله.

- خلاص يبقى هتتادي عليه.
ابتسم (عزم) وقال:

- ولو ماردش؟

- أنا قتيله هنا، مش هاروح كل المسافة دي تاني.

ضحك (عزم) بينها قلت أنا:

- خلي عندك إيهان.

- ونعم بالله.

ربما كانت عبارتي هي نوع من جبر الخواطر في الكثير من
مواقفنا الحياتية، لكنني قصدتها بالفعل، فها أنا الآن أسير في

طريقي إلى الإيهان وأتخيل أن الكوميديا الحقيقة لو كان ذهابنا إلى هذا المكان تم تدبيره لنا لتسير إلى قدرنا معتقدين أنه اختيارنا، أعتقد أن تلك الرحلة يتراقص فيها الشك والإيهان على نفس الأرض وإن اخترت الإيهان فقد اختerte أملاً في النجاة لاثقة فيه.

بعد فترة من السير لم أحسب وقتها توقف (عزم) عند منطقة أقرب ما تكون إلى الصخور تحيطها الرمال.

- المكان هنا.

نظرنا لبعضنا البعض ولم يتحدث أحد كأن كلامنا يتذكر أقرأنا من الآخر.

- طب هنعمل إيه؟

قالها (راضي) فقلت أنا:

- ننادي عليه.

- طب ما تنادي، ولا مكسوف حد يسمعنا يقول مين الناس الحمير اللي بینادوا في وسط الص...

لم يكمل عبارته وهو ينظر خلف ظهره ويشير بإصبعه لهناك، التفت لأرى البخار الأبيض المميز لظهور (جعفر) أو (حسام) الآخر، عدا أن من ظهر داخل البخار هو (حسام)

الآخر والدهشة تظهر على ملامحه المكتملة والتي لم تظهر بها الحروق كثيرة.

- كنت عايز أسألك سؤال بس دلوقت عرفت إجابته.
قالتها فلم يتكلّم، أكملت أنا قائلًا:
- كنت عايز أعرف إنت مستيننا نجيبك ولا لا، بس شكلك متfragجع.

حرّك شفتيه وقال بيرودي:

- جاين ليه؟

ردد (راضي) بسرعة:

- عايزينك تكون معانا.
- لا.

من قال لا هو أنا، حتى إن (راضي) و(عزم) نظراً لي باستنكار فأكملت عبارتي:

- أنا عايز أكون معاك تحت علشان أقولك على حاجة.
لم يرد لفترة طويلة وهو ينظر لي فقلت أنا:
- أنا مش ناوي على غدر وإن أقوى مني بمراحل وتعرف تدافع عن نفسك لو أنا ناوي آذيك.
قال بعد فترة صمت ثانية:

- إنت عايز إيه؟

- مش هتكلم إلا وأنا وإنت لوحدنا.

فكرة محادثة صورة مني شيء جنوني ولكنني كنت قد وصلت
حالة من السلام النفسي جعلتني أقبل كل شيء في الدنيا، أما
هو فنظر لراضي و(عزم) وقال:

- بس إنت بتحب (راضي) وبتش فيه وبتأمنه على كل
أسرارك، ليه مش عايزه يسمعك المرة دي.

- مابحبش حد يسمعني وأنا بتكلم مع نفسي.. أصل شكلي
بيقى مجنون.

انتسم هو والبخار يزداد من حوله ويعطي جسده و(راضي)
ينعندي بالغبي إن فكرت على النزول وحدني، البخار يحيط
بجسدي أيضاً ونفس الأحساس التي أحسست بها و(جعفر)
يسحبني لتحت منزل (أبو خطوة) أشعر بها الآن، ألم الرأس
الذى يرتفع فجأة بقوة وينخفض فجأة، النار الحارقة بجسدي،
شعور الهبوط من الأعلى وسحب روحى للأسفل، الاصطدام
بالأرض لكن هذه المرة اصطدم ظهري بالأرض، زالت كل
الألام ماعدا ألم رقبتي وأنا أنهض وأشعر بدفء المكان القوى
وعرقى يغمرني ويحرق جرح رقبتي.

نهضت سريعاً ونظرت حولي للمكان الذي هو قريب من التصميم في منزل (أبو خطوة) ولكنه لا يشبهه بالكلية، لم أجده حجراً أسود هنا في موضع ظاهر لكن الكرات البيضاء المضيئة موجودة على الجدران، رسوم لشخص مجذح وكلمات بجانبه بالهiero غليفية.

- المرسوم ده هو حارس المدخل.

قالها هو فابتسمت وأنا أزيح العرق عن فمي وقلت:

- طبعاً هو مرسوم بأجنحة علشان إنتوا بتطيروا.

لم يبتسم فالسماحة طبع لصيق بي، قلت له:

- إنت مستقبلي صبح؟

حرّك جزءاً من ياقه القميص الذي يرتديه وظهر جرح على رقبته في موضع الرصاصه التي تلقيتها وقال:

- أنا مستقبلك لكن أي حاجة بتحصلك بتوصيل.

- إنت مخطط إني أضرب بالرصاص؟

جلس هو على الأرض بأريحية لا تناسب أجواء الموقف، ولاحظت أن الحروق عادت لظهور بوجهه ثانية وهو يتكلم:

- كل اللي حصلك من ساعة ما قابلت (فرغلي) مكتشن مخططله، (أحمد) و(عمرو) كانوا في الخطأ.

- ماتوا؟

- (جعفر) رجع بالزمن لما شاف إنه غلط لما بعتك تقابل (فرغلي)، وحب يمسح الغلط فإنه يقتل كل اللي حواليك وبعديها يقتلك.

- قتلهم إزاي؟

- هو مش قتلهم قتلهم، تقدر تقول إنه جبهم في نقطة من الزمن عاشوا فيها مسجونين وسنهم يكبر لحد قبل ما يموتوا كان بيسبهم يطلعوا من البيت، وده كان مصير (عبد الرحمن) أبو (صفاء).

- والباقي مصيرهم إيه؟

استند هو على يديه ونظر بعيداً عنِّي وقال ببرود كأنه يحكى قصة عملة:

- (عمر أبو خطوة) دفنه حي بعد خنافة طويلة بينهم، بس دا كان هايحصل بعد سنة من دلوقت لما يحاول يبني أوضة تشبه المكان اللي إحنا فيه جوه بيت (فرغلي) وبمساعدته، وإن كنت هاتتعلم على إيد (عزام) كام سنة وتحجي تفتح المكان هنا وتبقى حارس من حُرَّاس المدخل علشان تحاول تغير اللي حصل وتنفذ أصحابك

جلست أنا أيضًا على الأرض محاولًا الاسترخاء وتقبل ما
أسمعه وقلت:

- و (راضي) هيموت إزاي؟

نظر لي نظرة بلا معنى، ربما كان يهشّني على استنتاجي وقال:
- بعد ما تشغل المكان هنا هتاخده وتسافر بيها على سنة
2007، هو اقترح عليك إن فيه تداخل في الأبعاد السنة دي
وبالتحديد في اليوم اللي اللي بتدخل فيه (صفاء) البيت أول مرة
وحدها، كان معتقد إنكم هتعدلوا في المذبحه وتخرجوا (صفاء)
من البيت، لكن (جعفر) هايتبعدك ويقدر ياخد (راضي) ويعمل
فيه زي اللي عمله مع (أحمد) و(عمرو).. هيموت بالشيخوخة
والناس هتللاقي جته قدام البيت سنة 1998.

- وبعديها أنا هبقى زي (جعفر)، هتحرّك في الزمن وأعمل
تجارب مش كده؟

لم يرد علي فقلت له:

- إنت حاولت تعدل في اللي حصل كام مرة؟

- كثير أوي حاولت أقدر أصحابنا لكن ما بعرفش، إنت
الوحيد اللي بلحقك.. الموضوع مش زي ما إنت تخيلة، أنا
أول ما أعمل تغيير باشوف كل احتمالاته في المستقبل وأقدر

أروح للاحتمال وأحاول معاه لحد ما يتحول لواقع، لكن فشلت، ومش باقي غير صراع بيسي وبين (جعفر) مالوش معنى، مخدش فينا يقدر يقتل الثاني لكننا هنموت لوحدينا، بس قبل ما نموت هنكون عملنا مليون تغيير في نفس الوقت وجريناهم.

- إنت جسمك مبقاش بشري خلاص؟

ابتسم هو للمرة الثانية في هذا اللقاء وقال كأنه يتذكر شيئاً:

- أكيد (راضي) فلنك بنظرياته عن جسم (جعفر) اللي بقى ذرات مش مستقرة وبتقدر تخترق الجسدات ودايمًا مشحونة بالطاقة وإنها لازم تفضل جنب مكان شحن الطاقة اللي هو المدخل لعالم أرض الحقيقة علشان ذرات جسمه تفضل متهاشكة وإلا هيموت بالسرطان.

ابتسمت وأنا أقول:

- (راضي) رغاي فعلاً.

- كان رغاي بس عبيري وفاهم كل حاجة، الله يرحمه، شفته بيموت كثير.

- إنت بقالك قد إيه في الحالة دي.

- مفيش وقت هنا، من أول ما شغلت المكان وكل حاجة

بحصل قدامي في نفس الوقت، جسمي بقى جزء من الأرض دي، بموت بس ممكن عقبال ما أموت بالنسبة ليك أكون عايش ألف سنة، لأن الألف سنة أنا بتنقل بينهم في نفس الوقت، تقدر تقول إني هاموت بكرة بس من هنا لبكرة أقدر أعمل حاجات كتير علشان أحاول أحافظ على الزمن ده وأوقف (جعفر).

زادت لسعة العرق المالح بحرجي فتحسست الضيادة بيدي وقلت:

- وهتوقفه إزاي؟

- هامنعني من إنه يغير في الزمن وأعدل الزمن بنفسي علشان (جعفر) يتقبل موت (صفاء).

- هو الزمن ده ملوش أهل يسألوا عليه، كلكم جاين تعدلوه.

- دا مستقبلك إنت كمان.

- إحنا بتتكلم عن أئبي زمن؟ اللي إحنا فيه؟

- آه، ولا إنت عايزة ينهار؟

- إيه رأيك لو حلينا المشكلة من أصلها؟

ابتسم هو وقال:

- إنت لسه مش عارف حاجة، كل الاحتمالات أنا بعملها
خلك..

قاطعته:

- تعرف تسافر في الزمن وتوصل للزمن الأصلي اللي بدأ فيه
 (جعفر) كل حاجة.

مال برأسه وهو ينظر لي ويقول بيطع:

- ولو سافرت للزمن الأصلي ما أقدرش أعدل حاجة، دا
 زمن خاص بجعفر، أنا لو وصلت لزمنه الأصلي هكون مجرد
 مشاهد ومش قادر أخرج من المكان هنا.

- إنت ماتقدرش تخرج لكن أنا أقدر، إنت مابقتش بشر،
 بس أنا طبيعي لسه ويمكن أعمل تغيير.

لم يرد عليّ، أعرف هذه النظرة لأنّي استخدمها كثيراً، هو
 يحاول قراءة نوایاي، قلت له بسرعة:

- كل مهمتك تسفرني في الزمن وتوصلي لنقطة واحدة،
 يوم فرح (جعفر) على (صفاء) وتسيني أتصرف بطريقة بشرية.

- بس إنت مش هتعرف تقذها، (جعفر) سبقك وكانت
 بتموت برضو.

- أنا مش هانفذها، لكن هاخليه يتقبل موتها.. ويعرف إيه
 اللي هاي عمله فينا.

قال باستهزاء:

- هتقنعه إزاي؟

- فيه (حسام) زي في زمنه والمفروض إنه صاحبه، لما يلاقي
أتنين منه هايفهم.

- إنت غبي؟ أنا أعرف إني مجنون بس مش غبي، تقنع مين
هو جوز خالتك هاتعمله قعدة عرب.

- مفيش حد هايختسر حاجة، سيبيني أحاوول.

نهض من جلسته وتأملني بشك وهو يقول:

- بس إنت لو أقعته مش هايغير الزمن والزمن اللي إحنا
فيه هايختفي ويفضل زمان (جعفر) الأصلي.

- إنت ماتعرفش الاحتياطات يمكن تبقى إيه، يمكن الزمن
هناك يلغى وجودي، ويمكن أموت قبل ما أوصله، لكن تخيل
لو نجحت يمكن بحصل إيه؟ كل حاجة هتتصالح لوحدها

- إنت عايز تنهي وجودنا؟

- إنتي عايزني أعمل حاجة زي كده، ويمكن فكرت فيها
كمان بس اللي مانعك إنك خايف، أو مش هاتقدر تغيير في
الزمن الأصلي، وديني هناك يوم فرح (جعفر) وأنا هاستخدم
الطبيعة البشرية لينا وأخاطب روحه علشان يتقبل موتها.

- إنت هتفشل، (جعفر) محدش هايقدر يقنعه إنه ينسى
(صفاء).

- اعمل محاولتك وابعثي هناك.

نهضت من موضعه وهو يقول:

- لو رُحتِ الزَّمْنِ الأصْلِيِّ احْتَمَلْ (جعفر) يعرِفُ بِوْجُودِكِ،
إِنَّا بِنَشْوَافِ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي فِي الزَّمْنِ كَأَنَّهَا أَلْبُومَ صُورٍ، وَلَوْ
صُورَةٌ جَدِيدَةٌ حَدَّ ضَافِهَا بِنَشْوَافِهَا فِي سَاعَتِهَا، مَشْ هَاقِدُرْ
أَحْيِيكِ هَنَّاكِ، أَنَا أَقْدَرْ أَحْيِيكِ لَوْ عَايِزْ تَتَحرِّكُ فِي زَمَنِ دَهْ.

- لو (جعفر) الَّتِي فِي الْبَيْتِ وَصَلَيْ أَنَا الْمَسْؤُلُ.

هزْ هُوَ رَاسِهِ بِعَدْمِ فَهْمٍ وَهُوَ يَقُولُ مُسْتَنْكِرًا:

- إِنْتَ عَايِزْ تَتَحرِّكُ بِطَرِيقَةٍ مُحْتَرِمَةٍ؟ عَايِزْ (جعفر) يَقْتَلُكَ
مُثَلًاً وَلَا عَايِزْ إِيهِ؟
- إِنْتَ مَشْ خَسْرَانَ حَاجَةً.

قلَّتْهَا وَأَنَا أَسِيرُ نَاحِيَتِهِ حَتَّى وَجَدْتُ مَهْرًا جَانِبِيَاً بِهِ نَفْسَ
الْمَقْعَدِ الَّذِي بِمَنْزِلِ (أَبُو خَطْوَةِ) وَعَلَيْهِ الْجَهَةُ الْمُخْنَطَةُ الْجَالِسَةُ
الْمُلْقَى عَلَيْهَا الْعِبَاءَ السُّودَاءَ، نَظَرَتْ لِلْعِبَاءَ فَنَظَرَهَا هُوَ أَيْضًا
ثُمَّ نَظَرَ لِي لِثَرَانِي، تَرَكَتْ نَظَرَتِهِ فِي عَيْنِي، تَحرَّكَ بَعْدَهَا بِسُرْعَةٍ
وَسَحَّبَ الْعِبَاءَ وَهُوَ يَلْفُ بِهَا نَفْسَهُ ثُمَّ يَلْقَى طَرْفَهَا عَلَيْهِ وَأَنَا
أَسْمَعُهُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ تَغْطِينِي الْعِبَاءُ:

- لَوْ إِنْتَ مَتْ فِي الزَّمْنِ الأصْلِيِّ هَامُوتْ أَنَا كَهَانَ.

2005

استيقظت بالام مبرحة برقبتي ومعدتي وحرارة شمس الظهيرة تزيد الطين بلة لاني تعرضت لها لفترة طويلة حتى أستيقظ، فتحت عيني فاصطدمت بضوء الشمس واضطررت للغلاقها مجدراً، لكنني نهضت وأناأشتم رائحة شباط تأكيدت بعد ثوانٍ أنها من أطراف شعر رأسى المحترق ثم اكتشفت آثار لحروق بسيطة باجلباب الذي كنت ارتديه على ملابسي فتزعمه ليظهر قميصي وسرالي، لهذا صممت على ارتدائهم كي أبدو طبيعياً هنا إن قبل (حسام) الآخر بارسالي.

نهضت بصعوبة واقفاً على قدمي فدارت الأرض بي وسقطت ثانية، ارتفعت العصارة المعدية وفوجئت بتقيؤي مواد سائلة تبعتها بعض الدماء مع ألم المعدة الزائد.. هدأت قليلاً وأنا أحرك وجهي يميناً ويساراً أتفحص المكان من حولي، رمال تحيط بي من كل جانب لكن على امتداد بصري

أرى تكوين يشبه الهرم من بعيد، هل أنا الآن فوق المدخل
والرمال تحجبه عنِّي؟ أم أنَّ (حسام) الآخر قفز بي في مكان
أبعد !!

لو صحت حساباتي فإن سرت إلى الهرم ومررت بجانبه
فقد أصل لقرية (دهشور)، تحاملت على نفسي، ونهضت ثانية
محاولاً السير إلى الهرم الذي كان بعيداً عنِّي في الواقع لكنني
أوهنت نفسي بأني اقتربت.

قبل أن أصل له رأيت سراياً لسيارات تقف بجانب الهرم،
حسناً ليست سراياً لأن إحداها تحركت وتأتي نحوِي، أم هو
السراب؟ اقتربت السيارة حتى توقفت بجانبي وهبط منها
شابين في العشرينيات:
- مالك يا أستاذ؟

فالم أحدهم وهو يسند جسدي بيديه كي لا أقع وقد كنت
معرضًا لذلك فعلاً، قلت لهم بصعوبة:

- عايز أروح القناطر.
- ابتسما وأحدهما يقول:
- إنت كنت ناوي تروحها مشي؟
- عايز أروح (أبو النور) طريق القناطر.

قلتها ثم ظلام دامس، فتحت عيني بعد هذا الظلام مفروعاً
لأجد نفسي على فراش كشف في مكان يشبه العيادة وبجانبي
يجلس طبيب شاب يشرب كوب من الشاي باستمتاع ويدخن
بجانبه سيجارة.

- حمد لله على السلامة.

قالها لي الطبيب بلا اكتئاث لأن وجودي هنا أمر طبيعي أو
كأننا نعرف بعضنا البعض منذ عشرات السنوات.

- هي دي مستشفى ولا عيادة؟

- دا الاستقبال بتاع مستشفى الصفا والمروة.

قالها ونظر أمامه ليكمل استمتعاه بالشاي .. مصر بها ألف
مستشفى تحمل اسم الصفا والمروة، هل يعتقد أنني فهمت الآن
وسأصرخ من السعادة. بعد أن أعرف أنني في مستشفى الصفا
والمروة التي حلمت بدخول استقبالها منذ مراهقتني.

- أيوه فين المستشفى دي؟

- آه إنت مش عارف إحنا فين، إحنا في البدرشين.

نهضت من على فراش الكشف وتحسست رقبتي لأجد
ضيادة جديدة وضعفت عليه، هل سيبلغ البوليس بسبب آثار
الطلاق النار؟

- حضرتك اللي غيرتلي على الجرح ده؟
 - آه.. دا كان متهدل وخلاص هايعرفن، إلا مين الدكتور اللي خيطهولك ده، دا شكله حمار.

كدت أقول إنه طبيب منذ أكثر من 150 عاماً وأنه أفضل منه بتلك السيجارة التي يدخنها بجواري، وقفت بجانبه فقال بلا أن ينظر لي كأنه يخاطب شخصاً آخر في تلك الغرفة.

- فيه اتنين ولاد حلال جابوك هنا من 3 ساعات وكانوا فاكرين إن عندك ضربة شمس، بس الموضوع كان هبوط في الضغط فرفعتاه..

آه.. ليس معندي نقود لأدفع شيئاً حتى ولو كانت لستشفي الصفا والتور التي لا يوحى هذا الطبيب بأنها مركز طبي عالمي..
 - اللي جابوك قالوا إنك كنت ماشي في حنة صحراوية، إنت كنت تايةه ولا حد طلع عليك ثبتك؟

قال عبارته بنفس البرود والغرور فقلت أنا:

- هو مصاريف العلاج كام؟
 - لا خلاص أنا عارف إن ماعكش فلوس..
 غزت دماء الخجل أوردة وجهي لكن الطبيب نهض ووضع كوب الشاي جانبًا وأخرج من جيبه ورقة مالية فئة 20 جنيه وأعطتها لي قائلاً:

- علشان تركب وتروح المكان اللي إنت عاوزه.

- لا شكرًا.

صرخ في بجنون أن أقبلها ثم حلف بالطلاق ثلاثة بغضب حقيقي كأنه يهددني بأنه سيطلقني أنا شخصياً، أخذتها منه وشكرته، الطبيب تعامل معن بشهامة لكن طريقته في الحديث تجبرني على تحطيم محتويات تلك الغرفة على رأسه.

خرجت من المستشفى التي هي أقرب لمجموعة عيادات في الطابق الأرضي، أوقفت أحد المارة وسألته عن الساعة وعن كيفية الوصول لشارع الهرم الرئيسي.. الساعة الآن الرابعة عصراً، يجب أن أصل بسرعة للقرية إن كنت في حضرت في الوقت الذي أريده.

ركبت المواصلات من (البدرشين) إلى (الهرم) إلى (شبرا الخيمة) ثم استقللت ميكروباص إلى (أبو النور).

لو كان هذا العالم هو عالمًا وزمانًا غير زمني فحتى الآن لم أرأ أي اختلاف بين العالمين، غير أنني عندما كنت داخل الميكروباص ومررت على (باسوس) ثم اقتربت من منطقة (الحادنة) التي يقع بها منزل (أبو خطوة) شعرت بانقباضة في قلبي.. أهوا خوف نفسي أم شعور حقيقي!! اقترب الميكروباص أكثر وبقى بعض ثوانٍ على المرور من أمام المنزل، ها هو يمر، ألقيت نظر

مرتبعة من نافذة الميكروباص، فجأة توقف الميكروباص على بعد بضعة أمتار من المنزل وسمعت صوت سباب السائق وهو يقذف سيارته بأقدع الألفاظ، السائق يحاول إدارتها لكنها تأبى. نظرت خلفي لأرى من الزجاج الخلفي للميكروباص، السائق الغبي يملا النافذة الخلفية بملصقات تشرح حالته العاطفية والنفسية، لكن بين تلك الملصقات استطاعت تمييز ما كنت أخاف منه.. (جعفر).. يقف أمام المنزل بملابس السوداء يبادلني النظر، نظرته هادئة باردة خالية من المشاعر، كأنه لم يندهش لوجودي.. ما الذي سيفعله؟ هل سيخطفني من وسط الناس؟ أم.. دار موتور الميكروباص فانطلق السائق وأنا أنظر بجعفر الذي أبعد عنه لكنه لا يتحرك، ابتعد الميكروباص عن المنزل لدرجة أني لم أعد أراه لكنني ما زلتأشعر بجعفر ينظر لي بعينيه المخيفة.

نظرت أمامي وأنا أتخيل ما الذي سأواجهه، هل سيقتلني؟ لن أخسر كثيراً، على الأقل سيقتلني وأنا أحاول التحرر.. حاولت بإبعاد الأفكار المخيفة عن رأسي وأنا أراقب الطريق شارداً حتى لمحت مدخل قرية (أبو النور) يظهر جلياً أمامي والميكروباص يدخله، في تلك اللحظة بالذات تأكيدت أني في التوقيت الصحيح، المدخل الفسيح للقرية يمتلىء بأقمصة

الفراشة ومقاعدها بطول مدخل القرية إلى داخلها، مسافة تساوي كيلو متر كامل حتى موقف الميكروباص الذي توقف فيه السائق.

هذه الزينات تناسب فرح حفيد كبير عائلة (الدهان)، بقى أن أسأل على... صدمت وأنا أرى (جعفر) يقف بعيداً بجانب تجمع للشباب، هذا هو (جعفر) من داخل المنزل، أصبحت أعرفه بسهولة، لماذا يقف هكذا ناظراً لي؟ هل يعرف ما في ضميري؟ سرت بعيداً عنه لداخل القرية لأغرق في حشود الناس السائرة والذي جاء معظمهم لحضور الفرح على الأغلب برغم أن الليل لم يأتي بعد، العجيب أن (جعفر) ظلّ يحرك رأسه متبعاً إياي وأنا أغيب في الحشود حتى اختفيت عنه.

هل يتبعني فقط ليعرف ما أنتوي؟ أم يتنتظر لحظة معينة لينقض عليّ؟، ألقيت تلك الأفكار عن بالي وأنا أقول بيني وبين نفسي أن العمر واحد والرب واحد.. سألت أحد المارين عن منزل (جعفر) العريض فنظر لملابسي المتهلة وشعري المنكوش والضيادة على رقبتي وسألني هل أعرف (جعفر).

- دا صاحبي.

نظر على هيتي ثانية ثم أشار ناحية شارع جنبي وقال:

- ادخل هناك دا عب ولاد (الدهان)، ما اعرفش العريس
فين بالتحديد، ممكن يكون في أي بيت من بيوتهم.

تركته وأنا أحاول ألا أصطدم بكل هذه المقاعد التي تفترش
الطريق يميناً ويساراً في كل شوارع القرية وبعض الشباب
يحضرون مناضد لرصفها استعداداً لبدء العرس.

دخلت الشارع الذي امتلأ بشباب ورجال ونساء يسيرون
في كل مكان بلا وجهة، لكن على وجوههم جميعاً ترسم
الابتسamas وببعضهم يتكلم بصوت جهوري يلقي بنكتة أو
يلقي السلام على أحدهم أو يأمر أحد الشباب برص مقاعد
أكثر.

حالة جميلة من الفرحة تغمرهم، في الغالب هم جميعاً من
عائلة (الدهان).. يا ترى هل منهم من قتل في زمني داخل
منزل (أبو خطوة) أو حتى هنا في القرية عندما كانت العائلتين
تصفيان بعضهما البعض !!

- مالك يا (حسام)؟ إيه اللي بهذلك كده، دا أنا سايبك من
ساعة.

نظرت للمتكلم الذي سمعته بصعوبة وسط كل أصوات
الضجيج من حولي.. (فرغلي المستكاوي)، في سنة الطبيعي
يرتدى بدلة زرقاء تلمع ببريق شديدة وقميص وردي اللون

وربطة عنق زرقاء لامعة هي الأخرى، وعلى رأسه وضع أطنان من مثبت الشعر وبعض الملمعات والجليتز الذي أنار شعر رأسه كأنه مصباح أفراح.

ضحكـت من قلبي لرؤـيـتي له بـهـذا الشـكـل وـشـعـرـتـ بالـفـرـحةـ لـسـبـبـ لمـ أـتـيـنـهـ،ـ قـلـتـ لـهـ:

ـ فيـنـ (ـجـعـفـرـ)ـ عـاـيزـ أـشـوـفـهـ.

ـ قـولـيـ إـنـتـ بـسـ مـالـكـ؟ـ أـنـاـ سـيـتـكـ عـلـشـانـ تـلـبـسـ وـنـخـصـلـيـ،ـ إـنـتـ عـمـلـتـ حـادـثـةـ وـإـلـاـ أـكـلـتـ عـلـقـةـ وـإـلـاـ إـيـهـ؟ـ

ـ هـاحـكـيـلـكـ بـعـدـينـ،ـ قـولـيـ أـلـاقـيـهـ فـيـنـ؟ـ

ـ طـبـ تـعـالـىـ نـقـفـ مـعـ أـصـحـابـناـ.

أـمـسـكـتـ فـجـأـةـ تـلـبـيـبـ مـلـاـسـهـ وـجـرـرـتـهـ نـاحـيـتـيـ وـأـنـاـ أـقـولـ عـبـارـتـيـ فـيـ أـذـنـهـ:

ـ أـخـلـصـ وـقـولـيـ أـلـاقـيـ (ـجـعـفـرـ)ـ فـيـنـ؟ـ

ـ بـالـراـحـةـ يـاـ عـامـ الـجـامـدـ،ـ هـاتـلـاقـيـهـ بـيـلـبـسـ الـبـدـلـةـ فـيـ بـيـتـ عـمـهـ (ـمـتـوـلـيـ).

ـ فـيـنـ بـيـتـهـ دـهـ؟ـ

أـشـارـ نـاحـيـةـ أـحـدـ الـمـنـازـلـ فـتـرـكـتـهـ وـذـهـبـتـ لـهـنـاكـ وـأـنـاـ أـسـمـعـ يـنـادـيـ عـلـيـ،ـ اـخـتـرـقـتـ حـشـودـ الـجـمـعـةـ أـمـامـ الـمـنـازـلـ حـتـىـ

وصلت للمنزل ذي الباب المفتوح الممتليء بالشباب في كل مكان حتى على درجات السلم، الجميل أني سمعت ترحب بهم جميعاً بالتقريب والكل يناديني باسمي ويسألني عن سبب إصابتي، مثلت أنني أعرفهم وطلبت منهم أن يوصلوني بعصر لأنني أريد إخباره بشيء قبل أن أذهب لارتداء ملابسي، أخذني مراهق منهم يبدو أنه يعرفني لأنه ثرثراً في كلام لم أفهمه وهو يتقدمني صاعداً السلم إلى الطابق الثاني الذي امتلاه آخره هو الآخر بالشباب، اخترقنا الجموع وهم يلقون عليَّ التحيات والاستفسارات كالعادة، لا أصدق أنني أعرف كل هؤلاء البشر في هذا الزمن، كيف أحافظ أسماءهم حتى.

دخلنا شقة ثم تويقنا أمام غرفة طرقتنا بابها ففتح لنا أحد الشباب مبتسمًا وصافحني بقوة، سأله عن (جعفر):
- إيه ده مالك يا (حسام)؟

كان هذا (جعفر) وهو يظهر من خلف الشاب مرتدياً سروالاً وقميصاً بدلة الفرح، اطمئن قلبي له ونبض قلبي يتسارع كي أتحكم فيها أقول.
- عايزك في موضوع مهم لوحدينا، مش هاخد من وقتك كثير.

ابتسم لي وهو يقول:

- إنت بتتكلم بأدب كده ليه ياد؟ تعالى خشن.

دخلت لأجد شاين آخرین بالداخل، فهمست بأذنه مؤكداً
أني أحتاجه وحيداً، أخرجهم جميعاً وهم يلوحون لي سلاماً
قبل أن يغلق الباب ويجلس على مقعد بجانب فراش نوم قديم
وهو ينظر لي ويقول بدهشة:

- إنت داسك قطر ولا إيه؟

- أنا كويس.

قلتها وأنا أجلس على طرف الفراش.

- كويس إيه!! إنت كنت معايا إمبارح وإحنا بنغير الجزمة،
لحقت تتخرم كده إمتنى؟

- (جعفر) أنا عايز أقولك كلام ماينفعش حد يخشن علينا
وإحنا بنقوله، ممكن تقفل الباب بالفتح.

نظر لي باستغراب وقال:

- إنت حصلك مشكلة؟ قول خضتي.

- ريمحي واقفل الباب الأول.

نهض يقدم قدماً ويؤخر الأخرى واتجه للباب وأدار مفتاحه
فيه دورتين فائلاً:

- إنت متغير كدة ليه؟

عاد ليجلس فابتلعت أنا ريقني وببللت شفتي بلساني وقلت:
 - أنا مش (حسام) اللي إنت عارفه، أنا من زمن تاني إنت
 كنت السبب إنه اتفتح.

ابتسم وهو يعتدل على مقعده لا يجد ما يقوله أو حتى ما
 يفهمه من حديثي لكنني أكملت:

- النهارده عيلة (السلاموني) هيحاولوا يقتلوك، لكن
 (صفاء) هتموت بدارك، دا قدرها بس إنت مرضتش بالقدر

.٥٥

صرخ هو:

- بتقول إيه؟ إنت اخترت يا (حسام)
 رددت عليه متربداً ويايأساً:

- افهم اللي بقولهلك، إنت بغرورك هتفتكر نفسك الله
 تتحكم في حياة اللي حواليك، لدرجة إنك هاتعمل عالم جديد
 وتحكم على الناس فيه بالموت والحياة بكيفك، وأنا واحد من
 الناس دي وجاي أقولك إنه خلاص مش هايتفع تكمل..
 لازم نقبل الموت زي ما بتقبل الحياة.

- (حسام) أنا مش طايق نفسي، لو كنت بتعمل مقلب
 وقفه.

نهضت ومشيت حتى وصلت إلى الترسيدة ونظرت للمرأة التي تعلو زجاجات العطر وعلب كريهات الشعر، رأيت صورتي شاحبة خائفة يائسة غير آدمية، رأيت في المرأة (جعفر) ينهض من على المبعد ويقترب مني قائلاً:

- مالك يا صاحبي؟ إيه اللي تاعبك؟

أمسكت زجاجة عطر وقلت:

- إنت يا (جعفر)

استدررت بحركة حادة وأنا أهشم زجاجة العطر على رأسه، صرخ وتراجع للوراء والدماء تسيل غزيرة من رأسه ومن يدي التي دخلها بعض الزجاج المهشم، أما هو فلم يصدق ما رأه، عيناه قالتا هذا وكأن برج رأسه لا يعنيه أكثر مما يعني أن أكون أنا مسبيه.

أعطاني ظهره وحاول فتح الباب لكن قفزت ناحيته وتعلقت به من ورائه وأنا ألف يدي اليمنى على رقبته محاولاً خنقه لكنه كان أقوى مني وحلني وهو يتراجع بظهره للوراء ليضرب جسدي بالمرآة، لكنني تشبت به أكثر والمرآة تهشم وأشعر بزجاجها المتطاير يخترق شعري ويتناثر على جسدي.

مت يا (جعفر) وانشر السعادة لكل من عرفتهم.

نقل جسدي في النهاية جذبه للأرض فوق فوقي وأنا
مازلت أطوقه خلف رقبته وظاهري يسقط على الزجاج المتناثر
وأشعر به يخترقني.

مت يا (جعفر) ولا تقاوم فأنت لم تسمح لنا بمقاومتك
وأنت تحكم في مصائرنا.

بدأ يختنق وتحشر صوته وهو يقول:

- لـ!!!

لأنك كنت صديقي وتلاعبت بي لأجل فتاتك، لأن عائلتك
ذبحت لأجل فتاتك، لأنه قد حان الوقت لوضع الأمور في
نصابها الصحيح، كان يجب عليك أن تموت اليوم لكنك ظلللت
تهرب.. أنت تموت ويهيا الجميع.

زادت جشرجة صوته فمددت يدي اليسرى إلى ذقنه
أسحبها للأعلى وأبعدت يدي اليمنى عن رقبته، أبعدتها
لأنني أستخدمها الآن في البحث عن أي قطعة زجاج مهشم
من حولي، وجدت قطعة أمسكتها بقوة فجرحت كف يدي
لكني لم ولن أتوقف، مددت قطعة الزجاج أحاول أن أذبح
رقبته بها لكنه فطن فاعتراض يدي المسكة بقطعة الزجاج
بيده، جرحت يده بالزجاج فتأوه ثم وضع القطعة على رقبته
وصنعت شقًا بعرض كامل رقبته وجسده ينتفض وتزيد قوته

وأنا أسحب بيدي اليسرى ذقنه للخلف بقوة أشد.. سمعت صوت طرقات قوية على الباب وأصوات شباب ينادون على (جعفر).. الدماء تتناثر في كل مكان وصوت غرغرة يخرج منه وهو يحاول الإفلات مني، طرقات الباب تزداد والدماء تقل والثواني تمر وحركة جسده تهدأ وتخف ارتعاشاته نسبياً حتى خدت.

أنا الآن مستعد للموت أو حتى لما هو أسوأ، لقد انتهى كل شيء لي.. الشباب بالخارج يحاولون كسر الباب وأنا أغمض عيني مستسلماً لما سيحدث.

خاتمة

لا أصدق أنني أكتب ما أكتب الآن، ولا أصدق نفسي حين
أذكر ما حدث، آخر ما أعرفه بعد أن قتلت (جعفر) أنني
ضحوت من النوم لأجد نفسي في فراش بشقة غريبة، لكنني
وجدت أبي وأخي يعيشون معي وبالطبع اندهشوا من طريقي
في معاملتهم، لكن الذي أرعبهم أنني بكىت عندما سالت عن
والدتي لأعرف أنها ماتت عندما كنت بالسادسة.

أمي كانت تعيش معنا وأنا واثق من هذا، لكنها هنا ميتة منذ
زمن، نعم هنا، لأنني في نفس يوم استيقاظي اندهش أبي أنني
نمت من الأساس وسألني كيف أنم وقد عدت من الخارج
منذ قليل بعد أن كنت مع (فرغلي) صديقي.. عدت لأرتدي
ملابس تلبيق بعرس (جعفر) المقام الليلة.

بعد قليل من حديثه معي رن هاتف محمول أكثر من مرة،
اكتشفت أنه ملكي وفيه أرقام مسجلة بأسماء لا أعرفها، ردت
على أحدها لأجد أنه شاب يبكي ويبلغني بمقتل (جعفر) في

الغرفة التي كان يرتدي فيها ملابسه، وجدوه مذبوحاً ولم يعرفوا الفاعل ولا كيف دخل للغرفة التي أغلقها (جعفر) على نفسه!

هل كنت في حلم طويل واستيقظت منه الآن؟ لكن مرأة الحمام كان لها رأيا آخر، هناك أثر لجرح قديم على رقبتي سالت عنه أخري فأخبرني أنه يراه لأول مرة اليوم.

حضرت جنازة (جعفر) ورأيت بها (فرغلي)، كان الجميع يكفي لكتني عجزت عن البكاء فاعتبروا أن ذلك جراء الصدمة التي وقعت بي.. الحقيقة أتنى عجزت لأنني لم أفهم ما حدث بي، هل أنا (حسام) من الزمن الأصلي وانتقلت لي ذاكرة (حسام) الذي قتل (جعفر)، أم أنا الذي أتيت من الزمن الفرعوي وسأكمل حياتي هنا؟؟؟

والأهم هو لماذا طوال الفترة السابقة و(جعفر) يقتل كل من حولي ويتركني لأعيش، كأنه يتركني لسبب يعرفه أو خطة يقوم بالتحضير لها منذ زمن، هل كان يعلم أتنى سأذهب لحسام الآخر وأطلب منه ما طلبت؟؟ هل (جعفر) أراد أن يقتل وهبأ لي كل هذا لذلك كان يظهر لي قبل ذهابي للعرس أمام المنزل وداخل القرية ليخبرني بطريقة أو بأخرى أنه يعلم مصيره ويقبله؟

عشت في جحيم الأسئلة لعام كامل بلا إجابات شافية،

في هذا العام بحثت عن (راضي)، كان بحثاً مضنياً وجدته في النهاية ولكنه لم يتمتع على، اضطررت إلى مصادفته من جديد لكنها كانت مصادفة جافة من طرفه فهو يراني متطفلاً على حياته لا أكثر، لكنني كنت سعيداً وخاصة أنه خطب (دعاء) بعد قصة حب طويلة وتزوج منها الآن وقد أنجب طفلًا، الغريب أنه سماه (جابر) وعند سؤاله أخبرني أنه يجدد اسمه جداباً !!
 (أحد عصفور) وصلت إليه لكنني عرفت أنه سافر لدولة خليجية للعمل، وهو الآخر لم يعرفي أو يشاهدني من قبل على حسب كلامه.

(عمرو صفت) المصور لم أستطع الوصول له لكنني ما زلت أحاول، (عمر أبو خطوة) تعرفت عليه بسهولة لأنه رجل أعمال ناجح ويظهر كثيراً في أخبار الجرائد، لن يتوقع أحد أن هذا الرجل له خدام من الجان ويقوم بفتح المقابر لسرقة محتوياتها.

(صفاء) على الجانب الآخر يدو أنها كانت تعرفني جيداً بحكم صداقتي بمعن، مرت بفترة اكتئاب زالت عنها بعد ثلاث سنوات وعادت لمحاول الاندماج في الحياة لكنها لم تستطع إخفاء جرحها في مقتل حبيبها.

(فرغلي) ظلّ صديقي دائمًا لكن كانت تواجهني معه مشكلة أنني لا أذكر الذكريات المشتركة التي يحكىها لي، لكن مع

(فرغلي) لا مشكلة فهو يتقبل ضعف ذاكرتي الذي أقنعته به.
 أما أنا فقد عشت فترة أحابيل التأقلم مع أصدقاء لم أعرفهم من قبل وأماكن لم أعتقد زيارتها، وأقارب أحياء كانوا موتى في عالمي السابق وموتى رأيتهم أحياء ها هنا، بعد فترة من تقبيل حالي فكترت في إعادة اختيار مجال عملي، لن أعمل معداً للبرامج، لكن بدأت بمهارسة هواية الكتابة الروائية، نشرت لي بعض الروايات برغم سني الصغيرة وأطمئن بأن يصبح هذا المجال هو هوايتي وعملي في المستقبل.

أعيش الآن منتظرًا حدوث شيءٍ لكنني لا أعلم ما هو، أنا الوحيد فيمن حولي الذي يحمل ذكريات عن حياة أخرى كنا نعيشها، أنا الوحيد الذي تراوده الكوابيس والأحلام، وكثيراً ما ضبط نفسي أحلم بعودتي لعالمي السابق بكل فجائعه وأحزانه، لكنني سأنتظر، إلى متى.. لا أعلم فالانتظار ليس خياراً..

حسام عبد الوهاب المهدى

القاهرة

2010

تمت

الأعمال السابقة للكاتب

- خططواطة ابن إسحاق (مدينة الموتى) / رواية.
- خططواطة ابن إسحاق (المرتد) / رواية
- خططواطة ابن إسحاق (المائد) / رواية
- الجزار / رواية
- نصف ميت / رواية
- لقاء مع كاتب رعب / رواية
- حكايات فرغلي المستكاوي / رواية
- في حضرة الجنان / مجموعة قصصية
- ابتسام فأنت ميت / رواية
- ليلة في جهنم (منزل أبو خطوة) / رواية
- ضريح عمرو بن الجن / مجموعة قصصية

لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر
من معرض كتب ومجلات ومجلدات

تابعوا موقعنا

#دودم_الكتاب

www.book100100.ga